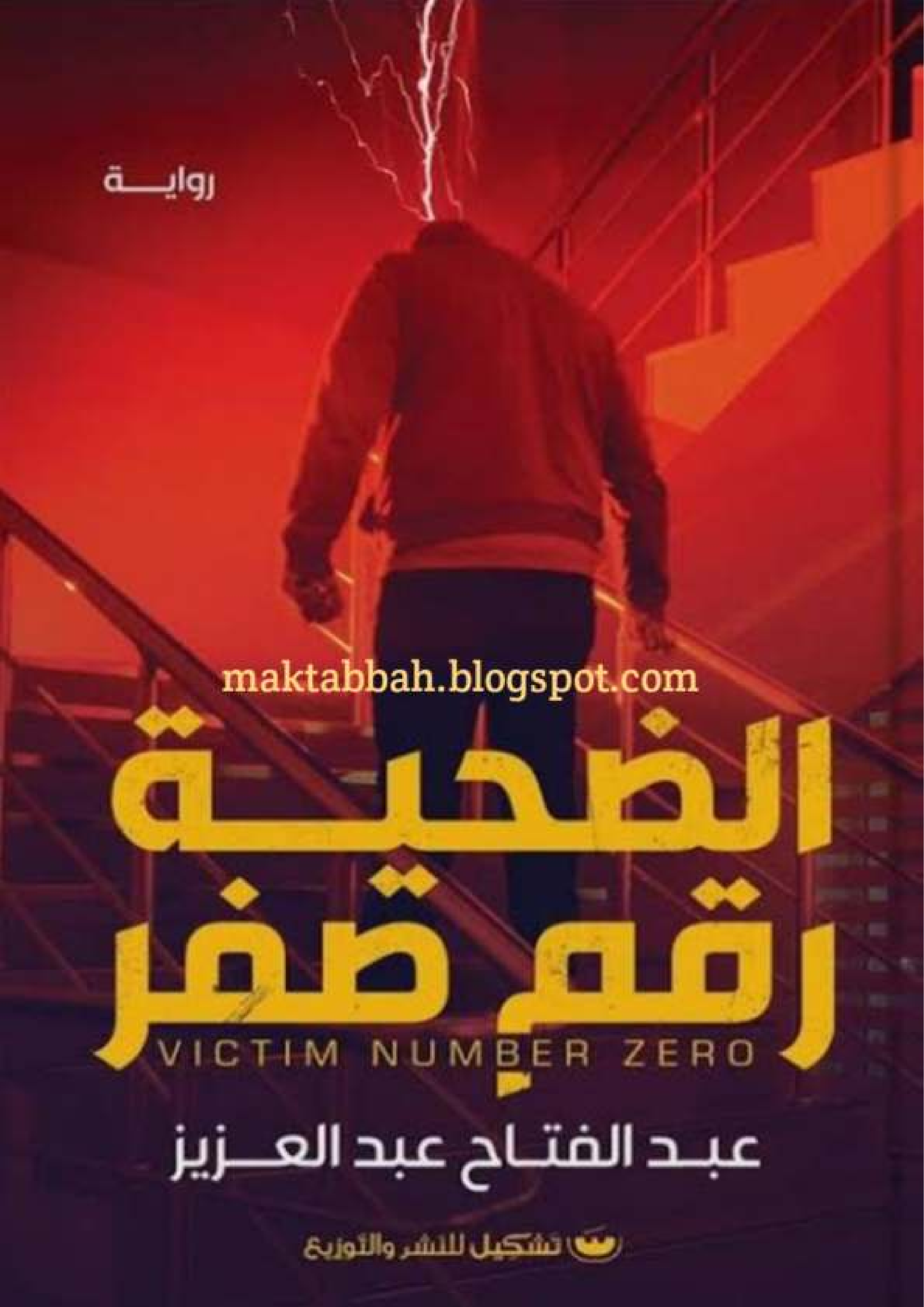
رواية
maktabbah.blogspot.com
الضحية
رقم صفر
VICTIM NUMBER ZERO
عبد الفتاح عبد العزيز
تشكيل للنشر والتوزيع

الفصل الأول

بتلك الليلةِ الباردة كنتُ أقف موليًا ظهري لذلك الجحيم المكون من طابقٍ واحد متهالك لا تتجاوز مساحته الخمسين مترًا، والذي تعلو واجهته يافطة زرقاء مُضيئة نُقش عليها بخطٍ أبيض عريض «نقطة إسعاف منطقة الكشارة»، وكم وددتُ كثيرًا أن أستبدل كلمة الكشارة بكلمة الموت، ولكنني أتراجع دومًا عن تلك الفكرة ليس جزعًا من غضبة رؤسائي الذين رفضوا على مدار عام قطعته بتلك النقطة؛ خمسة عشر طلبًا للنقل قدمتهم.

maktabbah.blogspot.com

خمسة عشر رجاءً رجوتهم..

خمسة عشر أملًا في الهروب من هنا..

ومنحوني بديلًا عنهم..

خمسة عشر خذلان..

خمسة عشر نقمة..

maktabbah.blogspot.com

خمسة عشر انكسار..

بل تراجعت عن العبث باليافطة لاقتناعي دومًا أن الواقع لا تُغيره المسميات؛ فكل من عمل هنا يعرف أنها منطقة الموت بالطريق الدولي الساحلي القابعة على الحدود بين محافظتي كفر الشيخ والدقهلية في بقعةٍ شاسعة من الظلام تمتد لعشرات الكيلومترات الذي لا يقطعه سوى الأضواء الباهتة لمقر عملي ومصابيح السيارات التي تمر مسرعة بين الفينة والأخرى؛ غير مدركةٍ أنها تعبر بين مئات المواضع التي زهقت بها أرواح مسافرين كانوا غير مدركين أنهم بحضرة الموت.

maktabbah.blogspot.com

كنتُ شاردًا أفكر في صيغةٍ جديدة لأكتب بها طلب النقل السادس عشر حين أذهب في إجازتي غدًا إلى منزلي الذي أحترق شوقًا إليه، وإلى حضرة مئذنة السيدة زينب التي تجاوره، فلم يجُل بخاطري يومًا حين

أزهقت خمس سنوات من عمري بكلية التمريض أن ينتهي بي الحال هنا؛ مسعفًا أحمل أشلاء الموتى، ويصارعني بيقظتي ذكرى أنين المحتضرين ونوح ثاكليهم، ويقض مضجعي مشاهد نوافير الدم من شرايين مذبوحة، وأطراف مبتورة، وأشلاء متهتكة من أجسادٍ حية، فلولا ضيق ذات اليد وانعدام خبرتي بأي مجال عملٍ آخر ما استمررتُ بهذا العمل الذي يزداد إطباقه على صدري يومًا بعد يوم.

وبينما أنا على شرودي إذ بصوت انفجار مدوٍ لإطارٍ لحق به صريخ مكابح سيارة فالتفتُ ناحية الصوت وجلًا؛ فإذ بأضواء مصابيحها تترنح يمينًا ويسارًا، وحينها خرج من النقطة مرافقي سائق سيارة الإسعاف الخاصة بنا تعلو وجهه أمارات الفزع: خير يا إيهاب؟!

حينها كانت أضواء السيارة المواجهة لنا قد اختفت، وظهر بديلًا عنها شعاعا ضوءٍ يتأرجحان على جانب الطريق مصحوبًا بصوت تهشمٍ متقطع؛ فأدركتُ أن السيارة تنقلب على جانبها لعدة مرات؛ فالتفتُ ناحيته وقلت:

-ادخل يا باسم بسرعه صحي سعيد وحسين عشان هايطلعوا بعربيتهم همَّا كمان وهات عربيتنا وحصلني.

كانت تلك السيارة تبعد عنا بمسافةٍ لا تتجاوز المئة مترًا قطعتهم ركضًا وبيدي حقيبة إسعافٍ صغيرة استللتها من سيارتنا، وما إن وصلتُ حتى وجدت السيارة قد استقرت في الظلام المطبق على عجلاتها الأربع بجانب الطريق، وقد انقطع هدير محركها وانطفأت أنوارها مع انبعاث مزيجٍ من رائحة وقودها ورائحة الاحتكاك العنيف لعجلاتها بالطريق قبل انقلابها، فنزعتُ كشافي من جرابه وسلطته داخل السيارة فلم يكن بها سوى السائق وحده والذي كان يبدو أنه في أواخر الخمسينات من عمره، ففتشتُ بضوء الكشاف في المنطقة المحيطة بالسيارة مسرعًا كي أبحث عن آخرين قد يكونوا طاروا من الزجاج المهشم فلم أجد أي أثر، فحاولتُ حينها جاهدًا أن أفتح باب السائق، ولكنه كان عصيًا على الفتح لانبعاجه نتيجة الحادث؛ فهشمتُ بقايا زجاجه بواسطة الكشاف، ثم مددتُ نصفي

كشيء ثمين أرى فيه حلم الثراء، ولم يكن إحساسي بها انعكاسًا لشهوة المال بداخلي؛ فطالما كنتُ أنتصر على تلك الشهوة في نزاعاتٍ أقوى طوال عامٍ منصرم، بل كان انتزاعي لها استجابة مني لإحساس الفضول الذي كان ينهش عقلي بشأنها مطالبًا بمعرفة سرها، وتعاظم ذلك الفضول ليطغى على أي إحساس بالذنب داخلي حينما كنا نُنزل تلك الجثة بالمستشفى حيث كان أثر الحرق قد زال عن صدره وكأن شيئًا لم يكن.

وما إن غدنا إلى مقر نقطتنا حتى وجدنا الفريق الآخر يتململ من تأخرنا؛ فقد كانا راقدين على صفيّ المقاعد المتخذين شكل زاوية قائمة بركن صالة المعيشة بينما يشاهدان التلفاز المعلق على الحائط المواجه لهما ويغشى النعاس وجهيهما، وما إن أنهيا تململهما حتى استأذنا ليُكملا نومهما في غرفة المبيت، وحينها التفت إلى باسم قائلًا:

-إنت اللي عليك دور الشاي المرة دي، أنا اللي كنت عامل آخر دور قبل الحادثة.

حينها لم أجادله على الرغم من عدم تذكري لذلك الشاي الذي يدّعي أنه صنعه واكتفيتُ بابتسامةٍ متوترة، فقد كنتُ أتوق إلى الاختلاء بها؛ فدلفتُ إلى المطبخ الضيق ووضعت كوبين من الماء في البراد، ثم وضعته على النار وأخرجت السلسلة، ووضعتُ دلايتها المستطيلة فوق راحة يدي اليسرى بينما كنتُ أضع الشاي والسكر بالكوبين الفارغين، فكانت ما زالت على لونها الذهبي البراق، ومنقوش على أحد وجهيها صورة إناءٍ واسع من عند فوهته والتي يخرج منها سبعة ألسنة من النيران، ويضيق ذلك الإناء نزولًا حتى ينتهي بقعرٍ ضيق يرتكز على قاعدةٍ عريضة تحتها ستة أسطر من الكتابات بخطٍ دقيق وبلغةٍ غريبة، أما الوجه الآخر فكان منقوشًا بصورة طائر ذو جناحين كبيرين، وموضوع مكان رأس الطائر صورة راهب يقف بين الجناحين، فكانت هيئتها وبريقها يوحي بما لا يدع مجالًا للشك أنها شيء أثري نادر خاصة وأنها لم تكن ممهورة بأي أختام، ولكنني حين اقتربتُ من نار الموقد وهي بيدي لكي أرى ما إذا كان الماء قد بدأ في الغليان من عدمه حتى تفاجأتُ بالدلاية يزداد توهجها بذلك اللون

كشيء ثمين أرى فيه حلم الثراء، ولم يكن إحساسي بها انعكاسًا لشهوة المال بداخلي؛ فطالما كنتُ أنتصر على تلك الشهوة في نزاعاتٍ أقوى طوال عامٍ منصرم، بل كان انتزاعي لها استجابة مني لإحساس الفضول الذي كان ينهش عقلي بشأنها مطالبًا بمعرفة سرها، وتعاظم ذلك الفضول ليطغى على أي إحساس بالذنب داخلي حينما كنا نُنزِل تلك الجثة بالمستشفى حيث كان أثر الحرق قد زال عن صدره وكأن شيئًا لم يكن.

وما إن غدنا إلى مقر نقطتنا حتى وجدنا الفريق الآخر يتململ من تأخرنا؛ فقد كانا راقدين على صفيّ المقاعد المتخذين شكل زاوية قائمة بركن صالة المعيشة بينما يشاهدان التلفاز المعلق على الحائط المواجه لهما ويغشى النعاس وجهيهما، وما إن أنهيا تململهما حتى استأذنا ليُكملا نومهما في غرفة المبيت، وحينها التفت إلى باسم قائلًا:

-إنت اللي عليك دور الشاي المرة دي، أنا اللي كنت عامل آخر دور قبل الحادثة.

حينها لم أجادله على الرغم من عدم تذكري لذلك الشاي الذي يدّعي أنه صنعه واكتفيتُ بابتسامةٍ متوترة، فقد كنتُ أتوق إلى الاختلاء بها؛ فدلفتُ إلى المطبخ الضيق ووضعت كوبين من الماء في البراد، ثم وضعته على النار وأخرجت السلسلة، ووضعتُ دلايتها المستطيلة فوق راحة يدي اليسرى بينما كنتُ أضع الشاي والسكر بالكوبين الفارغين، فكانت ما زالت على لونها الذهبي البراق، ومنقوش على أحد وجهيها صورة إناءٍ واسع من عند فوهته والتي يخرج منها سبعة ألسنة من النيران، ويضيق ذلك الإناء نزولًا حتى ينتهي بقعرٍ ضيق يرتكز على قاعدةٍ عريضة تحتها ستة أسطر من الكتابات بخطٍ دقيق وبلغةٍ غريبة، أما الوجه الآخر فكان منقوشًا بصورة طائر ذو جناحين كبيرين، وموضوع مكان رأس الطائر صورة راهب يقف بين الجناحين، فكانت هيئتها وبريقها يوحي بما لا يدع مجالًا للشك أنها شيء أثري نادر خاصة وأنها لم تكن ممهورة بأي أختام، ولكنني حين اقتربتُ من نار الموقد وهي بيدي لكي أرى ما إذا كان الماء قد بدأ في الغليان من عدمه حتى تفاجأتُ بالدلاية يزداد توهجها بذلك اللون

الذهبي كلما اقتربتُ من النار، فرجعتُ وجلًا عدة خطواتٍ للخلف حتى التصق ظهري بجدار المطبخ؛ فإذا بتوهجها يخبو قليلًا ويعود لتلك الحالة التي كان عليها قبل اقترابها. ففتحت عيناي ذهولًا، ثم صرتُ أكرر الأمر عدة مرات اقترابًا وبُعدًا حتى تيقنتُ من حقيقته وأنه من المؤكد أن هذا المعدن استثنائي، وفي المرة الرابعة بينما كنتُ أقترب من النار لمحت باسم قادمًا فأودعتها بجيبي مسرعًا؛ حين مد يده نحو بكرة إطفاء الموقد فأطفأ ناره بينما كان ينظر إلي:

-إيه يا عمنا! المية بتغلي وانت قاعد سرحان.

maktabbah.blogspot.com

-ماخدتش بالي يا باسم.

فحمل البراد واتجه نحو الكوبين وبدأ بصب الماء فيهما بينما يقول:

-هو انت كل ما ها تحصل حادثة ها يفضل متسهم عليك بعدها كدا كتير؟ يا أخي دا انت كلها أيام وهتبقى كملت السنة هنا.

قالها وهو يناولني كوبي، واتجهنا خارجين لصالة المعيشة حين رددتُ: بكرة أتعود يا عم باسم.

maktabbah.blogspot.com

فجلس حينها باسم على أحد المقاعد، ووضع كوبه على المنضدة الصغيرة التي تتوسط صالة المعيشة، ومن ثمَّ أخرج سجائره وناولني إحداها؛ فأشعلتها بعد أن جلستُ إلى جواره، ثم مددتُ يدي لأشعل له سيجارته التي أخذ منها نفسين متتابعين، ثم أردف:

-أنا زاملت ناس كتير كانوا زي حالاتك كدا ويمكن أنيل، كان منهم اللي بيقعد يرجّع بعد كل حادثة كبيرة، واللي يقعد يتنفض طول الليل وهو نايم ويحلم بكوابيس لغاية ما يقوم مفزوع، لكن مع الوقت كانوا بيتعودوا ويتحسنوا.

maktabbah.blogspot.com

-ما انا اتحسنت بردو يا باسم عن الأول.

-يا ابني إنت مشكلتك إنك ما اتغيرتش ولا مللي من يوم ما جيت، عارف

إنت اللي بيرتعش وبيرجّع ويقوم من نومه يصرّخ دا أحسن منك، إنت بتكتم في نفسك، وبعد كل حادثة بيبقى لونك مخطوف، وحالك مقلوب، ومنعزل عن البشر، عارف اللي بيعيط ويسيح دموع أحسن مية مرة من اللي بيكتمها جواه.

-عندك حق والله، لكن أنا طبعي كده، بكون منهار من جوايا لكن من بره لوح تلج.

-على فكرة إنت كدا ممكن تتعب أو يجرالك حاجة.

-ادعيلي بس يا باسم يوافقوا على طلب النقل المرة دي.

حينها طوّح باسم بيده عاليًا دليلًا على مله من حديثي الذي يراه بلا طائل حول طلبات النقل؛ فكثيرًا ما نصحني بألا أعلق آمالي عليها وأن أحاول التأقلم، ولكنني طوال ذلك العام لم أتغير قيد أنملة كما يحكي، ولكن في حادثة الليلة كان هناك ما يشغل تفكيري أكثر من نوبات الألم النفسي التي تعتريني بعد كل حادث؛ فقد كنت مشدوهًا أفكر في أمر تلك السلسلة أو بمعنى آخر في أمر تلك الدلاية العجيبة، ثم بدأ رويدًا رويدًا يدق باب أفكاري حلم الثراء الذي قد أجنيه من بيع تلك التحفة الفريدة؛ فأذنت له بالدخول فتسلل إلى صدري وبدأ يغزل فوق أهداب عقلي خيوط حياةٍ أخرى بعيدًا عن حياة المسعف التي لا أطيقها ومنطقة الموت التي تلفظني، حياة بها سعة من المال لا تُلجئني لأن أدفن روحي لأجل لقمة عيشي، وطمأنينة تلازمني نحو المستقبل؛ حتى قطع استيقاظ الفريق الآخر بالصباح توارد أفكاري؛ فلملمت أشيائي وأوصلني باسم إلى موقف سيارات جمصة، وبدأت من هناك رحلتي الطويلة نحو القاهرة، والتي كان مرافقًا لي فيها طوال طريقي ذلك الخيال المشبع بعيش رغد معلق على قراري ببيعها، ولكن يجابه تلك الأحلام نبشًا بداخل صدري يُدعى الفضول والرغبة العارمة في كشف خبايا حظيتي قبل إتمام ذلك البيع، وضميرًا أخذ في التآكل خاصة وأن أهل ذلك الميت حينما جاءوا صباحًا لاستلام جثته من المستشفى لم يسألوا عن تلك السلسلة؛ وإلا

كانت الإدارة أبلغتنا بوجود مفقودات بالحادث.

وما إن نزلت من محطة مترو السيدة زينب مع آذان العصر إلا واتجهت مباشرة نحو صلاح العتربي تاجر الأنتيكات الذي يقع متجره في صف المحال الذي يقبع بالشارع الموازي لخط المترو قبل المسجد، فقد كانت الشائعات دومًا تتردد عن كونه يتاجر في القطع الأثرية الخفيفة أو أنه على الأقل وسيطًا في بيعها، وما هذا المتجر سوى ستارٍ يواري خلفه تجارته الحقيقية، فلم يكن يعنيني حين توجهت نحوه صدق تلك الشائعات من عدمه، بل ما يعنيني أنه كان زميلًا لي في فصلٍ واحد طوال فترة التعليم الأساسي، وما زال بيننا بقايا ودٍ سالف، فكنت أريد أن أتيقن من أثرية تلك القطعة دون أن أشي بسرها لشخصٍ غريب، فمن المؤكد أنه سيكون لديه ولو فكرة بسيطة عن ما هو أثري وما هو زائف باعتبار عمله وتجارته، وما إن دلفت إلى متجره حتى استقبلني بابتسامة ترحابٍ ارتسمت على وجهه الممتلئ أثناء وقوف كرشه المنتفخ خلف تلك المنصة الزجاجية:

-يا أهلًا بالغالي، عامل إيه يا إيهاب؟

فمددت يدي وصافحته:

-الحمد لله يا صلاح، أخبارك إنت إيه؟

-ماشي الحال، فضل ونعمة من عند ربنا.

-ربنا يديم عليك فضله.

-خير يا حبيبي، أؤمرني.

-ما يؤمرش عليك ظالم.

حينها التفتُ ناحية العاملة التي تقف إلى جواره خلف المنصة الزجاجية بما يوحي أنني لا أريد الحديث أمامها؛ فالتفت صلاح ناحيتها ورفع يده التي تحمل سوارًا فضيًا وخاتمًا ذا فصٍ أزرق باتجاه المحل المجاور مردفًا:

-روحي انتي يا هبة صلي العصر عند سماح.

فخرجت هبه متجهة نحو محل العبائات المجاور وهي تلوك علكتها بعصبية، وحينها أخرجث تلك السلسلة من بين طيات الملابس في حقيبتي بحذرٍ ووضعت دلايتها بكف يدي، أما السلسلة نفسها فكانت ملتفة حول معصمي، فقد كنتْ أوحي له من خلال إمساكي بها بهذا الشكل أنني أبغي أن يتفحصها بينما هي في يدي وأردفت:

-الحتة دي أثريه، وعشان احنا أصحاب وعشرة قديمة قلت أعرضها عليك؛ أشوف هي ظروفها إيه وتسوى كام عشان أنا معروض عليا سعر مش عاجبني.

حينها كان صلاح يُحاول أن يواري ذهوله، ويشد لجام انبهاره، ولكن وقع المفاجأة كان أقوى من أن يؤد، فكان كمن هاله طاقة نورٍ فُتحت في سماءٍ مظلمة فوق صحراء قاحلة، فالتفتْ ناحية الباب ثم اتجه ناحية مخزنه وأشار إليّ أن أتبعه، وما إن أغلق باب المخزن من خلفنا حتى أحضر عدسته، ثم أمسك بالدلاية أثناء وقوفنا وضغط عليها بإصبعيه الإبهام والسبابة، ثم انحنى يتفحص وجهيها وأتبع ذلك بأن فحص جزءًا من السلسلة نفسها، ثم تركها واعتدل في وقفته حين لمعت عيناه قائلًا:

-معروض عليك فيها كام؟

فابتسمتْ ثم أخرجت قداحتي وأشعلتْ نارها، ثم صرتْ أقرب اللهب من تلك الدلاية وأبعده عنها؛ فصار بريقها يزيد ويخبو، ثم نظرتْ نحو عينيه اللتين كانتا ما زالتا معلقتين على تلك الدلاية العجيبة، فأطفأتْ قداحتي ليرفع عينيه نحو عينيَ مردفًا:

-حتة نادرة فعلًا، لكن ما قلتليش، اتعرض فيها كام؟

-مش مهم معروض عليا كام، إنت لو حابب تاخدها ارمي بياضك وقول سعرك.

فأمسك حينها السلسلة مردفًا:

-عشان تبقى فاهم بس، السلسلة دي نفسها ما تسواش حاجة، دي سلسلة دهب عادية، أما الدلاية دي هي اللي عليها العين.

-يعني الدلاية أثرية زي ما الناس قالت؟

-إنت لسه ها تسأل! ما انت عارف من قبل ما تيجي، لكن بردو دي مش دلاية سلسلة، دي ممكن تكون متاخده من تمثال ولا من جدارية وبعد كدا اتعلقت في السلسلة؛ لإن دهب السلسلة حاجة ودهب الدلاية دي حاجة تانية، بعدين الحلقة اللي ملحومة في الدلاية من فوق عشان تعدي منها السلسلة مش بنفس جودة صناعة الدلاية نفسها، يعني الحلقة دي معمولة في الدلاية بعد ما اتصنعت يمكن بسنين.

-يعني انت شاري بكام؟؟

فيفتح الآلة الحاسبة على هاتفه وظل يُدندن قليلًا بينما يضرب فوق أزرارها، ثم أردف:

-ميتين ألف جنية وتستلم فلوسك كاش.

حينها ابتسمتُ ابتسامة باهتة:

-ليه يا عم؟ هو انت فاكرني عبيط! دا الدهب اللي فيها لو اتباع على إنه دهب بس يسوى الميتين ألف جنية وزيادة، ما بالك بقا إن دا دهب أثري، وبعدين انت فصالك دا بعيد أوي عن اللي اتعرض عليا فيها.

-يعني انت عايز كام يا إيهاب من الاخر كده؟؟

-أنا هسيبك تاخد وتدي مع نفسك، وتشوف هي تسوى كام، وانت عارف إنها تسوى كتير، وعشان احنا عشرة قديمة زي ما قلت لك في الأول؛ فانا مش هبيعها غير لما أرجع لك بردو.

فابتسم ابتسامة خبيثة وأردف:

maktabbah.blogspot.com

-دا العشم بردو يا إيهاب.

وحينها خرجنا من المخزن، واتجه خلف منصته ليفتح أحد الأدراج ويستل منه رزمة من النقود وناولني إياها مردفًا:

-دول خمس آلاف جنية عربون محبة وربط كلام بينا إن الحتة دي تبعي، وبحيث بردو ما تخلصش فيها مع حد غير لما ترجع لي قبلها، بعتها معايا هكمل لك عليهم، ماتوفقناش وبعتها لغيري هترجع لي فلوسي، اتفقنا؟

حينها وضعت رزمة النقود بجيبي مبتسمًا:

maktabbah.blogspot.com

-اتفقنا.

-طب هات رقمك بقى عشان هيكون بينا تليفون على آخر النهار.

فأمليته رقم هاتفي، وأعطاني بطاقة مزيلة بأرقام هواتفه، ومن ثم غادرته متجهًا نحو منزلي بعد أن أخفيت السلسلة بين طيات ملابسي، وما إن خرجت إلى الشارع حتى أحسست أن الهواء الذي يدخل رئتاي صار ممزوجًا بالأمل، وأن الألوان من حولي أضحت أكثر زهوًا، والبشاشة قفزت في وجوه السائرين؛ إلى أن بلغت نهاية ذلك الشارع وانعطفت يمينًا متجاوزًا مسجد السيدة زينب بعبق التاريخ الذي يفوح من جنباته، وزحام المارة أمام أبوابه؛ فقابلتني رائحة لحمة الرأس واللسان والكلاوي وشوربة الكوارع التي تفوح من أول شارعنا، ولكنني خالفت عادتي التي اعتدتها يوم رجوعي في كل أجازة؛ فلم أعرج على مسمط "حبايب السيدة" وأبتاع رغيفين من السمين كوجبة لغذاء هذا اليوم، بل مررت بالحاتي الذي يجاوره وابتعت ما لذ وطاب لي من لحم ضأنه، ثم عرجت على خيري البقال وسددت له ديوني المتراكمة، وسددت باقي أقساط هاتفي لدى محل الهواتف المجاور، وصرت أنزف الأموال دواليك إلى أن وصلت منزلي الذي ما إن بلغته حتى أحسست بانقباض صدري من إطلالة البناية التي أقطن في دورها الأول الذي يكاد الشارع أمامه أن يتجاوز ثلثه السفلي، فلأول مرة ألاحظ أن الشيب قد ضرب تلك البناية لهذا الحد، ولِمَ لا؟ فهي من أقدم البنايات بشارعنا، ولولا عقود الإيجار الأبدية التي تُحرِّم

على مالك العقار أن يطرد قاطنيه لكان أزالها منذ أمدٍ بعيد، وأنشأ بديلًا عنها برجًا شاهقًا، وقد كنتُ أنا من المنتفعين بأحد تلك العقود التي ورثتها عن أبي بعد أن وافته المنية هو وأمي في عامين متتاليين.

ثم ولجتُ من بوابة البناية لأمر بجوار سلمها المتهالك متجهًا نحو منزلي الذي يقطن بابه تحت درجات هذا السلم، وما إن استقرت قدماي بداخله حتى أحسستُ بمدى بؤس العيش الذي طالما كنتُ أكابده وآن الأوان أن يتبدل، فلم قد أشتاق لمثل هذا المنزل؟!

هل أحب تلك الطاولة المستديرة بصالة استقباله التي يحيط بها ثلاثة كراسي عتيقة، أم تلك الكنبة الخشبية التي تقبع بجوار الجدار أسفل ذلك الشباك الذي نخر السوس عظامه؛ والذي ما إن أفتحه الآن إلا وسأجد سيقان المارة بشارعنا هي واجهته الرئيسية؟ فقد كان حده الأدنى أعلى من مستوى الشارع بقليل، ثم دخلتُ إلى غرفتي حاملًا حقيبتي مستمرًا في التساؤل، هل السبب هو هذه الغرفة التي يقبع بها سرير نحاسي قد يكون أكبر عمرًا من الملك فاروق ذاته، أم هي تلك التسريحة التي تحمل مرآة بيضاوية الشكل حوافها آخذة في السواد عامًا بعد عامٍ إلى أن يأكل ذلك السواد كبدها؟ وبينما أنا على حالي الناقم أخرجتُ تلك السلسلة من بين طيات ملابسي وأخذتُ في التفكير في كلام صلاح العتربي؛ فقد كان عرضه المبدئي مئتي ألف من الجنيهات، وأغلب ظني أنها تُساوي خمسة أضعاف ذلك الرقم وربما تساوي المزيد، وكلما شطحت الأفكار بخيالي كلما زاد تقززي من تلك الحياة التي أعيشها، وكأن أعيننا ترى وأرواحنا تتآلف وفقًا لما تملكه أيدينا.

حينها بدلتُ ملابسي، ومن ثمَّ أنهيت غذائي الثمين لأجلس بعدها على الكنبة القابعة أسفل تلك النافذة بصالة منزلي؛ بيدٍ تقبض على كوبٍ من الشاي وبأخرى تتخلل أصابعها سيجارتي التي أنفخ دخانها منتظرًا ظهور "نور" من نافذة غرفتها المطلة على الشارع أمامي، والتي قد تكون هي الشيء الوحيد الذي ظل محتفظًا برونقه في حياتي هنا بعد أن تمردتُ على كل ملامح تلك الحياة، تلك الفتاة الخجولة التي انتقلت أسرتها إلى

حيّنا البائس منذ ما يقرب العامين، أمضت منهم عامًا كاملًا حتى تلاحظ نظراتي نحوها، ومن ثمّ بادلتني مثلها، وكأننا كنا نُمهد لاتفاقٍ بين قلبينا، وما إن عبدنا الطريق بيننا بتلك النظرات حتى فوجئت بنقلي لنقطة إسعاف منطقة الموت التي حطمت كل آمالي ووئدت كل عزيمةٍ مستعرة بداخلي، فصرتُ أراقب ظهورها بيومين أجازتي كل أسبوعين، وما إن أتهيأ للحديث معها إلا وأجد أجازتي قد انتهت أو أن استعدادي للرحيل يقطع عزمي عن كل ما أبغي بلوغه، فكل أجازاتي لم تكن سوى استعدادٍ للرحيل القادم، وأثناء انتظاري ظهورها أو ورود تلك المكالمة من صلاح؛ أخذتُ أبحث على الإنترنت عن أي شيءٍ متعلق بسلاسل أثرية تُسبب حروقًا أو تتحول هيئتها أو يزداد بريقها إذا ما اقتربت من النار أو أي شيءٍ من هذا القبيل، ولكنني لم أظفر بأي تفسير ذا قيمة بعد عدة محاولات، ومن ثم بدأتُ أقنع نفسي أن ذلك المسافر كان بأي حالٍ من الأحوال سيموت نتيجة انقطاع شريان برقبته؛ فليس لتلك السلسلة علاقة من قريبٍ أو من بعيد بوفاته، أما بخصوص ذلك الحرق فلم يكن هناك حرقًا حين ذهبت به إلى المستشفى، ومن الممكن بل من المؤكد أن ذلك الحرق الذي رأيته وقت الحادث ما هو إلا علامة على جلده نتجت عن ارتطام صدره الذي يحمل تلك القلادة ارتطامًا عنيفًا بمقود السيارة، ولذلك زال أثر الحرق بمرور وقتٍ قصير، أما عن تحول لونها وقت الحادث؛ فقد يكون تفسير هذا التحول في لونها واختلاف بريقها حين اقترابها من النار أو ابتعادها عنها هو أن هذا المعدن مخلوطٌ بأحد المعادن الفريدة التي سقطت من الفضاء في صورة نيازك، فقد كان قدماء المصريين يستخدمون تلك المعادن في قلاداتهم وتماثيلهم، ولذلك فمن الوارد أن يكون ذلك المعدن يتغير لونه وبريقه لعدة أسبابٍ وظروفٍ مختلفة ومتعددة، فأدعو الله أن تثبت على حالها حتى أتمكن من بيعها.

ومن ثمّ قررتُ أن ألقي عبء ذلك الفضول الذي بلا طائلٍ عن كاهلي وأسلك الطريق الأسهل بترجيح أحلام الثروة على وخزات الضمير وحرب الفضول، وذلك على الرغم من يقيني بأنه عندما يتصارع بداخلك أحاسيس متناقضة فإن المنتصر بينهم بالأخير هو من مالت إليه نفسك

منذ بداية ذلك الصراع، فتبدأ بتدعيم أركانه بالمبررات، وتوطيد دعائمه بالحجج حتى يفوق ما سواه؛ فتدعي أنه كان صاحب الحجة الأقوى، وبالحقيقة أنت من تصنع الحجة الأقوى من منظور هوا نفسك.

وبينما كنتُ أسترسل في رسم حياتي فيما بعد بيع كنزي، وترك العمل بهيئة الإسعاف بلا عودة، وقبل آذان العشاء بقليل رن هاتفي برقم صلاح، الذي أخبرني أنه رفع عرضه لثلاثمائة ألف جنيه؛ فأخبرته أن ذلك الرقم يظل دون الرقم الذي عُرض علينا من أجلها؛ فقد كنتُ أنتوي أن أطيل معه التفاوض حتى أصل لأقصى عطاء، وحينها تأفف قائلًا:

-خلاص يا سيدي، أنا مش هشتريها منك أنا هبقى وسيط وبس، لكن هاخد عشرة في المية من البيعة، وما تقلقش إنت كدا ولا كدا اللي هترفض أو توافق على سعر البيع، وهشوف لك أكتر من زبون، بس أولا كدا قوم البس السلسلة واتصور فيديو قدام مراية وانت ماسك تليفونك في إيدك اليمين، وفي إيدك الشمال ورقة نتيجة بتاريخ اليوم، وبعدها هتقلع السلسلة وتمسك دلايتها في إيدك الشمال، وتقرب الكاميرا منها أوي على الوجه الأولاني، وبعد كدا تقلبها وتقرّب الكاميرا من الوجه التاني.

maktabbah.blogspot.com

حينها رددتُ مستفهمًا:

-وعلى إيه دا كله يا عم صلاح؟

-بقول لك إيه يا إيهاب هو انت بعني خام للدرجة دي، وما تعرفش إن أي حتة آثار بتتباع فرداني لازم الأول تتصور بوضعية معينة وجنبها ورقة بتاريخ اليوم؟! ودي سلسلة فالوضع الطبيعي إنها تتلبس عشان يتشاف شكلها عامل ازاي وهو دا طلب الزبون.

-والله يا عم ما اعرف أي حاجة عن اللي بتقوله دا.

-يبقى تعرف من النهاردة إن الحاجات دي ما بتلفش ندلل بيها على المشترين، لأ دي بتتصور بوضعية معينة بيحددها المشتري، ولازم يكون فيها حاجة بتثبت التاريخ؛ عشان يتأكد من جدية البيع، وإن القطعة

موجودة معانا، وان الصور أو الفيديو مش قديمة، وبعدين دا لمصلحتك بردو لأن بناءًا على الفيديو والمواصفات اللي هنبلغ بيها؛ هايحدد قيمة تقريبية للحاجة قبل الفحص الحقيقي، عجبك السعر المبدئي هنروح ويفحصها وقت الاستلام والتسليم، ولو طلعت الحاجة مظبوطة بتستلم فلوسك وقتي، ولو طلعت مضروبة بترجع بحاجتك، ولو ما عجبكش السعر المبدئي ما بنروحش أصلًا.

-يعني المشتري هو اللي طالب الفيديو بالوضع ده؟؟

-أومال أنا يعني اللي جايب الكلام من عندي! المشتري طبعًا هو اللي طلب كده، ولو ما وصلناش لاتفاق مبدئي مع المشتري دا ممكن المشتري اللي بعده يطلب فيديو بوضعية مختلفة أو ممكن يطلب نفس الوضعية بتاريخ جديد، ويلّا صور الفيديو وابعتهولي، يا إما يا عم تجيب لي أنا السلسلة وانا أصور واعمل كل حاجة أو تاخد الـ ٣٠٠ ألف وتسيبني أبيعها أنا براحتي.

حينها أطرقتُ قليلًا قبل أن يستأنف حديثه:

-ها قلت إيه؟؟

-خلاص يا عم هتصور زي ما قلت.

ومن ثمّ أنهيت مكالمتي وأنا أردد بداخلي دع عنك تلك الأوهام؛ فذلك المسافر ما قتله سوى تلك القطعة الزجاجية التي استقرت برقبته، إنها مجرد قطعة معدن عجيبة يتقلب لونها وبريقها لعدة ظروف وعليّ أن أنتهي من بيعها قبل أن يخبو بريقها للأبد، ومن ثمّ ذهبتُ نحو تلك النتيجة المعلقة بردهة منزلي، وقطعتُ منها العديد من الأوراق حتى بلغت تلك الورقة التي تحمل تاريخ اليوم، واتجهتُ نحو مرآتي وارتديتُ دلايتها ممسكًا بورقة النتيجة بيدي اليسرى، وأخرجتُ هاتفي وبدأت التصوير، ولكن لم تمر أكثر من خمس ثوانٍ حتى أحسستُ بلهيبٍ استعر بصدري في موضع القلادة؛ فأسقطتُ الهاتف والورقة من يدي، وبينما كنتُ أحاول انتزاعها أحسستُ أن جيوشًا لا تُرى من النمل تأكل من جلدي عند موضع

القلادة وتنتشر حولها؛ فنزعتها وألقيتها بعيدًا، لكن استمرت تلك الجيوش الآكلة في الانتشار سريعًا صعودًا نحو رقبتي ووجهي ورأسي وذراعيَ ونزولًا نحو صدري وبطني وقدمي؛ فصرتُ أصرخ وأنا أفرك وجهي ورأسي، بينما ألقيت جسدي على الأرض وصرت أتقلب من هول الألم الذي أكابده، بينما امتد ذلك الإحساس ليغطي سائر جسدي لعدة ثوانٍ مرت عليّ كدهرٍ من الزمن، ثم سكن كل شيءٍ بلا مقدمات..

سكن كل الألم فلم أكـ أشعر بجسدي..

سكنت كل الأصوات فلا أسمع حتى صوت شهيقي..

حتى عيناي لم يتراءى لهما سوى سوادٍ مطبق.

وما هي إلا ثوانٍ حتى تبادر إلى رأسي هدير مئات الأصوات المتداخلة من حولي، وكأنني أسمع كل ما يُقال في حيّنا بأكمله، أطفال ونساء وشيوخ ورجال، وكأنهم حولي بغرفتي، كل قطةٍ تموء، كل صرير بابٍ يتحرك، كل مذياعٍ داخل سيارة، ثم برز من بين تلك الأصوات صوت الحاتي الذي يبعد عن منزلي بأكثر من مائتي متر، وظهر فريدًا مميزًا وكأنه يواري باقي الأصوات وهو يقول:

-باقي...

ومن ثمّ عادت الأصوات المتداخلة مرة أخرى غازية مسمعيَ لثوانٍ حتى برز صوتٌ لا أعرفه مثل بروز صوت الحاتي وهو ينطق:

-مية...

لتعود من بعدها تلك الفوضى في رأسي، ثم تتضاءل مرة أخرى مع بروز صوتٍ مميز جديد لامرأةٍ تقول:

-وتلاتة.

وهكذا دواليك، فوضى من الأصوات تتكرر بداخلها جملة واحدة من أشخاصٍ مختلفين بكل مرة:

-باقي مية وثلاثة.

سمعتُ تلك الجملة لثلاث جولات قبل أن أفقد وعيي ويسود الظلام وتنقطع سائر الأصوات.

*****

الفصل الثاني

لا أدري كم استغرقتُ في سباتي، ولكن يبدو أنني قد أطلت في ذلك السكون لساعات؛ فقد كان جسدي يئن من طول الرقود على تلك الأرضية الصلدة، لكن الغريب أنه ما زال هناك كثير من الأصوات المتداخلة تتردد من هنا وهناك داخل رأسي بمستوى واحد ليس بالمرتفع، ولكن تداخلها يخلق صخبًا لا يتوقف، فقمتُ من رقدتي واضعًا كلتا يديّ على مسمعيّ علّني أمنع تلك الشوشرة من التدفق إلى أعصابي السمعية؛ متمنيًا أن أكون بكابوسٍ وأفيق منه ولو بعد حين، ثم اتجهتُ نحو المرآة ناظرًا إلى صدري؛ فلم أجد أي أثرٍ لحروق تعلوه، ولكن ما إن وقعت عيناي على انعكاس القلادة في المرآة والتي كانت ملقاة بأرضية الغرفة حتى تجاهلت أمر تلك الأصوات، واتجهتُ نحوها متوجسًا، ومن ثم التقطتها مشدوهًا مما آل إليه حالها؛ فقد كان لون دلايتها قد تحول للنحاسي الغامق، نفس اللون الذي كانت عليه حين رأيتها أول مرةٍ على صدر صاحبها قبل أن تتحول للون الذهبي البراق بعد موته، أما السلسلة الذهبية التي كانت تحملها والحلقة الصغيرة التي تمر منها فوق الدلاية فكانتا على حالتهما ذهبيتان بلا تغيير، وحينها جلستُ على طرف سريري أتأملها وقد تبخرت كل أحلامي.

ثم أشعلتُ إحدى سجائري بغيظ بينما يدور بذهني نقطة إسعاف منطقة الكسارة التي لن أغادرها، وأرغفة السمين ومنزلي وحياتي، وحينها انتزعتني من أفكاري تلك الأصوات التي لا تهدأ؛ فوضعتُ سبابتيّ في أذنيّ مرة أخرى، ولكنها لم تمنعها من التردد داخل عقلي، وكأنني لا أسمعها بأذنيّ بل تتردد داخل رأسي مباشرة، حينها لوهلة ميزت صوت أم مريم من بين تلك الأصوات وهي تُخاطب زوجها الأستاذ إبراهيم موظف

الوحدة المحلية لمنطقة السيدة زينب، واللذان يقطنان بالشقة التي تعلو شقتي، ولكن الغريب أنني ما إن ركزتُ سمعي نحوهما حتى سمعتهما وكأنني أرقد بينهما، وتضاءلت حينها سائر الأصوات الأخرى أو بالأحرى خفتَ مستواها بعقلي إلى حدٍ كبير:

-شوف حل لموضوع القولون دا يا راجل، الموضوع كل شوية بيزيد والأوضه بتبقى مشبرة ومكمكمة طول الليل.

-ما انتي اللي بتكتري التوم في الأكل يا زينب.

-طب لعلمك الأكل النهارده ماكنش فيه ولا فص توم.

-خلاص بقى يا ولية اتخمدي احنا وش الفجر وهبقى اروح أكشف بكرة في التأمين الصحي.

بعدها بقليلٍ ميزتُ من بين تلك الأصوات التي عاودتني بعد انتهاء حوار أم مريم مع زوجها؛ صوت الحاج لطفي الساكن بالطابق الثالث وهو يقوم من مرقده مرددًا:

-أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

ثم صوت نعليه وهما يحتكان بالأرض، ويبدو أنه متوجه للحمام كي يتوضأ لصلاة الفجر، ثم ميزت صوت تلفازٍ بالبناية المواجهة لبنايتنا، أتبعه صوت راديو مشغل على إذاعة القرآن الكريم بالبناية التي على يمينها، ويبدو أن تلك الملَكة لا تقتصر على سماع كل الأصوات المحيطة في إطار دائرة قد يصل قطرها لما يقارب الكيلو مترًا؛ بل يمكنني من خلال التركيز على صوتٍ من بينها أن أسمعه جليًا، وأن أحدد موقعه بينما يخفت حينها دبيب سائر الأصوات الأخرى، وما إن أنتهي من تركيزي عليه إلا وتعود لتتداخل في عقلي من هنا وهناك مسببة ذلك الهدير المزعج، ولكن في خضم كل تلك الشوشرة التي شتت تركيزي، رن بأذنيَ صوت نور من غرفتها بالطابق الثاني في البناية المواجهة، حينها ركزتُ سمعي نحوها؛ فتضاءلت تلك المحادثات المتشابكة من جديد؛ لأسمعها وهي تحادث

صديقتها عبر الهاتف:

-والله أنا مرعوبة من الميدتيرم دا، وشكلي مش هحل فيه حاجة خالص.

فردت صديقتها الذي كان صوتها بارزًا من هاتف نور:

-دا انتي يا نور حنبلية أوي، هو فاينال يا بنتي! دا ميدتيرم، عادي قشطة يعني، سيبك انتي من الامتحان، إيهاب وصل زي ما كنتي متوقعة؟

-أيوه يا ستي وصل، بس على ما رجعت من الكورس وطلعت البلكونة كان قفل شباكه اللي باصص ع الشارع.

حينها أسرعتُ إلى النافذة الموجودة بصالة منزلي ففتحتها وجلستُ على كنبتي وأشعلتُ سيجارة أخرى بينما رفعتُ رأسي نحو نافذتها، فسمعتها تقول:

-استني كده، دا فتح شباكه أهوه، اقفلي بقا أما اعمل نفسي طالعة أنشر أي حاجة في البلكونة.

-إنتي عبيطة يا بنتي! حد بينشر حاجة الفجر؟! وبعدين أنا قلت لك مية مرة إيهاب دا شكله خام خالص وعمره ما هيتغير، هو لسه في حد بيقعد سنة ولّا أكتر مقضيها نظرات وابتسامات؟ دا إيه الحب الأفلاطوني دا؟! إن كنتي بتسمي دا حب يعني!

-خلاص اقفلي اقفلي، مش هطلع يلّا سلام.

بعدها بثوانٍ معدودة لمحتها بينما كانت تلك الشوشرة قد عادت إلى رأسي، وقد أطلّت من بلكونتها ترتدي إسدالًا زهريًا، ثم أمالت خصرها لتنشر منشفةً كان جليًا جفافها فتلاقت أعيننا، ولكن الغريب أنني كنت أراها في تلك الإضاءة الباهتة كما لم أرَها من قبل، وكأنها تقف أمامي ولا يفصلني عنها عدة أمتار، فلأول مرة ألمح تلك الحسنة الصغيرة أسفل يسار ثغرها، ويبدو أنني كنتُ أدقق فيها النظر هذه المرة أكثر من أي وقتٍ مضى؛ فلاحت ابتسامة على ذلك الثغر، والحقيقة أنني لم أكن لأتجرأ على

ذلك التبجح إلا لأنني كنتُ وكأنني أجرب قدرتي على الإبصار التي يبدو أنه قد أصابها ما أصاب قدرتي على السمع، وما إن دخلت نور وأغلقت بابها حتى مددتُ رأسي خارج نافذتي؛ لألاحظ أنني أستطيع قراءة اليافطات الصغيرة المُعلقة بآخر الشارع بكل وضوح، وأن أرى تفاصيل وجه السائر على بعد كبير، حتى النوافذ المفتوحة كنتُ أستطيع أن أرى من خلالها.

حينها أغلقتُ نافذتي عائدًا نحو غرفتي وكان الصباح قد أشرق، وكلما تمادى النهار أكثر كلما زادت الأصوات والمحادثات من هنا وهناك؛ فكنتُ أضع يداي على أذنيّ محاولًا حجبها دون طائل، ولكنني ما أن أركز في صوتٍ أبغي سماع حديثه إلا وتتضاءل كل الأحاديث الأخرى وتصير كهمهمةٍ خافتة بالكاد أميز بها الكلمات ويظهر ذلك الصوت جليًا، وبعد تجربة هذا الأمر أكثر من مرة نجحتُ في السيطرة على كل تلك الأصوات المترددة أو بالأحرى تضئيلها وإهمالها إلى حدٍ كبير حتى صارت كتلك الهمهمة الخافتة ودون الحاجة للتركيز على أي صوتٍ حتى تتضاءل.

وحينها كنتُ مذهولًا من أمر تلك الحواس التي أصبحت فائقة القدرة أكثر من لوعتي على فقدان كنزي الذي لم أعد أدري كنهه وما يخفيه من أسرار؛ سحرًا كان أم طبيعة خارقة، ولمَ تحولت تلك القلادة لمعدن ذهبي حين خرجت روح مرتديها ومن ثمّ عادت لهيئتها الأولى حين تقلدتها من بعده؟ وهل معنى ذلك أنها لن تعود لتلك الحالة الذهبية إلا بخروج روحي؟ أضف إلى ذلك حيرتي في أمر تلك الجملة التي ترددت بأذني لثلاث مراتٍ قبل أن أفقد وعيي: "باقي مائة وثلاثة"، آلاف من علامات الاستفهام تطل برأسها داخل سراديب عقلي وتنهش فكري؛ حتى أفقت على مشهد هاتفي الملقى بجوار المرآة؛ فالتقطته ووجدته مغلقًا إثر ارتطامه حين كنتُ أصور ذلك الفيديو، فأعدتُ تشغيله لأجد رقم صلاح وقد حاول الاتصال بي عدة مرات، وما هي إلا ثواني ودق الهاتف برقمه الذي خاطبني معنفًا:

-فين يا عم الفيديو اللي قلت هتبعته من امبارح؟ وبعدين تليفونك

مقفول ليه من ساعتها؟

حينها تلعثمت قليلًا قبل أن أجيبه:

-معلش راحت عليا نومه، وهبعت لك الفيديو حالًا.

ومن ثمّ أنهيت المكالمة وشغلت الفيديو الذي كان في بدايته طبيعيًا للغاية، أصور نفسي بالمرآة مرتديًا قلادتي وبيدي الأخرى ورقة النتيجة، وإذ فجأة صرتُ أرتجف كمن يُصعق بالكهرباء بنفس الانتفاضة التي اعترت ذلك المسافر حين خرجت روحه، وكان لون الدلاية يتحول من اللون الذهبي إلى اللون النحاسي قبل أن يهوي الهاتف من يدي ويتوقف الفيديو.

حينها قمت بقص الفيديو حتى ينتهي قبل اللحظة التي سقط فيها الهاتف من يدي وأرسلته إلى صلاح ثم أغلقتُ هاتفي، وبذات الوقت لملمتُ ملابسي واتجهتُ نحو محطة مترو الأنفاق في طريقي نحو مقر عملي متجنبًا المرور من أمام محل صلاح، على الرغم من كون الغد هو موعد عودتي ولكنني كنتُ أحاول أن أمنح نفسي مزيدًا من الوقت متحاشيًا لقائه حتى أجد حلًا يعيد تلك القلادة إلى سيرتها الأولى؛ خاصة وقد أنفقتُ أكثر من نصف الأموال التي منحني إياها.

وطوال طريقي وأنا بين الفينة والأخرى ألاحظ أنني أقرأ اليافطات البعيدة وأرى تفاصيل الوجوه من مسافاتٍ كبيرة، ولكن لم يكن هذا ما يُريبني فقد كنتُ مسيطرًا على حالي بشأن ما أرى، أما بخصوص ما أسمع فبخلاف تلك الهمهمة الخافتة التي تلازمني؛ فقد كان يتردد داخل رأسي تلك الأحاديث التي أوجه سمعي نحوها وكأنني أتوسط متحدثيها مهما بعدوا في إطار تلك الدائرة الكبيرة، فسمعت أحاديث يدور رحاها بين المترجلين والراكبين؛ الجالسين والسائرين، في عربات المترو أو الشاحنات، ولكنني كلما مر بي الوقت كلما أصبحتُ أكثر سيطرة على أمري؛ فتلك الهمهمة الخافتة التي تلازمني والتي بالكاد أميز بداخلها كلمات صار دبيبها يخفت أكثر وأكثر؛ حتى صارت مثل طنينٍ خافت لا

أميز به أية كلمات، ومن بعدها خبى الطنين شيئًا فشيئًا حتى اختفى وصرتُ لا أسمع طنينًا أو همهماتٍ تأتي من بعيد، فعاد إدراكي السمعي للحالةِ التي كان عليها قبل ارتداء تلك القلادة، ولكنني ما إن أوجه تلك الحاسة إلا وأستمع لما أرغب في الاستماع إليه في إطار تلك الدائرة الكبيرة، ولكن كنتُ أسمع كل الأصوات بمستو قوةٍ واحد القريب منها أو البعيد أو حتى من يقف أمامي، ومن ثمَّ بلغتُ نقطة إسعاف منطقة الموت، ولكن بروحٍ مُغايرة عن تلك التي رحلتُ بها بالأمس؛ مطرقًا، شاردًا وكئيبًا؛ فأصعب ما في التعلق بالأمل هو تلك اللحظة التي تفلت بها يديك؛ فقضيتُ ساعات على حالي إلى أن قررتُ إعادة تشغيل هاتفي، وحينها جاءني اتصال أتوقعه؛ فقد كان رقم صلاح الذي ما إن أجبته إلا ورد بنبرةٍ منفعلة:

-هو دا الفيديو اللي اتفقنا عليه؟؟

-معلش يا صلاح اتصلوا بيا في النقطة وقالوا لي احضر حالًا.

فرد وقد تصاعد غضبه:

-يعني إيه احضر حالًا، وانا مالي بالكلام دا؟! الفيديو ماكانش هاياخد منك دقيقة تصوير.

-ما هو أنا كنت بصوره لما التليفون رن برقم الشغل؛ فاتلبخت ونسيت بعدها إني ما صورتش الفيديو كامل.

-طيب خلاص صوّره عندك في النقطة اللي انت فيها.

-ما ينفعش خالص يا صلاح، ما بخلاش بنفسي لحظة ومافيش هنا مرايات.

-طيب براحتك يا إيهاب، بس احنا لسه بينا اتفاق.

قالها ساخطًا ومن ثَمَّ أنهى المكالمة، وقطعتُ الليالي من بعدها حائرًا أفكر بأمر تلك القلادة، ولكن ما استرعى انتباهي بعد مرور عدة أيام أن تلك

القدرات آخذة في التناقص شيئًا فشيئًا؛ فلم أعد أستطيع توجيه سمعي فأستمع إلى زملائي بينما أقف بعيدًا عن النقطة، بل زاد الأمر حين صرتُ لا أسمعهم وأنا أقف خارجها مباشرةً، حتى نظري بدأ في التراجع تدريجيًا حتى مر على قدومي عدة ليالٍ عادت فيها كل حواسي إلى ما عهِدتُها عنها من قبل تقريبًا؛ فاستبشرت لذلك خيرًا، وظننت أن بذلك سيعود سحر تلك القلادة إليها، وانتظرتُ مستبشرًا حدوث ذلك ولكنه لم يحدث، فقررتُ حينها ارتدائها مرة أخرى فلن يحدث لي أسوء مما حدث من قبل، ودار بذهني أنه من الوارد أن ذلك السحر لا يعود إليها مرة أخرى إلا إذا ارتديتها، ولكن خابت ظنوني وظلت القلادة على حالها حتى بعد أن جازفت بارتدائها، ولكنني ظللت محتفظًا ببصيص أملٍ في عودتها، ولكن الأسوأ الذي لم أحسب له حسابًا أنني بمرور الليالي بأواخر أسبوعي الثاني بدأتُ ألاحظ أن حواسي الطبيعية آخذة في التناقص تدريجيًا، فكنت أحاول تكذيب ذلك الهاجس معللًا بأن قدراتي كانت قد زادت إلى حدٍ كبير، وعندما تتراجع عن تلك الزيادة فلا بُد وأن يعتريني ذلك الشك بأن حواسي تتناقص قدراتها الطبيعية؛ حتى صبيحة يوم رحيلي الذي لاحظت فيه جليًا بعد استيقاظي من نومي أنني لا أستطيع أن أرى الأرقام بوضوح على هاتفي، ولا أسمع صوت السيارات المسرعة أثناء رقودي بغرفة المبيت، وحينها تيقنتُ بأنني صرتُ بلا قلادة ذهبية تحمل مستقبلًا مشرقًا، ولا حواس استثنائية بديلًا عنها، بل حتى حواسي الطبيعية آخذة في التآكل ولا أعلم إلى متى، فقمتُ من رقدتي وجمعتُ أغراضي ورحلت نحو منزلي خائرَ القوى منقطع الرجاء لا أحمل سوى أطنانًا من اليأس، وجبالًا من خيبة الأمل جثمت فوق عقلي وروحي؛ فصرتُ متبلدَ الفكر والإحساس لا أقوى حتى على التفكير في ذلك المأزق الذي أوقعت نفسي فيه وصار يحاصرني من كل الزوايا..

تذكر انك حملت تلك الرواية من موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة

وفي المساء بعد أن كابدت كل تلك الخيبات وحيدًا بمنزلي لساعاتٍ

قررتُ أن أتوجه نحو كوبري الجامعة سيرًا على قدماي علّني أروّحُ عن نفسي بنسيم ليل النيل أو أنهي حياتي البائسة بين أحضانه؛ فسرتُ لا أدري بنبض الحياة من حولي حتى عبرتُ ذلك الكوبري الصغير المواجه لمستشفى القصر العيني الفرنساوي، وحينها لم أستغرب حالي عندما أخلفتُ عادتي ولم أجدْ في سيري حين بلغت أول سور قصر محمد علي، ولم يعترِني ذلك التوجس الذي كان دومًا يُراودني من تلك المنطقة الهادئة التي تقطع الصخب الصارخ بين المنيل وشارع القصر العيني، وكأنني أصبحتُ متعايشًا مع قناعةٍ مفادها أنه لن يحدث لي أسوء مما حدث، وما أن بلغتُ منتصف ذلك السور الشاهق إلا وتوقفتْ إلى جواري إحدى السيارات المارة والتي يغطي زجاجها ذلك الغلاف الأسود، ثم نزل من بابها الخلفي من قال:

-صلاح بيه عايزك.

فلم أفزع أو أتقهقر، وكأن تلك القناعة قد بلّدت مشاعري أو بالأحرى كنتُ أعلم مَن خلفه قبل أن ينطق اسمه، بل كنتُ مستغربًا قبل تلك اللحظة من تأخر ذلك اللقاء وانعدام مكالماته من بعد آخر مكالماتنا؛ فقد كنتُ أتوق لإنهاء تلك المسألة العالقة حتى أتفرغ لحالي البائس، وكل ما أثار حفيظتي لوهلةٍ هو تلك الطريقة السينمائية في ترتيبه، فلم يكن بحاجةٍ لمراقبتي إلى أن يستدعيني من إحدى المناطق الهادئة، بل كان يكفيه أن يطلبني فكنتُ وقتها لبيت ندائه، وحينها ركبتُ بالكنبة الخلفية متوسطًا ذلك المستدعي وشخصًا آخرًا ضخم الجثة، وما هي إلا لحظات وأحسستُ بانغراس سن مبضع بعضلة فخذي في ظلام السيارة الهين؛ ليسود من بعدها ظلام دامس، ومن ثم أفتح عينيّ بعد أمدٍ لا أعلمه في غرفةٍ متهالكة يبدو أنها جزءٌ من منزلٍ مهجور، ملق على أرضيتها بلا قيود؛ فلا يوجد بجسدي النحيل ووجهي الشاحب ما يدفع أولئك الثلاثة الأشداء ورابعهم الذي لم يكن سوى صلاح للقلق من ناحيتي، والذي كان شاخص العينين مكفهر الوجه وما أن استفقت حتى نطق بصرامةٍ:

-فين الدلاية الحقيقية يا إيهاب؟ إحنا ما لقيناش معاك إلا دلاية مضروبة،

حتى لما أخدنا مفتاح شقتك وفتشناها ما لقيناش حاجة، بعتها لمين وبكام؟

وحينها اقترب مني وأمسك بتلابيبي وجذبني بعنف حتى وقفت أمامه فاستأنف:

-أنا جالي فيها بيعة بمليون دولار يا ابن الكلب، وتلاقيك رحت بعتها بخمسمية ألف جنية واحنا بينا اتفاق وواخد عربونه.

حينها رددتُ مذهولًا:

-ما بعتهاش والله، سيبني بس أحكي لك حكايتها من الأول.

فأفلتني قائلًا:

-طب احكي أنا سامعك.

فبدأتُ أحكي قصة القلادة كاملة من وقت أن وجدتها مشفوعًا ذلك برأيي في كونها معدن فريد تتحول هيئته وقد تعود سيرتها الأولى بأي وقت، أما بخصوص أمواله التي دفعها إلي؛ فالسلسلة الذهبية التي تحمل القلادة قد تكفي حق أمواله التي دفعها لي؛ فهي ما زالت على حالها.

حينها اكفهر وجهه ونطق جازًا على أسنانه:

-فين الدلاية الحقيقة ياله، ماتظنش إن الفيلم الهندي دا هيدخل عليا، إحنا بينا اتفاق بغض النظر خالص عن الخمس بكاوي اللي أخدتهم.

-والله العظيم دي الحقيقة، أقسم بالله ما بكدب عليك.

حينها انحنى أحد مرافقيه على أذنه؛ فلمعت عينا صلاح حين عاد نحوي مبتسمًا:

-خلاص أنا مصدقك، ومعنى كلامك كدا من الآخر إنها لما بتتلبس لونها وسحرها بيروحوا، ولما بتخرج روح اللي أخد سحرها بيرجع لها السحر من تاني؛ فاحنا إذا قتلناك دلوقتي وكان كلامك صدق الدلاية دي هترجع

لوضعها، أما لو كنت كداب؛ فهتفضل زي ما هي ووقتها بردو هتكون تستحق القتل.

وقتها نظرت نحوه فزعًا:

-إنت تقصد إيه بكلامك دا؟

-أقصد إنك يا إما تقول مخبيها فين أو بعتها لمين دلوقتي حالًا وتعطيني رقمه وبياناته، يا إما هنقوم بالتجربة اللي انت دليتنا عليها، وانت راجل وحيد وما حدش هيسأل عليك، وهيلاقوا جثتك في النيل بعد كام يوم ويقولوا انتحر أو ممكن ما يلاقوهاش حتى، والجميل إن ما حدش شافك وانت جاي لي؛ حتى العربية اللي جيت فيها نمرها مضروبة.

-والله ما بعتها لحد عشان أقول لك عليه.

حينها أشار صلاح برأسه لاثنين من رجاله اللذين تقدما نحوي وبيد أحدهما حبل غليظ، ويبدو أنني قد أخطأت حين أبلغتهم بحقيقة أمري، فليست كل الحقيقة منجية.

*****

الفصل الثالث

وما أن بدأ في الاقتراب مني إلا وبدأ الهلع يغزو كل ذرات جسدي، وصرتُ بتلقائية بعثتها في غريزة البقاء أتراجع ملتفتًا يمينًا ويسارًا لأبحث عن فرجة أهرب منها أو عن شيءٍ أدافع به عن نفسي، حينها أحسستُ بتلك المحادثات المتشابكة تعود لرأسي دفعة واحدة، لكن الأغرب من ذلك أنني صرتُ أراهم جميعًا يتحركون ببطءٍ كبير عن الحركة الطبيعية التي اعتاد عقلي على ترجمتها؛ حتى أصواتهم كانت وخيمة متراخية، وكأن عقرب الثواني صار يتحرك مرة كل ثانيتين، وكأنما أشاهد تسجيلًا مصوَرًا بالحركةِ البطيئة، واشتعلت كل حواسي من جديد، وحينها ركزتُ سمعي وكل تلك الحواس على أولئك الأربعة؛ فاختفت كل الأصوات عدا أصواتهم

فصرتُ أسمع دبيب قلوبهم، واحتكاك الهواء بتجاويفهم الأنفية ووقع خطواتهم، صرتُ وكأنني رادارٌ بشريٌ يرسم أبعاد المكان وحركة من فيه؛ فقررتُ حينها أن أنقذ نفسي، وما إن تقدم أحد القادمين الذي كانت يداه فارغتين خطوة عن مرافقه حتى بادرته بخطوةٍ سريعة أعقبتُها بركلة بين قدميه لم يحسب لها بالًا ليتداركها، وبتلك اللحظة تقدم مرافقهُ موجهًا لكمةً نحوي؛ فانحنيتُ متفاديًا قبضته بكل يسرٍ، ومن ثَمّ درتُ من خلفهِ حين لمحت ثالثهم الذي كان يقف خلفهما بمقدار ثلاث خطوات وهو يمد يده التي تعتمر قفازًا جلديًا نحو خصره؛ فانقضضتُ عليه بركلةٍ من قدمي أعلى عقبيه فسقط على الأرض، وأثناء سقوطه الذي كنتُ أراه بطيئًا مددتُ يدي واستللت ذلك السلاح الناري المحشور بحزامه؛ بينما كان صلاح والاثنان الآخران في طريقهم للهجوم عليّ؛ فأطلقتُ أربع رصاصاتٍ دوى صوتهم عاليًا مخلفًا أربعٍ من الجثث وحينها عادت إلى أذنيّ تلك الأصوات الهادرة، ومن ثَمّ تردد بداخلها جملة جديدة:

-بقيَ تسع وتسعون.

تكررتْ وسط الهدير لثلاث مراتٍ بأصوات أناس لا أعرفهم، ولكنني لم أفقد وعيي بعدها، بل كنتُ منتفضًا من منظر الدماء التي تفجرت من منتصف جبهة كل من القتلى الأربعة، لا أدري كيف فعلتها؛ فقد كنتُ أتحرك كشبحٍ أسود في ظلامٍ دامس، وأصوب كقناصٍ لا يشق له غبار، ولكنني كنتُ أدرك جيدًا أنها غريزة البقاء التي انتفضت بداخلي وانتفض معها ذلك السحر بعد ذبوله، لا أعرف لمَ ذهب عني؟ ولمَ عاد إلي؟ وإلى متى سيستمر؟ وما مصدره؟ وكيف الخلاص؟ ولكنني صرتُ أعرف أمرًا واحدًا؛ وهو أن هناك عدًا تنازليًا للأرواح التي يجب على حامل ذلك السحر أن تتلطخ يديه بدمائهم، فقد كان العدد الذي يتردد في رأسي قبل قتل أولئك الأربعة هو مائة وثلاث وبعد مقتلهم صار العدد تسعة وتسعين.

حينها كنتُ مرتعدًا بين غياهب الأفكار لا أدري ماذا أفعل ولمن أذهب بعد تلك الكارثة؛ متحسرًا على قرار شؤمٍ اتخذته حين استللت تلك القلادة من صاحبها وحين ارتديتها لأبيعها، وبينما كنتُ لا أزال مشدوهًا بمنتصف

قتلاي الأربعة طرأ إلى ذهني أن أضع تلك الفوهة المعدنية بين أسناني وأطلق رصاصة خامسة ومن ثمَّ أنهي كل هذا العناء؛ فرفعتُ ذلك السلاح أمام عينيّ ناظرًا إليه بتوجس لعدة ثوانٍ وكأنني أستشيره، ولكن لم تواتِني الشجاعة لوضع فوهته الساخنة بفمي؛ فأنزلتُ يدي القابضة عليه إلى جواري يائسًا حين وقع نظري على تلك القلادة التي كانت مُمددة إلى جوار جثمان صلاح، فاليوم كان صلاح ورفقائه، وقبلها كان ذلك المسافر الذي ارتاح من عنائها وتركه على عاتقي، ولكن حينها قفز إلى ذهني أن أبحث خلفه؛ فقد يكون لدى ذويه فكرة عن أصلها وطريقة للتحرر من قيدها؛ فانحنيتُ ملتقطًا سر عنائي وحينها كانت تلك الأصوات المتداخلة قد مرت منذ أن تردد الصدى بمرحلة الهمهمة، وبعدها الطنين، ثم الخبوت والزوال، ولم يستغرق ذلك الأمر وقتًا طويلًا كالمرةِ الأولى التي عايشتها، بل كان الأمر سريعًا وكأن عقلي قد اعتاده، وحينها هممتُ بالخروج من باب الغرفة لصالة هذا المنزل المهجور؛ لأفاجأ بكهلٍ قد أحنى الزمن ظهره يخرج من باب الغرفة المقابلة المظلمة ببطء، لكنني لمحتُ من خلال الضوء الخافت المتسرب من الغرفة التي كنتُ بها أن عينيه تحملان بريقًا غاضبًا لا تحمله أعين البشر؛ فتغلغلت بكل أوصال جسدي رعشة باردة اضطربتْ لها أنفاسي وارتجف قلبي؛ فبادرني أثناء اقترابه البطيء:

-إنت مين وإيه اللي جابك هنا؟؟

لتحميل المزيد من الكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات

حينها كنتُ أصوب نظري مركزًا على عينيه وكأنني أحاول أن أنفذ بنظري داخلهما أو أرى ما تخفيهما، فإذ بصورته الماثلة أمامي تبهت شيئًا فشيئًا حتى اختفت أثناء اقترابه، ومن ثمَّ بدأتُ أرى مكانها صورة متقطعة أمام عينيّ تظهر وتغيب في نبضاتٍ بصرية متلاحقة لشيءٍ ضخمٍ تكاد رأسه المحدبة من عند الذقن والمفلطحة من عند قمتها أن أن التلامس سقف تلك الصالة، فكان لونه أخضر شفافًا وكأنني أراه من خلال منظارٍ للرؤية الليلية، ولكنني أرى بذات الوقت الجدار من خلفه، فكانت كل قدمٍ بحجم

رجلٍ قصير، وذراعاه المفتولان متدليان إلى جوار جسده المحني للأمام كما العجوز؛ حتى تكاد أظافره الطويلة تجاوز ركبتيه، وكان بكل قدمٍ وذراع ثلاثة أزواج من الأفرع الرفيعة المتراصة على مسافاتٍ واحدة على جانبي كل ذراعٍ وقدم، وتتدلى تلك الأفرع جميعًا حتى تلامس الأرض وتزحف من خلفه أثناء حركته ببطءٍ تجاهي؛ فنظرتُ حينها نحو عينيه اللتين كانتا كثقبين أسودين بذلك الكيان الأخضر تحت قرنين ينبتان من منتصف جبهته ويميل كل قرنٍ منهما نحو جانبٍ من جوانب رأسه الملساء، وما إن نظرتُ نحوهما حتى توقف الكهل على بعد ذراعٍ مني، والذي عاد فجأة للواجهة واختفت صورته الخضراء الأصلية، فكان يُدقق بعينيّ مذهولًا وقد خبت بريقهما قليلًا، وكأنما هاله أنني كنتُ أراه بصورته الجنية الحقيقية وليست صورة الكهل التي يتجسد فيها، بينما عدتُ لأدقق بدوري في عينيه أثناء سريان تلك الارتعادة بكل نسيجٍ داخل جسدي، ولكنني تمالكت نفسي وقلث بكلماتٍ متقطعة وحلقٍ جاف:

-أيوه أنا شفتك، لكن أنا ما قصدتش إني أقتحم مكانك، أنا جيت هنا مخطوف.

حينها كان يتراجع مرددًا:

-ارحل في سلام، واتركني وأهلي في سلام.. ارحل في سلام، واتركني وأهلي في سلام. ارحل في سلام واتركني وأهلي في سلام.

حتى اختفى بداخل الغرفة التي كان قد خرج منها ببداية لقائنا؛ فخرجتُ حينها مسرعًا من ذلك المنزل المهجور، وقد أضفتُ إلى قدراتي قدرة جديدة وهي كشف الجن المتجسد إن أراد مهاجمتي؛ لأجد نفسي بين ظهران أرض مقابر شاسعة يتخللها عدة بيوتٍ مهجورة والفجر قد أوشك على البزوغ، بينما تدوي أبواق سيارات شرطة، ميزتها من بعيدٍ تُحاصر المنطقة من كل الجهات؛ فوقفتُ أمام الدار مستسلمًا منتظرًا قدومهم، فيبدو وكأن القدر قرر أن يرسم لي دربًا مختلفًا وقررتُ أن أجاريه، فلن أضيف إلى أحمالي حمل هارب من العدالة إثر جريمةٍ أنا منها براء؛ فقد

كنتُ أدافع عن نفسي ضد أربعة من الثيران، إذًا فلأثبت براءتي بتسليم نفسي لهم ومن ثمَّ أحاول أن أصل إلى أصحاب تلك القلادة بعد خروجي مبرئًا، وما إن بلغوني حتى ألقيتُ سلاحي أمامي ورفعت يديَّ فوق رأسي؛ فنزل من سيارات الشرطة مجموعة من الشرطيين شاهري أسلحتهم؛ فأرقدوني وقيدوا يديَّ خلف ظهري بالأساور الحديدية، ثم اصطحبوني نحو قسم الشرطة، وأودعوني بالحجز بعد أن جردوني من كل مقتنياتي بما فيها تلك القلادة؛ حتى أعرض على النيابة بالصباح، وما إن دفعني ذلك الجندي داخل غرفة الحجز وأغلق بابها خلفي حتى رأيت صفين من الأسرة مزدوجة الطوابق عن يميني ويساري يعتليها ما يُقارب الأحد عشر مسجونًا بملابسهم الزرقاء، منهم من هو مستلق غارق في سباته، ومنهم من اشرأبت عنقه في فضولٍ حول هيئة القادم الذي لم يكن سواي.

فكنتُ لا أزال واقفًا بأول تلك الغرفة أدور بنظري بحثًا عن مرقدٍ فارغ، وحينها قام أحد المساجين الذي لم يكن سوى أشرف من مرقده، والذي علمتُ باسمه حين سمعتُ أحد المساجين يُخاطب جاره مازحًا حول «النمرة» التي سيقوم بها أشرف وبطلها ذلك القادم النحيل؛ فاتجه نحوي حتى أمسكني من رأس حزامي، ومد يده يُفتش جيوبي ناطقًا بنفس كريه يمازج كلماته:

-معكش سجاير ياله؟

فابتسمتُ حينها ابتسامة لم تعهدها عضلات وجهي، ابتسامة واثقة لأبعد مدى، حين بدأت نبضات قلبي في التسارع:

-وانت لسه هاتسأل؟ ما انت شفت بنفسك!

-ماترد من غير لماضة يا ابن الكلب.

قالها منفعلًا وهو يرفع يده ليهوي بصفعةٍ على صفحة وجهي، لكنني تفاديت صفعته حين بدأ كل شيءٍ يعود لتلك الحركة البطيئة، وحينها استل مدية معدنية من جيبه وصار يُطوح يده بها يمينًا ويسارًا محاولًا إصابتي، فكنتُ أتفاداها بكل يسر فيستشيط غضبًا؛ إلى أن قبضتُ على

يده بكلتا يديَّ وضربتها بعنفٍ في عامود أحد الأسرة؛ فأفلت مديته بينما كنتُ أخفض رأسي لأتفادى لكمة من يده الأخرى، وحينها أصبح مواجهًا للسرير بعد أن جلَيت قبضته؛ فأمسكت برأسه وضربتها بعاموده المعدني، ومن ثمَّ أطبقت على رقبته بما بين ساعدي وعضدي؛ فكنتُ أضغط على حنجرته بشدةٍ حين كنتُ أدور بنظري بين أوجه أولئك السجناء البؤساء الذين اشرأبت أعناقهم جميعًا حين سمعوا نعيق أشرف وقد هالهم ما أفعله؛ فانقطع حديثهم وكأن هناك من مر خاطفًا لألسنتهم بعد أن وقف الطير فوق رؤوسهم، ولا أدري لم دار بذهني حينها أن أقتلهم جميعًا، فلن أعدم وسيلة، وأكون قد وصلت للرقم ثمانية وثمانين، وأواصل رحلة القتل من بعدها منتقيًا من الضحايا المغتصبين منهم والقتلة، فقد أقابل منهم الكثير بين أروقة السجون والزنازين التي لن أغادرها إذا ما شرعت الآن في تنفيذ تلك الخطة؛ حتى أنتهي من ذلك العداد لأرى هل ينتهي الأمر بانتهائه، وتعود تلك القلادة لسيرتها الأولى أم لا؟ فلم أعد أدري إلى متى ستستمر تلك القوة؟ وهل من الممكن أن ترحل للأبد مصطحبة كل حواسي؟ ففي تلك الفترة التي كانت تضعف بها حواسي كنتُ أشعر وكأنها ستكمل رحلة الذبول إلى أن أعمى وأصم.

لا أدري ماذا علي إتيانه؟

كل ما أدركه أن هناك من يوشوشني بعدادٍ قادر على إنهائه، وحينها أفلته فارتمى على الأرض وقد ازرق وجهه؛ فصار يسعل لمراتٍ ومرات حتى احمرت عيناه؛ فتحركتُ ببطءٍ ناحيته وهو يزحف مبتعدًا عني، فكنتُ أرى الهلع في عينيه؛ هلعًا من شعاع ثقةٍ يصدر من عينيَّ يوحي بقوةٍ لا محدودة، ثم أدرتُ نظري بوجوه السجناء لأرى فزعًا مماثلًا، ولكنني حينها توقفت، أنا لست بقاتل، هذا الشيء يمنحني القوة ولكنه لا يسلب إرادتي، فعندما قتلت الأربعة كنت أزود عن نفسي؛ فأفقت من تلك النشوة وكأنني أخرج رأسي من تحت ماء بقى نفسي فيه مقطوعًا لفترة، واتجهتُ إلى أحد الأسرة الفارغة؛ فأسقطتُ جسدي لأجلس على حافته، وحينها انطلقت تلك الأحاديث الخافتة بينهم عن هذا العتي الذي دفن كرامة أشرف تحت

قدميه، فالبشر باختلاف ثقافاتهم وقناعاتهم لا يخشون القوة فحسب بل بالأحرى يبجلونها أكثر من خشيتها، وحينها جاءني أحدهم متوجسًا وجلس على السرير المجاور مادًا يده بسيجارةٍ؛ فالتقطتُها مبتسمًا ووضعتها ما بين شفتيّ فأشعلها لي، ودار بيننا حوارٌ أدركتُ من خلاله أنه من سيناء، جاء للقاهرة مصطحبًا زوجته وابنته ليزوروا مستشفى أبو الريش؛ لأن ابنته ولدت بثقبٍ في القلب فيتردد على تلك المستشفى كل ثلاثة شهور، وأنه يقضي مدة حبس قدرها أسبوع واحد لمشاجرة نشبت بينه وبين صاحب مقهى بالسيدة زينب في الزيارة السابقة على الرغم من أنهم هم من أشبعوه ضربًا؛ فقدم حينها بلاغًا بقسم السيدة، ثم عاد في الزيارة اللاحقة ليكتشف أن صاحب المقهى قد قدم بلاغًا مضادًا بمساعدة أمين شرطةٍ يعرفه؛ بعد أن تعرفوا على اسمه من خلال البلاغ الذي قدمه، ثم صدر ضده حكمٌ بالحبس لمدة أسبوعٍ أثناء غيابه في حين حُكِم بالبراءة لصاحب المقهى، وما إن وصل حتى أبلغ أحد موظفي الاستقبال بالمستشفى أمين الشرطة؛ فجاءت قوة من القسم واصطحبوه ليقضي العقوبة التي لم يرضَ أن يُعارض فيها ويسلك دهاليز المحاكم الطويلة، وليكسر نقمة صاحب المقهى الذي عاداه منتويًا حين خروجه أن يذهب إليه ليسترضيه بعد أن علم بكل تلك التفاصيل من أحد جنود قوة القسم الذي منحه من أجل ذلك علبتين من السجائر، فكان يحكي تلك الحكاية بخفةِ ظلٍ ويقهقه بين الحين والآخر حتى أنساني لوهلةٍ ما أنا فيه، وصرنا نتجاذب أطراف الحديث بينما السجناء نياما حولنا إلى أن غلبه النعاس؛ فتركني أنا ونفسي نتجاذب أطراف حديثنا، والذي ذكَّرتها فيه برغبتها في قتل أولئك السجناء، فكم من بريءٍ يتوجب عليّ قتله كي أصل إلى موضع يقينٍ عندما يتوقف ذلك العداد، ولا أدري هل أجد الخلاص عنده، أم أبدأ بالبحث خلف نقطةِ يقينٍ أخرى؟ ولكن لماذا عادت قواي حين شرعتُ في القتل إنقاذً لنفسي واستمرت بعد القتل حتى وقتنا هذا؟ هل ذلك الشيء يتغذى على أرواح قتلاي؟ هل سأضطر للقتل حتى أستمر حيًا أرى وأسمع؟ وما هي المدة بين القتلة والأخرى قبل أن تبدأ حواسي بالذوبان؟ وقبل كل هذا ما أصل ذلك الشيء؟ وكيف الخلاص؟ وهل من الممكن أن

أجد إجابات لكل تلك الأسئلة؟

ظللت بين غياهب تلك التساؤلات حتى أشرق الصباح بلا لحظة نعاس، وحينها تبادر لذهني نبرة صوت ضابط المباحث الذي اصطحبني من المنزل المهجور؛ فألقيت مسامعي تجاهه؛ فإذا به يُلقي التحية على أحد العساكر عند بوابة قسم الشرطة، ومن ثم كنت أسمع دبيب حذائه بين أروقة القسم إلى أن طرق أحد الأبواب وسمعته يقول:

-صباح الفل يا حسن باشا.

-يا أهلًا علي باشا.

-النهاردة عندنا زبون جديد لو حضرتك جاهز نجيبه تحقق معاه.

-مش اللي قتل أربعة امبارح في مدافن زينهم؟

-أيوه هو دا.

-أنا لسه كنت بقرأ في التحريات، ما شاء الله عليكم لما بتحبوا تجيبوا قرار حاجة بتجيبوها قبل ما يطلع عليكم نهار.

-تلاميذك يا معالي الباشا، وبعدين دي كلها استدلالات وتحريات أولية، مهنته وعنوانه وتفتيش بيته، وتفريغ محتويات تليفونه وتليفونات المجني عليهم وكل دا تم في ساعتين معاليك، وفاضل بس رفع البصمات من على السلاح اللي هييجي لمعاليك خلال ساعة، بس الغريب إن الواد دا موظف حكومي؛ شغال مُسعف، ومالوش أي سوابق، ومالوش أي علاقة بالمكان اللي اتقتل فيه، أما المقتولين؛ فمنهم تلاته ليهم سوابق ضرب وبلطجة، والرابع اسمه صلاح، ودا بقى لما استفسرنا عنه من بعض رجالتنا طلع إنه مشكوك في أمره إنه بيتاجر في الآثار على خفيف لكن مالوش سوابق، وكان بينه وبين الجاني كام مكالمة تليفون، وفيديو مبعوت من الجاني للمجني عليه مصور فيه سلسلة دهب، واللي لقيناها مع الجاني سلسلة نحاس.

-قصدك إيه؟؟

-قصدي إن الموضوع فيه بيعة آثار ما تمتش.

-خلاص.. إنت طبعًا مطبق من امبارح ولسه راجع من شغل، روح انت ريَّح تلات أربع ساعات وانا هبص بصة كدا على شغلكم وبعد كدا هبعت أجيبه، قبل ما ناخده على النيابة.

-أوامرك يا معالي الباشا.

-والله يا علي أنا زعلان على حوار إنك هتسيبنا وتروح سينا، إنت كنت ظابط مباحث شاطر.

-خير يا باشا، كل شيء قسمة ونصيب، وبعدين أهو كلها سنة وتعدي وبعدها أحاول أرجع هنا تاني في أول حركة تنقلات.

وحينها استأذن خارجًا، بينما كنت لا أزال ملقيًا مسمعي عند حسن، وما إن خرج "علي" حتى هاتف أحدهم والذي افتتح حديثه:

-دي مكالمة عزيزة والله يا حسن باشا؟

-مكالمة إيه اللي عزيزة يا روح امك، لما انت عارف إن صلاح دا شغال في الآثار يا ابن المرة الـ...، ما بلغتنيش ليه من زمان يا معر...؟ حاطط إيده في بوقك ولا حاططها في حتة تانية؟! خلي بالك دي غلطتك التانية والمرة الجاية مش هرحم أمك.

-ما كُنتش أعرف وحياة ولادي يا باشا.

-ما تعرفش! طب أنا هعرفك ما تعرفش ازاي، من الآخر كدا يا عطية لو حصل دبة نملة عندك في المنطقة وما بلغتنيش بيها أنا هرجعك السجن تاني تقضّي فيه بقية حياتك.

ثم أنهى مكالمته التي أثارت الوجل بقلبي من فظاظته، وحينها كنت لا أدري حين يطلبني لذلك التحقيق ماذا سأقول مدافعًا عن نفسي؟؟ هل أحكي الحقيقة مع اختزال قدرات تلك القلادة وتحولها؛ فأقول أن صلاح

خطفني هو ومن معه متعشمًا بتلك القلادة الذهبية التي ظهرت بالفيديو، ولكنها ضاعت مني ولم يتبقَ إلا قلادة أخرى نحاسية وعندما تفاجأ بذلك قرر قتلي؛ فاستطعث أن أقتلهم، أم أحكي الحقيقة كاملة كما هي؟؟ ظللث مترددًا بين هذا وذاك وما هي إلا ساعة وسمعث صوت جندي يدخل عليه قائلًا:

-نتيجة رفع البصمات يا افندم.

وبعدها بساعةٍ أخرى سمعث صوت جرس مكتبه؛ فدلف إليه أحد الجنود:

-أوامر معاليك يا افندم.

-روح هات لي المتهم بتاع امبارح.

وما إن وصلث إلى غرفته حتى أمر الجندي بفك قيودي والانصراف من بعدها، والذي ما إن خرج حتى أشار حسن إليّ بالجلوس على أحد المقاعد المستندة لمقدمة مكتبه الذي يحمل يافطة باسم/ حسن الشكير رئيس مباحث قسم السيدة زينب، والذي كان شابًا يرتدي قميصًا رصاصيًا يتناسب مع الغموض الذي يكسو قسماته التي تحمل ملامح صرامة يُحاول أن يُخفف من وطأتها بتلك الابتسامة المصطنعة، وقبل أن ينطق أثناء تمثيله الانهماك في عدة أوراقٍ أمامه ميزت صوت نور وهي تستفسر من غرفة النوبتجية التي مررث بها حين قدومي عن اسمي؛ فاضطربث لسماع صوتها إلى أن لاحظت أن بصحبتها شخص آخر يبدو من حديثه أنه أكثر علمًا بدهاليز العمل الشرطي فافترضت أنه محامي، حينها قطع تركيزي صوت رئيس المباحث الذي أزاح أوراقه إلى أحد الأدراج:

-بص يا إيهاب، إنت شكلك محترم وابن ناس وبعدين دا انت راجل موظف حكومي، أما العيال اللي انت قتلتها دي فكلها عيال لبش، أنا عايزك تعتبرني زي واحد صاحبك وتحكي لي الحقيقة كاملة عشان أعرف أصيغها صح وحكايتك دي تنتهي بأقل الخساير ليك، ومن غير وجع دماغ لينا.

-وانا تحت أمرك يا افندم.

-إنت بتشتغل إيه يا إيهاب؟؟

-أنا بشتغل مُسعف يا افندم في نقطة إسعاف منطقة الكسارة.

-طب وإيه علاقتك بصلاح العتربي؟؟

-كان زميلي في ابتدائي وإعدادي وثانوي، وكنت بعرض عليه حاجة عشان يبيعها لي.

-وإيه هي الحاجة دي؟؟

-سلسلة أثرية.

-وجبتها منين؟

حينها أطرقت لأسمع الحديث الدائر بين نور والمحامي الذي تصطحبه مقتربين من غرفة رئيس المباحث، وحينها ظرق باب الغرفة التي نحن بها ودخل أحد الجنود:

-في محامي بره بيقول إنه حاضر عن المتهم يا افندم.

حينها تأفف رئيس المباحث ونظر نحوي قائلًا:

-أول حاجة هينطقها المحامي هيقول إنه مش عايزك تتكلم غير قدام النيابة لكن سيبك من كلامه، أنا متعاطف معاك على فكرة وحاسس إن الحكاية فيها حاجة غلط، فحتى لو قال لك كدا قول له أنا عايز اتكلم، اتفقنا يا إيهاب؟؟

-اتفقنا يا افندم.

حينها أشار رئيس المباحث نحو الجندي برأسه مردفًا:

-خليه يدخل.

وبمجرد أن دخل المحامي برفقة نور الذي كان يبدو أنه في مُقتبل حياته المهنية إلا وتوجه ناحية حسن الشكير ومد يده مصافحًا إياه:

-أحمد سليمان المحامي بالجنايات، وحاضر عن المتهم.

فصافحه حسن بابتسامةٍ متوددة، ثم أشار لهما بالجلوس، واتجه نحو غرفة استراحته الملاصقة لغرفة مكتبهِ قائلًا:

-هسيبكم خمس دقايق مع بعض.

حينها جلس المحامي على كنبة جلدية بجانب الغرفة، وجلست نور على المقعد الذي يوازي مقعدي يشوبها ذلك التوتر الذي يخالج هالة من يزور تلك الأماكن لأول مرة؛ فخفق قلبي لرؤيتها على الرغم من كل هذا الضباب الذي أصبح يُغلف حياتي فقد كانت أجمل من أي وقتٍ مضى، بوجهها البيضاوي وبشرتها الخمرية وتلك الابتسامة التي تُحاول أن تواري خلفها ذلك الجزع الذي كان ظاهرًا في تشابك أصابع يديها الدقيقة حين عاجلتني:

-المباحث جات بعد الفجر تفتش شقتك، ولما عم لطفي جارنا سألهم في إيه؟ قالوا له إنك قتلت أربعة، صحيح الكلام دا يا إيهاب؟؟

حينها كنت أدقق في عينيها البنيتين وأنا أستمع لنبرة صوتها الدافئة متناسيًا خضم ما أنا فيه، فلم يجُل بخاطري يومًا أنني سأراها بكل هذا الجمال، لا أقصد جمال الإطلالة الذي كان جليًا منذ أن رأتها عيناي، بل جمال الروح التي تسكنها، فآخر من تصورت أن يهبَّ لنجدتي هو تلك الفتاة التي لا يربطني بها سوى تلك النظرات المتبادلة، وحينها قطعت تأملاتي بقولها:

-صحيح يا إيهاب ولا إيه؟ ساكت ليه؟؟

-إنتي جبتي المحامي دا ازاي؟؟

-دا أخو واحدة صحبتي، بس انت في إيه ولا في إيه؟! أنا واثقة إنك ما قتلتش حد، قول لي إني صح، وإلا نظرتي للدنيا كلها ها تتغير.

-الموضوع كبير أوي يا نور، لكن اللي لازم تتأكدي منه إني مظلوم،

الأربعة دول كانوا خاطفني وعايزين يقتلوني، أنا كنت بدافع عن نفسي، والبوليس جايبني فعلًا من بيت مهجور كانوا بيحاولوا يقتلوني فيه.

-أنا واثقة إنك مظلوم من الأول، وكان لازم آجي أتأكد؛ لإن الإشاعات طلعت في الشارع إنك قاتل متسلل أو سفاح يعني بلغة الناس، وانك قاتل الأربعة دول وقاتل غيرهم كتير.

حينها ضحكت من براءة الكلمة:

-سفاح إيه بس يا نور الله يسامحك، بقول لك كنت بدافع عن نفسي.

-طب وإيه اللي رماك في سكة صلاح دا؟؟

-دي قصة طويلة هحكيهالك بعدين.

حينها قاطع حديثنا ذلك المحامي قائلًا:

-أنا مش عايزك تقول أي حاجة غير قدام النيابة، وممكن لما تروح النيابة كمان تمتنع عن الرد، وانت كدا كدا هاتاخد تلات أيام حبس على ذمة التحقيق، نكون فيهم درسنا القضية كويس.

-لكن أنا بريء يا متر وكلامي تقريبًا واحد ومش ها يتغير.

-صدقني كلامك المرسل دا أحيانا هو اللي بيلبسك البدلة الحمرا، وخليك عارف إن دايمًا فيه صح وفيه اللي أصح منه.

-خليها على الله يا متر.

حينها عاد حسن إلى غرفتنا راسمًا ابتسامة هادئة على وجهه:

-ها، خلصتوا كلامكم؟؟

قالها حين كان يبادر بالجلوس على مقعده، فبادر المحامي بالرد:

-موكلي مش ها يتكلم غير قدام النيابة يا افندم.

فأدار حسن ناصيته ناحيتي مقطبًا ما بين حاجبيه:

-وانت موافق على الكلام دا؟؟

نظرت نحو نور مترددًا؛ فأومأت برأسها بمعنى الموافقة، فكان من المستحيل وقتها أن أخذلها أو أن أقلل من قدر مُصاحبها؛ فعدتُ برأسي ناحيته:

-اعذرني يا حسن بيه، مش هاتكلم غير قدام النيابة.

فابتسم قائلًا:

-ماشي

ثم استطرد بعد أن قام من على مقعده ودار حول مكتبه متوجهًا نحوي:

-أنا بالنسبة لي مش هتفرق، إنت كدا ولا كدا شبه مُعترف، السلاح اللي تم استخدامه في الجريمة كان معاك وعليه بصماتك، واستسلمت للقوة الأمنية بمجرد ما داهموا المكان اللي وقعت فيه حادثة القتل، كل القصة اللي كنت عايز أبحث فيها قبل ما أحول القضية للنيابة هي الدوافع للقتل.

-أنا قتلتهم دفاعًا عن النفس يا افندم، هم اللي كانوا عايزين يقتلوني.

-الموضوع مش بالبساطة اللي انت متصورها.

قالها حين كان يسند راحة يده إلى قمة ظهر مقعدي؛ فهممت بالوقوف لكنه أسند يده إلى كتفي مستطردًا:

-خليك قاعد.

وحينها أشعل سيجارته وبدأ يتحرك ذهابًا وإيابًا بمنتصف غرفته ناظرًا نحو الأرض حين استأنف:

-الدفاع الشرعي عن النفس ليه شوية شروط لازم تطابق مع الحالة.

وأشار بيده ناحية المحامي:

-والمتر عارف الكلام دا كويس.

فرد المحامي:

-لو سمحت يا افندم إحنا مش ها نتكلم غير قدام النيابة.

فابتسم حسن مستأنفًا:

-لازم يكون فيه خطر على نفسك، ويكون الخطر وقتي، يعني موجود ساعة ارتكابك فعل الدفاع، والشرطين دول متوفرين بحسب كلامك إنت اللي ماعلهوش أي دليل، لكن الشرط التالت اللي هو أهم الشروط إن يتناسب فعل الدفاع عن النفس مع الخطر المحيط اللي بيهددك، إنت كان ممكن مثلًا تثبتهم أو تصيبهم طالما كانت لديك القوة إنك تقتلهم هم الأربعة.

-خلاص يا افندم، هات أي شخص عادي في الكون وحطه وسط أربعة بيهاجموه عشان يقتلوه ومعاهم سلاح، وشوفه لو مسك منهم السلاح هيعمل إيه؟ ساعتها التفكير بيتمحي أصلًا، وطبعًا أنا ما بتكلمش عن حد زي حضرتك أو ظابط جيش أو حد واخد آلاف التدريبات عشان يقدر يسيطر على نفسه في موقف مشابه.

فتدخل المحامي مرة أخرى:

-ما تتكلمش يا إيهاب.

فتوقف حسن بمنتصف الغرفة مواجهًا لنا وابتسم للمحامي:

-إحنا بندردش يا معالي الريس مش بنحقق.

ثم التفت ناحيتي مضيفًا:

-يعني انت كنت متأكد بما لا يدع مجالًا للشك إنهم كانوا عايزين يقتلوك؟ يعني ماكانوش مثلًا بيحاولوا يبتذوك أو يقرروك على حاجة أو كانوا رايحين يضربوك مثلًا؟؟

-أيوه طبعًا متأكد مية في المية وإلا ما كنتش قتلتهم.

حينها قطّب حسن ما بين حاجبيه موجهًا نظره بحدةٍ ناحيتي:

-طب وكانوا عايزين يقتلوك ليه بقى؟؟ يعني فين الدافع القوي اللي يأكد لنا الموضوع ده، خاصة إن الأربعة المقتولين مافيش ولا واحد منهم ليه سابقة قتل.

فتدخل المحامي قائلًا:

-ما تتكلمش أكتر من كدا يا إيهاب لو سمحت وإلا هانسحب من القضية.

ثم نظر ناحية حسن مستأنفًا:

-لو سمحت يا حسن بيه عايز أختلي بموكلي في غرفة الزيارة.

-آخر حاجه أحب أقولها لك وبعد كدا اختلوا ببعض براحتكم؛ إن السلاح الوحيد اللي تم اكتشافه في موقع الجريمة هو السلاح اللي عليه بصماتك إنت بس، وأي قاضي ها يفترض إن انت الوحيد اللي كان معاه سلاح من البداية، لأن مش منطقي إن يكونوا أربعه بالحجم الضخم دا خاطفينك ومعاهم سلاح ناري وتخطف انت منهم السلاح وتقتلهم الأربعة إلا إذا كنت بات مان مثلًا، لأ وكمان مافيش واحد منهم ليه بصمات عليه، ضيف لدا إن كان بينكم تواصل سابق خاص ببيع وشرا، ودا بيدفعنا إننا نفترض إنك كنت مأمن نفسك بالسلاح وانت رايح تقابلهم بخصوص البيعة، ولما احتد الأمر بينكم قتلتهم، ودا بيوضح إن دوافع القتل عندك أقوى وأسبق منهم وجاهزة من قبل وقوع الجريمة، وساعتها أي محقق ممكن يحط فرضية بإنهم كانوا بيحاولوا يبتذوك أو يهددوك خاصة مع عدم وضوح أي دوافع قوية للقتل عندهم، وإنهم مالهمش سوابق قتل؛ فقمت انت تجاوزت حدود الدفاع الشرعي بإنك قمت بفعل مش متناسب تمامًا مع الفعل اللي كانوا بيحاولوا يقوموا بيه وهو إنك قتلتهم بأداة الجريمة السابق إعدادها، وكل دا بينسف الشرط التالت من شروط الدفاع الشرعي عن النفس.

حينها كان قد استدار حتى بلغ مقعده ومن ثم جلس قائلًا:

-دلوقتي تقدروا تقعدوا في أوضة الزيارة.

لتحميل المزيد من الكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات.

***

الفصل الرابع

حينها جاء جندي وقيَّد يديَّ وقمنا متجهين برفقته إلى غرفة الزيارة، بينما كنتُ أفكر في منطقية كلام حسن الشكير التي لم أحسب حسابها حين استسلمت لهم؛ فقد كنتُ أظن أنني في حالة دفاعٍ عن نفسي لا تحتاج لكل تلك الحرف القانونية، فلن تفلت رقبتي من حبل المشنقة إلا إذا اعترفت بسر تلك القلادة وأنها هي التي منحتني تلك القوى الاستثنائية التي مكّنتني من مهاجميّ، وأنهم كانوا يريدون قتلي لتعود لسابق عهدها والذي يبدو ضربًا من الجنون، ولكن يبدو من كلام ذلك المحامي أن في جرابه أرنبًا يمكن أن يخرجه؛ فأنا أحتاج لنوعٍ من السحر حتى أنقذ رقبتي دون الإدلاء بحقيقة تلك القلادة التي قد تبدو غير منطقية في دهاليز تلك القوانين المُصمطة، وما إن بلغنا تلك الغرفة حتى وقف ذلك الجندي خارجها، ومن ثم دلف ثلاثتنا لنجلس على أريكة خشبية وحينها بادرني أحمد سليمان المحامي:

-إيه الحكاية بقى؟

حينها نظرتُ نحو نور وبدأتُ قصتي بأن حكيت أنني قد وجدت سلسلة ذهبية ملقاة على الأرض بموقع إحدى الحوادث بعد مرور عدة أيام عليها، ولم يكن هناك بلاغات عن أية مفقودات؛ فاحتفظتُ بها إلى أن يتم الإبلاغ عن شيءٍ مفقود، ولكنها أثارت فضولي لتفردها بعدة مزايا، ومن ثمَّ ذهبت بها نحو صلاح لأستفسر عن ماهيتها؛ فأخبرني أنها سلسلة أثرية، وينبغي علينا بيعها وأقنعني بذلك، ثم أكملت لهما بقية الحكاية دون أي تحريف، فلم تطاوعني نفسي أن أقول أمام نور أنني استللتها من صدر أحد الموتى،

وما إن أنهيت حكايتي بكل تفاصيلها العجيبة والتي فغر فاه نور لسماعها؛ حتى أدار أحمد وجهه نحو نور قائلًا:

-إحنا ممكن ندفع بعدم سلامة قواه العقلية، أصل ما حدش ها يصدق الهبل اللي بيقوله دا، ومش عارف هو ما بيقولش الحقيقة ليه؟

فنظرتُ نحو نور حينها وقلت:

-فاكرة يا نور يوم ما كنتي بتنشري الفوطة الفجر بعد ما فتحت شباكي اللي على الشارع؟

فخفضت عينيها إلى الأرض في خجلٍ:

-أيوه فاكرة، لما كنت بتبحلق ناحيتي جامد أوي. قبلها كنتي بتكلمي واحدة صاحبتك عن امتحان الميدتيرم...

ثم قصصت عليها تلك المكالمة التي دارت بينها وبين صديقتها والتي انتهت بأن خرجت إلى بلكونتها؛ فكانت نور تستمع إلي وقد اتسعت حدقتا عينيها:

-أيوه حصل، دا انت كدا كنت سامع صوتها اللي طالع من التليفون كمان.

فقاطعنا أحمد:

-كل الكلام دا ولا هياكل معاهم في حاجة، أنا بتعامل بواقعية؛ حتى لو أثبت لهم قدراتك اللي بتحكي عنها دي، فممكن تكون دليل إدانة عليك وتثبت تهمة القتل العمد أكتر؛ لأنهم ها يفترضوا إنها قدرات استثنائية زي اللي بياكلوا الإزاز وبيشدوا العربيات بسنانهم، ما حدش عندنا بيعترف بالجن والسحر والكلام دا، ولا حد هيصدق إن السلسلة دي كانت دهب واتحولت لنحاس عشان إنت لبستها وأخدت قدراتها، وإن صلاح كان عايز يقتلك عشان ترجع دهب تاني، وإن القدرات دي هي اللي قِدرت تستخدمها وتقتلهم بيها، يبقى تعالى نحسبها وفقًا للوقائع المادية الملموسة، اللي ها يحصل إنهم ها يقولوا إنك كنت متفق مع صلاح اللي

هو تاجر قطع أثرية على بيع سلسلة دهب أثرية بناءً على الفيديو اللي بعتهوله، لكن إنت بعد كدا رحت اتصرفت فيها أو بعتها أو ضيعتها؛ لأنها مش موجوده في حوزتك دلوقتي أو وقت وقوع الحادث، وساعتها اللي كان موجود في حيازتك هو السلسلة النحاس المتحرزة، ودي طبعًا مش الحاجة اللي تم الاتفاق عليها، ووقتها احتد الأمر بينكم وقتلتهم الأربعة، ساعتها بقى مين فيكم اللي عنده الدافع للقتل؟ ممكن نفترض إنه كان عايز يقتلك عشان ضللته وغدرت بيه ودا دافع ضعيف أو صعب إثباته لإن مش كل واحد هيرجع في بيعة مع تاجر هيقوم التاجر دا يقتله، بل الأقرب للواقع إنه كان رايح يهددك عشان تتمم البيعة، أما إنت فراجل نصاب اتصرفت في السلسلة الدهب ولما كان بيطالبك بيها أو بيهددك عشان تجيبها قتلته متجاوزًا حدود الدفاع الشرعي؛ لأن هو أعزل وبيهدد وانت معاك سلاح وقتلت، خاصة بقى مع افتراض إخلالك بالاتفاق بخصوص البيعة وتصرفك في السلسلة من قبل لقائكم اللي حصلت فيه واقعة القتل، واللي ها يعطي إيحاء بتجهيزك لأداة القتل اللي هي المسدس تحسبًا لغضب الطرف الآخر، وبيدعم وجهة النظر دي إن المسدس عليه بصماتك لوحدك، ودا بينفي فرضية إنك واخده منهم، ويبقى كدا قتل عمد مع سبق الإصرار لكن بدون ترصد، ضيف على ذلك إن الأربعة مالهمش سوابق قتل وضعف دافع القتل عندهم، وانت طبعًا كنت فاكر إنك أول ما تقول إنهم كانوا بيحاولوا يقتلوك إن القاضي هيقوم يسقف لك لإنك قدرت تقتلهم وتدافع عن نفسك، الكلام دا لو حد بيتهجم على بيتك أو شغلك مثلًا أو حتى عليك وقدرت تثبت ده، إنما الشخص اللي انت قتلته كان بينك وبينه اتفاقات على معاملات مالية وواضح إنك إنت اللي أخليت بيها، ودا اللي أدى للاحتداد بينكم واللي أدى لواقعة القتل.

-طيب ولو طلبنا شهادة أهل الميت اللي كان معاه السلسلة وقالوا فعلًا إنها بتتحول، وانها بتمنح قدرات، وانها بترجع زي ما كانت لما يموت حامل سحرها، كدا يبقى هم اللي عندهم دافع عشان يقتلوني عشان ترجع لهيئتها وكدا أنا مش نصاب باع السلسلة الدهب وراح بسلسلة نحاس

ومغلوب على أمري.

-يا ابني ما انا قلت لك، حتى لو قالوا إن السلسلة دي فيها عفريت آزرق ما حدش ها يصدق الكلام دا، ولو صدقوه ما حدش ها يبني أحكام قضائية عليه.

-إنت بتقفلها في وشي ليه بس يا متر؟

-أنا ما قفلتهاش ولا حاجة، إنت الحاجة الوحيدة اللي تقدر تثبتها هي القدرات، لكن القدرات مابتنفيش بردو إن السلاح كان في حيازتك؛ لأن عليه بصماتك لوحدك، وفي نفس الوقت القدرات مابتنفيش إن انت اللي أخليت باتفاقاتكم واتصرفت في السلسلة ورُحت تقابلهم بسلسلة نحاس؛ واللي بيعطي طابع عنك بالنية المبيتة والاستعداد المسبق منك لأي احتداد منهم.

-يعني إيه؟؟

-يعني لو تقدر بأي شكل مادي ملموس إنك تثبت الكلام اللي انت بتقوله دا عن السلسلة؛ فساعتها القضية كلها ها تتغير، لأن ساعتها ها يكون فيه دافع حقيقي وواضح جدًا للقتل عندهم وأقوى من أي دافع عندك، لا وكمان ها تثبت حُسن نيتك وانك ماتصرفتش في موضوع الاتفاق اللي هو السلسلة وانها اتحولت بس.

-طب والحل إيه؟؟

-الحل الوحيد إننا ندفع بعدم سلامة قواك العقلية، وساعتها هايحولوك مستشفى الأمراض العقلية؛ عشان تبحث في مدى صحة الموضوع، وأنت تقدر تستخدم قدراتك دي وتدخل الشك لقلب مدير النيابة؛ خاصة إنك مقتنع إن القدرات دي مصدرها قوى ما ورائية، وإنها هي اللي دفعتك للقتل أو ساعدتك في القتل، وإن السلسلة بتتحول، وكل القناعات دي كفيلة إنها توديك تقضي عقوبتك في العباسية؛ لغاية ما تلاقي طريقة تثبت بيها كلامك عن السلسلة.

-طيب وهمَّا ممكن يقولوا إيه في المستشفى؟؟

-لو حظنا حلو ممكن يقولوا إنك مريض انفصام ولا اضطراب ذهاني مشترك ولا أي حاجة يودعوك بناءً عليها في المستشفى طول حياتك أو تقضي فترة عقوبتك فيها، ولو حظنا وحش ها يقولوا إنك عندك قدرات استثنائية وخلاص زي أي حد عنده قدرات استثنائية، وساعتها ها تبقى دليل إدانة عليك.

وحينها أيقنتُ أنني وقعتُ بشركٍ لم أحسب له حسابًا؛ فحاولت أن أجرب مدى قدراتي، وهل من الممكن أن تصل إلى حد ثني هذا الحديد الذي يكبلني؛ فحاولت أن أحرر يديَّ من تلك القيود المعدنية، ولكنه كان ضربًا من المستحيل؛ فأدركتُ أن قواي الجسدية على حالها بلا زيادة أو نقصان، أما كل ما تغير فهي كل تلك القوى المتعلقة بعقلي؛ فأرى وأسمع ويستجيب عقلي وتستجيب أطرافي لأوامر عقلي بطريقةٍ تفوق القوى الطبيعية، ولكن قدراتي الجسدية على حالها؛ فكففتُ عن تلك المحاولات موقنًا بأن هذا الشرك صار محكمًا؛ فيستحيل أن أتحرر من قيدي أو أن أهرب من مئات الجنود المسلحين المتأهبين للقتل؛ فأضيف بذلك قيد السجن إلى قيد القلادة قيودًا فوق بعضها كظلماتٍ فوق بعضها في بحر لُجي، وما عليَّ الآن سوى أن أنتظر وأرى مغبة استسلامي؛ فيقيني أن هناك بصيصَ أمل.

وبعد لحظاتٍ من الوجوم جاءنا رئيس المباحث مصطحبًا "علي"، ذلك الضابط الذي اصطحبني من المقابر وبرفقتهم عدد من الجنود؛ فقام الأخير بحل وثاق إحدى يداي ووضع تلك الحلقة المحررة بمعصم أحد الجنود وأقفلها عليه حين نطق حسن:

-يلّا عشان ها تتعرض على النيابة.

وحينها اصطحبوني إلى سيارة الترحيلات القابعة أمام القسم؛ فجلس إلى جواري شريكي بتلك الأساور المعدنية وفي المقعد المقابل جلس جنديان متجاورين فلم يكن بالسيارة مُرحلين سواي، ومن ثَمّ انطلقنا نحو

سراي النيابة في إثر تلك السيارة التي بها حسن الشكير وعلي ورِفقتهم؛ فطلبت من أحد الجنود الجالسين بالمقعد المقابل والذي كان يهم بإخراج إحدى سجائره أن يمنحني سيجارة؛ فابتسم متوجسًا، ثم ناولني إياها، وحينها مال صاحبه الجالس إلى جواره على أذنه موشوشًا:

-بقى الجثة دي تقتل أربعه؟!

فمال الأخير برأسِهِ ناحية محادثه:

-يقتلهم ولّا ما يقتلهمش مالناش دعوة، إحنا ما نابناش من وراه غير خسارة سيجارة.

حينها ابتسمتُ متدخِّلًا في حوارهما:

-لو خسارة السيجارة دي مزعلاكم أوي فخد يا عم سيجارتك أهيه.

ومددتُ يدي بالسيجارة المشتعلة، فتمالكا نفسيهما من أثر المفاجأة، ولكن توقعت حينها أن ما دار بذهنهما أنني استنتجت حديثهما عنها؛ فابتسمتُ مجددًا وأعدتُ السيجارة إلى شفتيَّ حين كنتُ أنظر لهما بحدةٍ وأضفت:

-وبالنسبة لجثتي اللي بتحكوا عنها فهي فعلًا قتلت أربعة.

فنظر أحدهما للآخر بتوجس واضح، وأتبعا ذلك بأن أعادا ناظريهما ناحيتي حين قال صاحب السيجارة:

-إحنا بنهرج بس والله يا عم الشيخ.

فأدركتُ أن كليهما افترضا في حينها أنني ساحر أو أخاوي جنًا، خاصة وقد سمعت تلك الكلمات التي بالكاد تخرج من لسان أحدهما لتدخل أذن الآخر؛ فأومأتُ برأسي موافقًا حين عمّ الوجوم وجوه ثلاثتهم؛ فقد أدرك الجالس إلى جواري أيضًا أن هناك شيئًا خارقًا بخصوصي أدركه زميلاه.

حينها كنتُ أفكر في كلام ذلك المحامي حول إقناعهم بتلك القدرات الخارقة حتى أتمكن من إطالة أمد المحاكمات بذهابي لتلك المستشفى أو

أفلت من تلك الجريمة التي لم أرتكبها بإيداعي للأبد فيها، ومن ثمَّ قد أهرب منها وأجد ما يُثبت حقيقة كلامي، ويبدو أن مسألة الإقناع بتلك القدرات قد أقدر عليها؛ فمجرد أن أخبرت هؤلاء الجنود بما يحكونه سرًا ألبسوني لقب شيخٍ وظنوا بي الظنون، لكن ربما أحتاج لشيءٍ من التلاعب حتى أقنع رؤسائهم والذي سيكون إقناعهم أشد وطأة؛ فمن الممكن ألا يكتفوا بتلك القدرات وحدها حتى أصل لمبتغاي، وقد أحتاج لاستدعاء أصحاب السلسلة الأصليين للشهادة؛ فقد أستطيع بمساعدتهم أن أصير أكثر إقناعًا بقدراتها أو بتحولها أو قد أجد عندهم تفسيرًا أو حلًا، وإن لم يضيفوا جديدًا بشأنها أو أنكروا قدراتها فما أنا سوى مجنونٍ استطاع أن يُثبت قدرات خارقة، ولكنه ينسبها لسلسلةٍ نحاسية لا يعترف بقدراتها سواه، على كل الأحوال يجب عليّ أن أنقذ نفسي من ذلك المأزق أولا، ومن ثمَّ أنقذ نفسي من قيد تلك القلادة والذي سينقذني من هذا المأزق بكشف سرها، وكأنها أزمات فوق بعضها تنحل بآخر المطاف بحل عقدة واحدة، فصرتُ أرتب أفكاري إلى أن بلغنا سراي النيابة؛ فأنزلني الجنود المتوجسين حينما جاءت نور برفقة المحامي إلى جوارنا، وناولتني كيسًا به بضعة من الشطائر وعلبتين من السجائر؛ فأخذتهم شاكرًا وأنا أقسم بداخلي أنني كنتُ مغفلًا طوال السنتين السابقتين حين لم أتقدم خطوة واحدة نحو هذا الكيان الملائكي، ولكنني بادرتها:

-رَوَّحي انتي بقى يا نور عشان ما تتأخريش، وانا معايا المتر أهوه وهو ها يبقى يطمنك.

فابتسمتْ حين كان مرافقي الجندي ينظر نحوها؛ فنظرتُ إليه بحدةٍ قائلًا:

-بص الناحية التانية.

فأدار رأسه للجانب الآخر بلمح البصر؛ فمددتُ يدي الحرة وعانقتُ أناملها الدقيقة مبتسمًا:

-أنا هخرج يا نور، وأول حاجه هعملها إني هاجي أشرب القهوة مع بابا.

فابتسمت ووضعت يدها الأخرى فوق يدي وقالت:

-المهم إنك تخرج.

وحينها ودعتني ومن ثمَّ سرنا خلف حسن الشكير ومرافقيه إلى أن بلغنا غرفة مقابلة لغرفة مدير النيابة؛ فطلب منا حاجبه الاستراحة بها لدقائق، وما إن استقر بنا الحال بداخلها حتى ألقيث مسمعيَ نحو الغرفة المقابلة؛ فكان هناك رئيسًا يخاطب مرؤوسه بشيءٍ من العتاب قائلًا:

-بص يا جمال، إنت لسه معاون نيابة يعني لسه اسمك مكتوب بقلم رصاص، موضوع إنك مش مركز على طول وغيابك كتير بحجج مرضية ممكن ينهي مسيرتك في القضاء بدري بدري، إنت راجل كنت مرتب على دفعتك في كلية الحقوق، يعني بالنسبة لك القصة ما كانتش قصة عمك المستشار سيد بيه، وبعدين عمك على قد ما هو غالي علينا كلنا إلا إنه مش ها يفضل في ضهرك طول العمر.

-والله يا معالي الريس غصب عني، والله أنا ما عارف إيه اللي جرالي من ساعة ما حلفت اليمين.

- أنا عارف إن بعد التعيين بيبقى فيه شوية لخبطة في حياتك، إنت فجأة بقى اسمك وكيل نيابة، وساعتها تعامُل الناس نفسه ونظرتهم ليك بتختلف وبتحس فجأة إن بقى ليك هيبة ومعاك سلطة وقوة؛ فطبيعي إن انت نفسك بتمر بمرحلة لخبطه؛ تشوش؛ ممكن غرور، ومابيخلاش الأمر بردو من شوية حسد ونفسنه من بعض الكارهين ليك أو لأهلك، خاصة إنك من قرية صغيرة والناس فيها كلها عارفاك، لكن الإنسان الذكي اللي يقدر يعدي من الفترة دي بسرعة وبأقل الخساير.

-بإذن الله هعدي يا ريس، ومن النهاردة هاتلاقيني بني آدم تاني.

-أما أشوف يا جمال، واقعد ماتمشيش عشان تحضر التحقيق ده، عشان دي قضية شكلها ملخبطة.

وحينها رن جرس حاجب النيابة والذي دخل لتلك الغرفة وأغلق الباب

من خلفه فسأله مدير النيابة:

-المتهم وصل؟؟

-أيوه وصل يا افندم ومعاه المحامي بتاعه، ورئيس المباحث بيستأذن حضرتك إنه يحضر التحقيق.

-طب دخلهم.

حينها خرج الحاجب ومن ثَمَّ ولجنا أنا ومرافقي الجندي وحسن الشكير والمحامي أحمد سليمان وحينها رن هاتف مدير النيابة؛ فأشار إلينا بالجلوس؛ فجلستُ متوسطًا مرافقي وأحمد بإحدى الكنبتين المتوازيتين استنادًا لجداريْ الغرفة، وجلس حسن على أحد المقاعد المستندة لمقدمة مكتب مدير النيابة بعد أن سلم على الشخص الجالس على المقعد المقابل له والذي كان مواجهًا لنا ويبدو أنه جمال معاون النيابة، أما كاتب النيابة فلحق بنا إلى الغرفة، ومن ثَمَّ سلم على جمال وحسن وجلس على مقعدٍ مستند إلى مكتب صغير إلى جوار مكتب مدير النيابة؛ حين أجاب الأخير على هاتفه الذي لم يتوقف عن الرنين قائلًا بتبجيل:

-أيوه يا معالي الباشا.

ثم اتجه نحو الغرفة الملحقة بمكتبه وأغلق بابها من خلفه؛ فألقيتُ مسمعيْ هناك فإذ به يُغير نبرة صوته قائلًا:

-إنتي عمالة ترني ترني، وانا مشغول دلوقتي.

-طب ما انت على طول مشغول، وإيه الجديد يعني؟

-طب قولي يا ستي عايزة إيه؟؟

-هنتغدى إيه النهاردة؟

-يعني مطلعاني من تحقيق مع قاتل قتل أربعة عشان تقولي لي هانتغدى إيه؟! ما تعملي أي حاجة من اللي عندك.

-ما انت شغلك هو كل حياتك، ومافيش مرة بتصل بيك إلا وتقول لي مشغول أو بحقق مع قاتل ولّا حرامي ولّا غيره، واحنا حاجة كدا على الرف.

-مش وقت الاسطوانة دي يا منى، أقول لك.. أنا مش واكل النهاردة خالص، اعملي انتي بقى أي حاجة ليكي وللولاد.

-أحسن بردو.

-يلّا سلام.

وبينما كنتُ أستمع لهذا الحديث الزوجي كنتُ أنظر نحو جمال الذي لم تكن تمر دقيقتان إلا ويرفع نظارته فوق رأسه، ومن ثمَّ يفرك جبهته بيده اليسرى، ومن بعدها ينزل بإبهامه على ناحيةٍ من أرنبة أنفه، وبإصبعيه السبابة والوسطى على الناحية الثانية منها ويبدأ في فركها، وما إن أنهى مدير النيابة مكالمته وعاد إلى مقعده بعد أن سلم على حسن الشكير؛ حتى بدأتُ أركز على عيني جمال الذي استرعى انتباهي حين تلاقت عيناي بهما؛ حيث أن بنظرتهما شيئًا مبهمًا، وكأن بهما ملمحًا من ملامح نظرة ذلك العجوز، وما هي إلا ثوان معدودة وبدأت تتضح أمام عينيّ هالة سوداء رفيعة تمتد بعرض جبهة جمال، وينزل خيطٌ منها فوق أنفه بزاوية قائمة على تلك الهالة، فكنت مستغربا من أمر تلك الهالة، ولكنني عندما تذكرت حديث رئيسه، افترضت أن تلك الهالة ملمحا خفيا لنوعٍ من السحر، وحينها لاحظ حملقتي نحوه؛ فحاول أن يلتفت إلى حسن الشكير تارة وإلى رئيسه المنهمك في أوراقه تارة أخرى، ولكنه كان يعود نحوي من جديد بنظره فعاجلته حين اختفت تلك الهالة من جديد:

-إنت معقود، عليك سحر يا جمال بيه، وما تقلقش إنت مش ملبوس، مش كل السحر لبس، وإلا كنت هشوف علامات اللي جواك.

حينها التفت كل من بالغرفة ناحيتي؛ فالتفت وقتها ناحية رئيسه وقلت:

-جمال بيه على فكرة مش مقصر في شغله بخاطره ولا استناذا لعمه

سيد بيه، الراجل دا معقود عليه سحر هيدمر حياته كلها لو ماتعالجش.

وحينها أشرث بسبابتي نحو يسار جبهتي، ثم حركتها بصورة عرضية حتى يمين الجبهة، وبعدها وضعتها عند منتصف جبهتي ونزلت بها حتى مقدمة أنفي بينما كنت أولي وجهي ناحية جمال وقلت له:

-عندك صداع فظيع في المنطقة دي لا بيهدى ولا بيروح مع أي مسكنات.

حينها أفاق مدير النيابة من صدمتهِ ونطق بحزمٍ:

-بطل تخاريف يا جدع انت.

فأدرث وجهي ناحيته مبتسمًا وقلت:

-طب وسعادتك مش ناوي تتغدى ليه النهاردة؟

ففتح عينيه عن آخرهما فأضفتُ:

-ما انت شغلك هو كل حياتك، ومافيش مرة بتصل بيك إلا وتقول لي مشغول أو بحقق مع قاتل ولّا حرامي ولا غيره، واحنا حاجة كدا على الرف، مش دا اللي كان بيقوله معالي الباشا اللي كنت بتكلمه.

فحينها كان حسن الشكير مستديرًا ينظر نحوي شاخصًا عينيه؛ فالتفث ناحيته:

-الواد عطية المعرص ما بلّغكش إن صلاح بيتاجر في الآثار ودي غلطته التانية اللي لو اتكررت مش هترحم أمه وهترميه في السجن، إلا قول لي.. إيه هي الحتة التانية اللي عند عطية وصلاح الله يرحمه كان بيحط إيده فيها؟؟

حينها قام منتفضًا من مقعده، وأمسكني من تلابيبي موجهًا سلاحه نحو رأسي، وخرج بي خارج الغرفة ويتبعنا مرافقي؛ فزعق في جنوده:

-كلبشوه إيد ورجل.

الفصل الخامس

ومن ثمّ عاد حسن الشكير إلى داخل الغرفة مرة أخرى؛ فلحقني المحامي والكاتب إلى غرفة الانتظار حين نطق مدير النيابة:

-الكلام دا حقيقي يا جمال؟؟

-أنا ماعرفش يا معالي الريس أنا معقود عليًا سحر فعلًا ولا لأ؟ لكن الأعراض اللي بيحكيها حقيقية ميه في الميه وغلبت لف على الدكاترة.

فوجَّه مدير النيابة حديثهُ لحسن الشكير قائلًا:

-طيب يا حسن بيه إيه حكاية عطية دا كمان؟ واضح بردو إنه بيقول أسرارا!

-دا واد مرشد تبعي، وماحدش يعرف في القسم كله إنه تبعي، ولما كنت بكلمه كان المتهم دا في الحبس اللي بيني وبينه مسافة كبيرة جدًا.

-طيب لما كنت أنا في الأوضه اللي جوه، حد منكم كان سامع صوتي؟

فعاجله الاثنان:

-خالص يا معالي الريس ماسمعناش ولا كلمة.

وبمجرد أن سمعت تلك الجملة الأخيرة حتى انقطع الحديث بينهم؛ فافترضتُ أنهم أيقنوا خطأهم؛ فقد كنتُ أستمع لكل ما يقولون، ومن المؤكد أنهم سيستعيضون عن ذلك بالكتابة، وحينها كانت الأساور الحديدية التي يُكبل بها أعتى المجرمين قد وصلت بيد أحد الجنود، والتي تُقيِّد اليدين والقدمين وبينهما سلسلة حديدية تربط أساور اليدين بأساور القدمين، وبعد ما يقارب الربع ساعة استدعوني مقيدًا وبرفقتي أحد الجنود ويتبعنا المحامي والكاتب، وما إن دخلت حتى وجدتُ جمال قد بدّل مجلسه مع حسن حتى يهرب من مواجهتي؛ فحين مروري إلى جواره أملتُ برأسي نحوه مخاطبًا:

-حلّك عندي.

وحينها دفعني الجندي الذي يصطحبني حتى صرتُ واقفًا بجوار مكتب مدير النيابة يبعدني عنه خطوتين، وجلس المحامي على الكنبة الجلدية التي تجاورني وحينها نظر مدير النيابة نحو كاتبه:

-افتح التحقيق يا محمد.

ثم أدار رأسه ناحيتي حيث لمحتُ في عينيه توترًا لم ألحظه بالمرةِ الأولى وسألني:س/ اسمك وسنك وعنوانك ومهنتك؟؟

-إيهاب أحمد عبد الرحيم، ٢٦ سنة، مقيم في السيدة زينب، ومُسعف بمنطقة إسعاف الكسارة.

-س/ ما هي علاقتك بكل من صلاح إسماعيل العتربي، كرم مصطفى الشنواني، وليد محمد توفيق، وسيد نبيل السيد؟؟

-معرفش إلا صلاح العتربي، كان معايا في ابتدائي وإعدادي وثانوي، وكنت طالب منه يتوسط لي في بيع سلسلة أثرية مسحورة، أما التلاتة التانيين فمعرفش حاجة عنهم.

-كيف وصلت تلك السلسلة إلى حيازتك؟؟

-لقيتها بعد حادثة حصلت جنب النقطة اللي أنا شغال فيها، حصلت لواحد اسمه ياسين محمود سلامة، ومات في الحادثة، وماكانش حد سأل عن أي مفقودات بعدها، وبالمناسبة أنا بطلب شهادة ذويه بخصوص السلسلة.

فالتفت حينها مدير النيابة نحو الكاتب وقال:

-سجل يا محمد عندك طلب المتهم.

ثم عاد بنظره إلي:

-وهل تمت عملية البيع؟؟

-لأ، ما تمتش.

-وما الذي عطل ذلك البيع؟

حينها نظرتُ نحو السقف بوجومٍ لثوانٍ، ثم أنزلت نظري ببطءٍ ناحيته وقلت:

-السلسلة دي ساكنها سحر، ولما بتلبسها بيسكن جواك وبيمنحك قوة غير محدودة والدهب بيتحول لنحاس.

وحينها أدرتُ عينيَّ في وجوه الحاضرين بنظرة الثقة التي عايشتها من قبل مستأنفًا:

-اوعوا تفتكروا إني ماقدرش أهرب منكم دلوقتي.

حينها تحسس حسن سلاحه الناري باديًا عليه أنه يصدق كل كلمةٍ تخرج من جوفي فأضفتُ:

-أنا بإمكاني أكسر الحديد دا في لحظة وأفتك بكل اللي يقف في طريق هروبي.

ثم قطبتُ ما بين حاجبي وأردفتُ:

-لكن أنا ماحبتش أهرب من جريمة أنا ماعملتهاش، أنا فعلًا كنت متفق مع صلاح إنه يتوسط لي في بيع السلسلة، لكن هو اللي طلب مني أصورها فيديو، ولما لبستها اتحولت لنحاس وسحرها سكن جوايا، وبعد ما بدأت أتهرب منه خطفني عشان كان عايز السلسلة.

وحينها أطرقتُ لثوانٍ وأنا أحملق في وجوه الحاضرين، ثم أضفتُ:

-صلاح ساكنه شياطين هو واللي معاه، شياطين أعمت عيونهم لما عرفوا حقيقة السلسلة وعرفوا إنها بموتي هيرجع لها سحرها، ووقتها كان هيبيعها بمليون دولار، وأنا ما قتلتش إلا الشياطين اللي جواهم لما حاولت تقتلني، بمساعدة السحر الكامن جوايا، أنا بسمع أحسن مما بتسمعوا، وبشوف أحسن ما بتشوفوا، وبستجيب أسرع منكم؛ حتى الجن بكشفه،

ودا اللي خلاني قدرت عليهم لما خطفوني وكانوا عايزين يقتلوني، لكن المشكلة كلها إن في عداد بيعد في دماغي ومش عارف في آخره هلاقي إيه؟

-هل لديك أي أقوال أخرى؟؟

حينها قلث بصوتٍ أجش:

-أنا الضحية، اللي بعدها تسع وتسعين ضحية، وقبلها أربع ضحايا.

حينها نظر مدير النيابة نحو كاتبه محاولًا أن يتمالك حاله وقال:

-أمرنا نحن صابر عبد الفتاح المرزوقي مدير نيابة السيدة زينب بحبس المتهم خمسة عشر يومًا على ذمة التحقيق على أن يتم استدعاء خبير فيزيائي للنظر في ماهية معدن تلك القلادة المحرزة، إضافة إلى خبير لغوي لاستطلاع رأيه بخصوص الكتابات المنقوشة عليها، ويتم استدعاء ورثة المذكور ياسين محمود سلامة من أجل الشهادة بناءً على طلب المتهم، ويتم تقديم طلب لقاضي الأمور المستعجلة لإصدار أمر قضائي بتحويل المتهم لمستشفى الأمراض النفسية والعصبية للبحث في مدى سلامة قواه العقلية بعد استكمال التحقيقات، أقفل المحضر في ساعته وتاريخه وتليت على المتهم أقواله وأقرها.

تذكر انك حملت تلك الرواية من موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة .

ثم أشار للجندي الذي كان يرافقني؛ فدفعني نحو مكتب الكاتب حيث وقعث على أقوالي.

وبينما كنتُ خارجًا ودون أن ألتفت نطقتُ بصوتٍ مرتفع:

-اوعى تسيب نفسك كدا يا جمال، السحر هينهش عقلك، لغاية ما تضيع.

وما إن خرجنا خارج غرفة مدير النيابة سائرين بالرواق أمامها إلا وعاجلني ذلك المحامي قائلًا:

-برافو عليك، إحنا كدا عملنا اللي احنا عايزينه بالظبط.

فالتفت إليه وقلت:

-هو انت كنت جوه معانا؟؟

فابتسم قائلًا:

-كان واضح التوتر عليهم كلهم وكانوا بيحاولوا يخلّصوا التحقيق بسرعة.

-وانا ما قلتش إلا الحقيقة، إلا بخصوص الهروب، لكن بالطريقة اللي تخليني أوصل للي أنا عايزه.

ومن ثمّ غدت للحجزِ مرة أخرى بعد أن سلّمني الجندي شطائري وسجائري وأبلغني أن هناك من أودع مبلغًا لحاجتي، وبعض الملابس والأغراض، والتي لم تكن سوى نور، وما إن جلست ولحق بي رفيقي السيناوي إلا واقتسمتُ معه حاجتي، ثم تشعبت محادثاتنا مرة أخرى ليصمم من بعدها أن يمليني رقم هاتفه وأن أحفظه؛ علنًا نلتقي يومًا بعد خروجي، ثم مرت الأيام من بعد خروجه كئيبة متباطئة، فقد كان هو مصدر تسليتي الوحيد بذلك الحبس، فكان لا يقطع كآبتها سوى وجه نور الذي أسرح في طيفهِ بين الحين والآخر لساعات، فأرى فيه شمسًا للأمل مشرقة بين غياهب السجن المظلمة، فيتسع الأفق الضيق من حولي باتساع صدري لرؤيتها، ويعتريني خاطر أن هناك ما أريد أن أواصل القتال من أجله، إلى أن علمت بعد مرور خمسة أيام مروا عليّ كخمسةِ دهورٍ باستدعائي للمثول أمام النيابة باليوم اللاحق، فكنتُ متحفزًا لمعرفتي أن زوجة صاحب القلادة قادمة للإدلاء بشهادتها في حضوري وحضور وكيلي المحامي، إلى جانب أنني كنتُ أتوقع قدوم نور، فبليلتها طلبتُ من أحد السجناء أن يغسل ملابسي، وبصبيحة ذلك اليوم تحممتُ ومشطت شعري وكأنني ذاهبٌ لمواعدتها في مشربٍ تطل واجهته على النيل وليس بغرفة الانتظار بسراي النيابة، إلى أن انفتح باب الزنزانة لأجد جنديين شاهرين سلاحيهما في مواجهتي، وآخرَين يحملان تلك القيود التي يكبلان بها يديّ وقدميّ، وما أنزلوا تلك الأسلحة إلا بعد تمام تكبيلي، ولكنني لم تعترني

رهبة من ذلك التعامل الجديد من بعد التحقيق السابق، فيبدو وأنه قد تم تصنيفي من قبلهم أنني من المجرمين شديدي الخطورة أو بالأحرى من المجانين أصحاب القدرات الخارقة، وهو ما يشي بأنهم يسيرون على نفس الدرب الذي رسمته، وفي الطريق كلما كنث أحاول أن أفكر في ذلك التحقيق أو في شهادة زوجة صاحب القلادة أجد أفكاري تتسرب من ذهني كما يتسرب الماء من كفوف الأيادي؛ لأجد نفسي أحاول أن أرتب الكلمات التي أبتغي قولها ما إن أرى نور، فكم كنث أحترق شوقًا لمداعبة كف يدها الرقيق وأن أشبع مخيلتي من رؤية وجهها البريء، وقبل وصولنا طلبت من أحد الجنود الذي لم يكن يخاطبني إلا بلقب الشيخ إيهاب أن يحضر لي قلمًا حسن المظهر من المكتبة التي توازي مبنى النيابة بمجرد نزولنا، وأن يغلفه كتغليف الهدايا كي أقدمه لها كنوعٍ من العرفان والود، والذي لم يتوانَ في تنفيذ طلبي حين وصلنا، ومن ثم سرثُ بين أروقة سراي النيابة حتى بلغث غرفة الانتظار، لكن الغريب أنني وجدثُ المحامي وحده منتظرًا فيها، فلم تحضر. فسألته عنها متمنيًا أن يعاجلني بأنها قادمة في الطريق، وأن هناك ما عطل وصولها، فأجابني بأن قال أنه أخبرها ولكنها ردت بعدم قدرتها على المجيء، حينها استشاط بي الغضب حتى كدثُ أن آكل قيودي، فكان واضحًا غيظي وحنقي على قسمات وجهي، ليس نقمة عليها، ولكن لضياع تلك اللحظات التي كنت أعول عليها أن تقطع جفاء أيامي بشيءٍ من الود والسكينة.فلا أعلم لمَ تعلقتُ بها بتلك السرعة؟ وكأنني أحببتها بأثرٍ رجعي من أول يومٍ رأتها فيها عيناي وفيم اختفت؟!

وهل من الممكن أن أراها ولو لمرةٍ أخرى أكون فيها عالمًا بأنها المرة الأخيرة، أم أنها أدت واجبًا بحكم شهامةٍ فاقت كثيرًا من الرجال وانتهى بذلك دورها؟

ثم مرت عدة دقائق حتى هدأت نار غضبي، واستكانت نفسي، واعتلت مكانهما كآبة غزت تفاصيلي، فقاطع وجومي صوت المحامي:

-إنت لازم تركز في اللي انت فيه يا إيهاب وتنسى أي حاجة تانية،

وبعدين إنت لسه قدامك طريق طويل مش متحدد له أي ملامح، وبعدين اللي عرفته إن أهلها عرفوا إنها جات تزورك، بس كنت سايبك تهدى واتكلم معاك.

فرددت أثناء توجيه نظري نحو الأرض:

-وفر على نفسك اللي انت عاوز تحكيه، أنا عارف من الأول إن حتى لو خرجت من السجن بعد سنة أو اتنين ولّا حتى خرجت بالبراءة إن مستحيل أهلها أو أهل أي واحدة في المنطقة هيوافقوا على جوازي من بنت أي حد فيهم، وعارف إن الكل وصل له علم إن موضوعي دا على الأقل بيعة مشبوهة ما تفتش، دا بخلاف رأي كل واحد عن كوني بريء من القتل ولا مذنب.

ثم بلعث ريقي محاولًا أن أرطب به حلقي الجاف وأضفث:

-لكن هو ما ينفعش يعني إن الظروف تمنح لواحد زيي أمل يستمر في التنفس علشانه؟ بلاش أمل يا سيدي، ما ينفعش يكون فيه أي بهجة وسط الكآبة؟ أي بصيص نور وسط الظلام؟ أي إحساس وسط الجمود؟

حينها ربت بيدهِ على كتفي وقال:

-ركز انت بس يا إيهاب في اللي احنا فيه دلوقتي، وبإذن الله من بعد ما تظهر براءتك اللي أنا بقتنع بيها يوم بعد يوم، كل حاجة هاتتغير.

وحينها تم استدعائنا، ساقني أحد الجنود فصرتُ أجرجر قدميّ وكأنني أحسستُ الآن بثقل تلك القيود التي ما كنتُ أشعر بها عند قدومي من غرفة الحجز، وكأن ما يعيينا هو ثقل أرواحنا وليس ثقل الماديات من حولنا، إلى أن دلفنا من باب غرفة مدير النيابة لأجد حسن الشكير جالسًا على المقعد المستند إلى مكتب الأول، فنفضتُ عن روحي تلك الكآبة التي اعترتها حتى أستفيق للجولةِ الثانية معهما، فإن كانت نور قد رحلت فأنا بمنتصف طريقٍ رسمتُه ولن أرجع منه خائبَ الرجاء وخالي الوفاض، لا بُدَّ أن أتحرر من ذلك الشرك حتى وإن بقيَ قيد القلادة، فأنا من ذلك الشرك

براء، وحينها أردفتُ مبتسمًا أثناء تحركي نحو جانب المكتب:

-أومال فين جمال بيه؟! راح يتعالج صح؟؟

فلم يُعِرني أيٌ منهما انتباهًا، فأضفتُ حينما وقفتُ إلى جوارِ المكتب وجلس على الكنبة التي بجواري محاميي:

-مشكلتنا إن احنا أحيانًا بنحاول ندفن روسنا في التراب زي النعام، وفاكرين إن احنا لما مش هنشوف الحقيقة هي كمان مش هتشوفنا، لكن للأسف الحقيقة كدا كدا محاصرانا سواء شفناها أو أنكرناها.

-افتح التحقيق يا محمد، س/ بعد مراجعتنا للتحقيق السابق، وجدنا فيها إنك قلت إن صلاح برفقة الثلاثة المذكور أسمائهم سلفًا قد خطفوك، هل تستطيع أن تخبرنا عن موقع ذلك الاختطاف؟

-ما تتعبش نفسك يا معالي مدير النيابة، همَّ نقوا مكان ما فيهوش كاميرات، أصلهم مش تلاميذ، وبعدين هو ما كانش اختطاف بمعنى اختطاف، هم قالوا لي إن صلاح بيه عايزك وبناءً عليه ركبت معاهم.

حينها تدخَّل حسن الشكير في الحديث وقال:

-رد على قد السؤال يا إيهاب.

-خطفوني من على جنب الطريق الواصل ما بين القصر الفرنساوي والمنيل، من جنب سور القصر اللي أنا مش عارف لغاية دلوقتي هو بتاع مين، بس بيقولوا إنه قصر محمد علي باشا.

-س/ كم كانت الساعة تقريبًا؟؟

-كنَّا بعد العشا بساعتين تقريبًا.

-هل تتذكر رقم لوحات السيارة التي اقتادوك فيها أو مواصفاتها؟؟

-للأسف لأ، كان اللي جوايا غضبان عليًا، تقريبًا كدا والله أعلم عشان كنت موقف العداد، فكان نظري ضعيف وتركيزي مشوش.

حينها دقت الساعة المعلقة على الجدار الذي يستند إليه مقعد مدير النيابة حين حلت العاشرة صباحًا، وما هي إلا لحظات ودق باب مدير النيابة أتبعه ولوج الحاجب الذي أردف:

-الشاهدة وفاء عبد الجليل العطيوي بتستأذن في الدخول يا افندم.

-دخلها يا بسام.

كنتُ أعلم أنها زوجة صاحب القلادة، فعلقتُ نظريَ على الباب الذي ما إن دلفت منه حتى وجدتها سيدة بأوائل الخمسينات من عمرها، ولكنها كانت برشاقة فتاة بريعان الشباب، ويطل الثراء الفاحش من زينتها وهيئتها، ولكن الغريب أنها لم تنظر نحوي ولو للمحةٍ خاطفة، على الرغم من كوني لاحظت أنها تحاول أن تلمحني بطرف عينيها دون أن تُوجِّه نظرها نحوي، ومن ثم جلست إلى المقعد المقابل لمقعد حسن الشكير والذي لا يواجهني، وحينها التفت مدير النيابة ناحيتي: -هل لديك أي أقوال أخرى؟؟

-لأ يا افندم، ماليش أي أقوال غير اللي قلته، الأقوال كلها عندها.

-اكتب يا محمد، أقفل المحضر في ساعته وتاريخه، وتليت على المتهم أقواله وأقرها، وماتخليهوش يوقع عشان لسه هنشوف لو حابب يستفسر عن حاجة من الشاهدة، وافتح لي محضر جديد عشان ناخد شهادة المدام.

وحينها أدار ناصيته من ناحية الكاتب باتجاه تلك السيدة وأردف:

-جاهزة للتحقيق يا افندم؟؟

حينها أومأت برأسها ويديها بما ينم عن دهشتها وقالت:

-ولو اني مش عارفه أنا إيه علاقتي بالتحقيق دا إلا إني ماقدرش أتأخر عن العدالة.

فضحكتُ بسخريةٍ:

-ابتديناها بكذب من الأول يبقى مالوش لزوم التحقيق من أساسه.

حينها أردف مدير النيابة معنفًا:

-لو سمعت صوتك تاني يا إيهاب مش هحضَّرك التحقيق معاها وهايحضر وكيلك لوحده.

فرفعتُ يدي المثقلة بتلك القيود مشيرًا نحو فمي بأنني لن أتحدث مجددًا، وحينها وجَّه نظره نحو تلك السيدة قائلًا:

-اسمك وسنك وعنوانك ومهنتك؟؟

-وفاء عبد الجليل العطيوي، اتنين وخمسين سنة، مقيمه بالإسكندرية بالعجمي، والمهنة سيدة أعمال.

-ما هي علاقتك بالمدعو ياسين محمود سلامة؟

-كان زوجي الله يرحمه.

-هل بالفعل وافت زوجك المنية إثر حادث بالطريق الدولي الساحلي بالقرب من نقطة إسعاف منطقة الكسارة؟؟

-حصل يا افندم.

-ممكن توريها السلسلة المحرزة يا حسن بيه؟

-أوامرك يا معالي الريس.

وحينها أخرج حسن تلك القلادة من حقيبة كانت إلى جوار مقعده، فأمالت خصرها للأمام لتدقق النظر فيها، ثم اعتدلت في جلستها مشيحة بوجهها يمينًا ويسارًا بما يوحي انعدام معرفتها بتلك القلادة.

-س/ هل تلك القلادة كانت من مقتنيات زوجك؟؟

-طبعًا لأ، أنا أي حاجة كان جوزي بيلبسها أو حتى بيقتنيها كان بيبقى عندي علم بيها، والسلسلة دي أول مرة أشوفها.

فحينها قاطعتها ضاحكًا:

-أنا شايف الكدب من قفاكي على فكرة، ومن غير ما أبص في عينيكي الحلوين كمان.

-طلعوه لغرفة الانتظار وسيبوا موكله.

-ما عدتش فارقة، أنا كدا كدا مش عايز أسألها عن حاجة، لكن أنا عرفت اللي أنا عايزه خلاص.

وحينها ساقني الجندي نحو غرفة الانتظار على الرغم من اكتمال يقين كل من بالغرفة حول استماعي لكل ما سيدور بها، فتلك السيدة تعلم عن القلادة ما لا أعلمه، ولكن سننتظر ونرى حين أقابلها ولو بعد حين، هل سترد بتلك الأكاذيب فأضطر حينها أن أنقص ذلك العداد رقمًا واحدًا؟ فلم يعد يعنيني من ذلك العالم الظالم سوى أن أعرف حقيقة ذلك الشيء الكامن بداخلي، وكيف أتمكن من التعامل معه، ولتذهب تلك البراءة للجحيم مصطحبة كل القرابين التي سأضطر لتقديمها في طريقي، ومن ثم ألقيت أذنيّ عندهم فسمعت:

-هل لديكِ أي أقوال أخرى؟؟

-لأ يا افندم.

-طيب وقّعي على أقوالك يا مدام.

وحينها خرجتْ من تلك الغرفة التي كنتُ أجلس على مقعدٍ يتيح لي رؤية بابها، فنظرتُ نحوها بما يحمل كل معاني الغيظ والرغبة في الانتقام، والغريب أنها بادلتني نظرة إشفاقٍ هذه المرة، ثم سارت في الرواق فكنتُ ملقيًا مسمعيّ نحوها مستمعًا لكعبي حذائها وهما يطرقان الأرض في خطواتٍ وئيدة حتى سمعتها تقول:

-ألو أيوه يا جميل أخبارك إيه؟

ثم سكتتْ لثوانٍ أتبعتها بقولها:

-أنا عارفة إنك سامعني كويس دلوقتي يا إيهاب.

الفصل السادس

- أنا عارفة إنك سامعني كويس دلوقتي يا إيهاب، وبدل ما تهددني بنظراتك اعقل تصرفاتك، أنا ما كانش ينفع أقول أي حاجة هنا، ما حدش كان ها يصدقني، وهايقولوا عليا مجنونة زي ما بيقولوا عليك وفقا للي عرفته من المحامي بتاعي قبل ما آجي، وفي نفس الوقت ممكن تفتح عليا وعلى جوزي الله يرحمه أبواب ما صدقت إنها اتقفلت، لو قدرت تهرب وانا عارفه إنك هتقدر، تعالى لي، اسأل عليا في العجمي وألف مين هايدلك، وساعتها هقول لك كل المعلومات اللي عندي، واللي أنا واثقة إنها هتفيدك، ويمكن تقدر بعدها توصل للي احنا ما قدرناش نوصل له، وبالمناسبة إنت سابك دور المجنون كويس، وبصفة عامة مع القدرات اللي عندك إنت تقدر تسبك أي دور على أي حد، وانت طبعًا عارف إن الهروب من مستشفى أسهل بكتير من الهروب من سجن، هستناك.

حينها استشاط ذهني من وقع تلك الكلمات التي قالتها، وكأنها تُحادث إحداهم في هاتفها، ففراستي كانت بمحلها، وتلك النسبة الضئيلة من قناعاتي والتي كانت تلح عليّ لتكذيب تلك الفراسة تيقنت بأنها كانت خاطئة، فيبدو وكأن هدفي صار أكثر وضوحًا، فهناك من يمكنه توجيهي نحو دربٍ أسلكه، بصيص نورٍ ظهر بآخر النفق المظلم، بل والأكثر من ذلك أن تلك السيدة التي تعلم عن أمر القلادة ما لا أعلمه استطابت فكرتي حول إيعازهم بجنوني، فيبقى أن أكمل ذلك الدرب حتى أصل إليها، ومن ثمّ أستقي منها ما أواصل به طريقي نحو الحقيقة الكامنة خلف تلك القلادة وحينها سأدرك مبتغاي.

وما هي إلا دقائق واصطحبوني نحو الحجز مجددًا، فكنتُ حينها قلقًا من تأخر إرسالي لتلك المستشفى، فهل من الممكن أن يتجاوزوا كل ما قدمت من دلائل توحي بقدراتٍ عقلية مصحوبة بخللٍ عقلي من وجهة نظرهم الرافضة لتصديق أمر القلادة؟ هل من الممكن أن يفكروا من منطلق الإدانة وحدها؟ وحينها هل عليّا المجازفة بمحاولة الهروب مع سنوح أول فرصة، حتى وإن كان من الوارد أن يودي ذلك بحياتي البائسة؟ ولمَ لا؟ فمحاولة

الهروب حتى وإن أودت بحياتي خير من انتظار ذلك الحبل الذي سيعانق رقبتي إن امتنعوا، ومن ثم بقيث على تلك الحالة المتوترة ليومٍ آخر، والتي لا تهدأ إلا حين أرى طيف نور لأسرح فيه فيرق قلبي وأعاود التفكير في طريقي القادم، فهل إن كُتب لي الخروج من هنا سأواصل رحلة البحث عن حقيقة القلادة من أجل التعايش مع الطبيعة الكامنة بداخلها، حتى وإن قدمت في سبيل ذلك قرابينها، ولتذهب تلك البراءة العصية على الإثبات للجحيم، أم سأواصل من أجل التحرر من قيدها، ومحاولة إثبات براءتي من تلك المصائب التي ألحقتها بي، خاصة بعد ثبوت سلامة نية تلك السيدة؟ حتى اليوم الثاني الذي قررت فيه إجابة سؤالي حين ميزت صوت نور عند باب مركز الشرطة، فانتفض قلبي وصرث أستمع إليها بكل جوارحي حين قالت:

-تعرف الأستاذ إيهاب اللي محجوز عندكم هنا؟؟

فكان يبدو أنها تُخاطب أحد جنود قوة تأمين بوابة القسم والذي رد عليها باهتمامٍ:

-وهو حد تايه عن الشيخ إيهاب يا أبله!

-طيب ممكن تعطي له الورقة دي؟؟

-اوعِي يكون فيها سحر سفلي ولّا أعمال ولّا أي حاجة من الحاجات دي؟!

-لا والله أبدًا، ولو عايز تقرأها اقرأها.

-أقرأ إيه بس، خلاص هوصلها له، خد يا محمد ابعت الورقة دي للشيخ إيهاب، أي أوامر تانية يا أبله؟

-لأ شكرًا لحضرتك.

حينها كنث منتظرًا لذلك الخطاب وكأن فوق صدري جمرة لن تزاح إلا بوقوعه بين يديَّ، إلى أن سمعتُ خطوات أحدهم يقترب من باب الحجز فقلتُ له مستبقًا:

-عديها من تحت الباب بدل ما تعمل كل الإجراءات بتاعت دخول الحجز.

حينها لم ألقِ بالًا لأنه سيقف مذهولًا من معرفتي بالأمر قبل قدومه نحوي، فقلتُ بحدةٍ حتى أستعجل قدومه:

-وقفت ليه؟ خلّص يا دفعة وعدي الورقة من تحت الباب.

فلم ينطق، بل هرول حتى بلغ باب الحجز، ومن ثمَّ مررها وعاد أدراجه مهرولًا ليحكي لرفقائه عن بركاتي، فلم أشغل بالي بحديثهم، فقد كان بين يدي ما هو أهم من ذلك بكثير، ففتحتُ الورقة متلهفًا لأقرأ ما فيها بعينيّ:

-أنا بعت لك الرسالة دي عشان أنا مش عارفة كان ممكن تسمعني وأنا واقفة بره القسم ولا لأ؟

-لما جيت لك القسم المرة اللي فاتت بابا عرف وعمل مشكلة كبيرة أوي ومنعني من الخروج لغاية النهاردة اللي يعتبر أول يوم أخرج فيه، حتى أنا كنت لابسة نقاب وانا بسلم الورقة دي للعسكري، بس كل اللي عايزه أقوله لك إني بحبك يا إيهاب، وواثقة من براءتك كمان وهستناك.. فاوعى تستسلم يا إيهاب عشان خاطري، اوعى تستسلم، ولو قدرت في أي وقت إنك تعمل مكالمة تليفون فدا رقمي...، بحبك.

حينها كنتُ أشعر وكأن روحي قد دبت بجسدي من جديد، وكأن هذه الورقة هي بمثابة نجم في السماء يُحدد دربي في طريقي المظلم بصحرائي القاحلة، وكأنها القشة التي بها سأقاوم، فهناك من ينتظر بالضفة الأخرى، فما أصعب أن تقاتل وحيدًا بلا هدف! الآن أدركت إجابة تساؤلاتي، سأقطع طريقي لأتخلص من القيدين وأسترد نفسي وليس قيدًا واحدًا، فبقيتُ ليلتها متحفزًا أنتظر ذلك القرار بترحيلي، فلن يمكنهم تجاوز كل ما قدمت من دلائلٍ على قدراتي الغير طبيعية، وأثناء تناولي إفطاري باليوم التالي بلغ مسمعيّ خبر نقلي للمستشفى، فاشتعلت حماستي من جديد، وما هي إلا دقائق وسمعت صوت حارس الزنزانة الأجش وهو يقول:

-يلا يا شيخ إيهاب اجهز عشان هاتترحل للعباسية.

وحينها استبشرتُ خيرًا بصوته، وصرت أفكر فيما سأفعل مع أولئك الأطباء، وهل سيكون إقناعهم هينًا مثل إقناع سلطات التحقيق؟ ولكنني أدرك جيدًا أنه طالما صاحبتني تلك القدرة فكل شيءٍ سيهون، ولكن الطامة الكبرى أن تختفي مجددًا، فقد مر عشرة أيامًا تقريبًا ولا تزال في أوجها، وما هي إلا دقائق وانفتح باب الزنزانة على نفس المشهد، ومن ثمَّ اصطحبوني لسيارة الترحيل، وما هي إلا ساعة ووصلنا تلك المستشفى والتي ما إن دلفنا من بوابتها حتى استرقتُ النظر لتلك الأسوار الشاهقة التي تحيطها، وتلك الحديقة التي كان ينتشر بها عدد من نزلائها، ولكن ما استرعى انتباهي أن هناك جزءًا من تلك الحديقة معزول بسورٍ عالٍ من الأسلاك الحديدية، وبه عدد من النزلاء المقيدين، فيبدو وأن أولئك هم رفقائي المستقبليين، حتى توقفت السيارة أمام بوابة المبنى الرئيسية، فدلف الضابط "علي" الذي كان يركب بمقدمة السيارة داخل المستشفى حاملًا بعض الملفات والمستندات، ومن ثم خرج بعد عدة دقائق حاملًا ورقة واحدة، ومن ثم شرعوا في إنزالي، فكان هناك الجنديين المشهرين أسلحتهما حين استبدلا قيود السجن بقيود المستشفى، فخاطبت علي قائلًا:

-أشوفك على خير يا علوه.

فاقترب مبتسمًا من أذني وهمس:

-على فكرة أنا غيرهم، وعارف إنك مش مجنون، وواثق إن الموضوع بتاعك دا وراه قوة خارقة، وإن احتمال كبير تكون بريء، لكن مستحيل حد هيصدقك، لأن القانون نفسه مش هيصدقك.

فأملت فمي على أذنه وقلت:

-لأ، أنا مجنون بقى يا علي، وانت اللي أهبل عشان بتصدق الكلام الفاضي ده.

وحينها انفجر ضاحكًا، ثم ربت على كتفي وتبادلنا نظرة تحمل معاني الحقيقة العارية، ومن ثمَّ تم اقتيادي، فكان هناك فردَ آمنٍ من قوة المستشفى شاهرًا بندقيته من خلفي طوال سيرنا إلى جانب اثنين من رفقائه يحيطانني حتى بلغنا بناية تحمل يافطة كُتب عليها عنبر ٦، فدخلنا إلى بهوها الواسع حتى استقللنا المصعد للدور الثالث، ومن ثم سرنا في ردهةٍ ضيقة إلى أن بلغنا بوابة حديدية، فقام أحد فردي الأمن بفتحها، ومن ثم واصلنا مسيرنا بتلك الردهة حتى وقفنا أمام غرفة تحمل الرقم سبعة وثمانين، فأدخلوني إليها، ومن ثمَّ قام أحدهم بحل قيودي بينما كان حاملَ البندقية يقف خارجها، ويبدو وكأن الأمر لن يكون سهلًا كما كنُت أتخيل، خاصة مع كل ذلك التأمين عند البوابات الرئيسية للمستشفى وعند مداخل الأبنية وفي الردهات، ومن ثمَّ استقر بي الحال في غرفتي، والتي لا تحوي سوى سريرٍ ومقعدٍ وملحق بها حمام صغير كل ما فيه بلاستيكيًا، وما إن تفقدت غرفتي وجلست على طرف سريري حتى صرتُ أحاول استراق السمع متنقلًا بين الغرفات، فكانت كل المحيطة منها خاوية، وكأنني وحدي بذلك القسم أو أنهم بفترة التريض، فبدأتُ أنقل سمعي نحو تلك البناية الرئيسية التي دخلها «علي»، فمن المؤكد أن هناك من سيتحدث عن حالتي إلى أن مر ما يقرب الساعة حين سمعت أحدهم يقول:

-صباح الخير يا ريس.

-أهلًا يا دكتور عماد، ناموسيتك كحلي ولا إيه؟! بيقولوا إنك جيت متأخر النهاردة عن مواعيد الحضور، أنا مرضيتش أخليهم يشطبوا عليك المرة دي كمان خلي بالك.

فسحب شهيقًا طويلًا وزفره متنهدًا:

-والله يا ريس بقالي يجي شهر ما رُحتش زورت ولادي، حتى طليقتي اللي كانت بتقابلني وهي متضررة طول الشهر اللي قبله من ساعة ما اتطلقنا، كلمتني أكتر من مرة بتقول العيال عايزة تشوفك، فقلت أروح

أطل عليهم، ولما خلصت قلت أتمشى شوية يمكن أفك زهقي، فالوقت خدني ونمت متأخر، دا غير إن المشوار من بيتي لهنا يا ريس بياخد بتاع ساعة ونص وانت عارف.

-طيب خلاص مش مشكلة، خلينا نركز في الشغل، في نزيل جديد عايزك إنت اللي تبحث حالته، وتكتب التقرير بتاعك قبل ما يتعرض على اللجنة الثلاثية.

-مش اللي قتل أربعة دا يا ريس؟

-أيوه هو.

-طب يا ريس، بالله عليك تبعدني عن الحالات اللي مشكوك إن وراها جن دي، أنا عمري ما كنت بعترض على أي شغل، إنما من يوم ما ماتت تسنيم وأنا حاسس إن فيًا حاجة مش مظبوطة، ولا انت عايز نبؤتها تتحقق؟!

حينها احتدث نبرة ذلك المدير قائلًا:

-جرى إيه يا عماد؟! إنت هتصدق كلام الممرضات والعمال ولا إيه؟ من إمتى واحنا بنصدق في الكلام ده؟! تسنيم إنت كتبت التقرير بتاعها وفقًا للمعايير الحيادية للطب النفسي، وإياك تفتح الموضوع دا تاني!

حينها هدأت نبرة صوت عماد:

-يعني إنت يا ريس مش شاكك نهائيًا إن كان ورا تسنيم دي حاجة ما ورائية؟ وصدقني دي آخر مرة هفتح الموضوع ده، بس تجاوبني بصراحة.

حينها آحسست بقيام ذلك المدير وحركته داخل تلك الغرفة حين استأنف وكأنه يوشوش عماد:

-شايف الكرسي بتاعي اللي هناك دا يا عماد؟

-أيوه يا ريس شايفه طبعًا.

-أهو أنا بقى طول ما أنا قاعد عليه، فتسنيم دي كانت قاتل بيحاول

يفلت من العقوبة، وما فيش حاجة اسمها جن يسكن بني آدم، لكن لما أروح البيت، ممكن أفكر بشكل تاني.

-طب خلاص يا ريس، حل الحكاية دي عندي.

-إزاي؟؟

-الدكتورة هبة يا ريس، لسه جديدة هنا صحيح، لكن نشيطة وشاطرة، والأهم بقى إنها بتتعامل بحرفية عالية وما عندهاش تحيز لأي فكرة مسبقة.

-يا عماد افهم، إنت لازم تطلع من الصومعة اللي حطيت نفسك فيها من بعد موت تسنيم دي، دا انت بقالك تلات شهور ما بحثتش حالة جديدة، وهو أنا يعني ما اقدرش آأمرك وانت تنفذ وخلاص؟

-تقدر يا ريس.

-بس أنا مش عايز كده، أنا عايزك تركز في الحالة دي كويس لإن الموضوع دا بالذات شائك جدًا، القصة مش قصة مجنون ولا عاقل، النيابة طالبة تحديد ما إذا كان لديه قدرات استثنائية من عدمه، ولو موجودة إيه التفسير العلمي لوجودها؟ بعيدًا عن التفسيرات الما ورائية طبعًا، وهل هو عنده قناعة حقيقية بإن القدرات دي مصدرها قوى عليا أو خارقة هي اللي بتحركه، فتتصنف حالته إنها اضطراب وهامي مختلط مثلًا أو شيزوفرينيا، ولّا هو عارف إنه عنده قدرات استثنائية وخلاص وبناءً عليه بيلعب بالقدرات الاستثنائية دي على وتر المرض النفسي لما بينسبها لقوى علوية؟ وبعدين الحالة جاية من النيابة مقشرة، يعني همَّ معتقدين إنه مريض نفسي أصلًا، فانت الملعب مفتوح قدامك إنك تنفي أو تثبت.

فتنهد مرةً أخرى وأردف:

-خلاص يا ريس، اللي تشوفه، تحب أبدأ إمتى؟

-من النهاردة يا عماد، الملف اللي بعتاه النيابة موجود عندك على مكتبك

وموجود فيه السلسلة اللي بيحكي المريض إنها كانت مصدر قوته.

-ماشي يا ريس، أستأذنك أنا بقى عشان أروح أشوف هعمل إيه في المصيبة دي.

حينها استبشرث خيرًا لقدوم القلادة للمستشفى، فلن أرحل إلا برفقتها، ومن ثم صرت أتتبع صوت عماد الذي استقر على مكتبه، وظل يهمهم لساعتين أثناء فحصه لملفي، ومن بعدها سمعث صوته وهو ينادي على أحدهم:

-روحوا هاتوا لي الحالة الجديدة، لكن أنا عايز عسكري من قوة تأمين المستشفى يقف بسلاحه جنب فرد الأمن اللي معاه بندقية التخدير، وتلاتة من الأمن هم اللي يكلبشوه، ويكون التعامل كدا دايما مع النزيل ده.

-أوامرك يا دكتور عماد.

وما هي إلا دقائق ودلفوا إلى غرفتي، وتم اقتيادي نحو غرفة الفحص والتي أجلسوني فيها إلى أحد المقاعد الحديدية المثبتة إلى الأرض بدعائم فولاذية، وكبلوا يديّ وقدميّ إلى ذلك المقعد، وما هي إلا دقائق ودلف عماد إلى تلك الغرفة، والذي كان ممتلئ القوام، أصلع الرأس، كث الشارب، وما إن هم أفراد الأمن والجندي بالانصراف حتى أردف مشيرًا بيده ناحية فرد الأمن الذي يحمل بندقية التخدير:

-إنت رايح فين إنت؟ خليك هنا عشان إنت هتقعد معايا، وهاتوا له يلّا كرسي من بره.

ثم جلس حينها على مقعدٍ جلدي موازيًا لمقعدي يفصله عني ثلاثة أمتار، ويجاوره منضدة صغيرة وضعت عليها بضعة مستندات إلى جانب القلادة، حين جاء أحد أفراد الأمن بمقعدٍ خشبي جلس إليه زميله في ركن الغرفة ورحل الآخر، وحينها بدأ عماد يُقلب في تلك المستندات بيديه حتى استخرج دفترًا وضعه فوق تلك المستندات ومن ثم نظر ناحيتي:

-احكي لي بقى حكايتك يا أستاذ إيهاب.

حينها لمحتُ بعينيه شيئًا من ذلك البريق الذي لا تحمله أعين البشر، فثبَّتُ عينيَّ عليهما، لكنه أمال رأسه مسرعًا ناحية دفتره، فكان هروبه من نظراتي رد فعلٍ طبيعي من عماد استنادًا لتوجسه المسبق من حالتي، لكن حينها بدأ يُدبدب داخل رأسي ما يشي بأن هناك شيئًا غامضًا بشأنه، خاصة مع كل ذلك الحديث عن تسنيم ونبوأتها، وما طرأ عليه من هواجسٍ أتبعت واقعة موتها التي لا زلت أجهل تفاصيلها، فأردت أن أثير عنها الحديث لغرضين: أولهما أن أستعرض تلك القدرات أمام ذلك الطبيب، والثاني هو أن أستفز ما بداخله إن كان هناك.

فرددتُ قائلًا حينها:

-أحكي لك حكايتي ولّا حكاية تسنيم أحسن؟

حينها جحظت عيناه وكأنه رأى ماردًا يشخُص أمامه، وهو ما كنتُ أتوقعه من الطبيب، فلم يمر على قدومي أكثر من ساعتين وأثير النقاش حول أكثر ما يحاولون الهروب من الحديث عنه، ولكن الغريب أن ذلك البريق زاد تألقه بعينيه حينها، ثم بدأ في الخفوت بعد لحظاتٍ ليعود لهيئته الأولى التي لمحتها حين تلاقت أعيننا أول مرة، وكأن ما بداخله يمعن في الاختفاء والهروب، ولكن الطبيب ظل فاقدًا لاتزانه لثوانٍ بعدها، فكان أغلب ظني أن ذلك الطبيب لا يعلم بأمر ما يعتمل بداخله، فحينما كان يحكي مع مديره قال: "من يوم ما ماتت تسنيم وأنا حاسس إن فيَّا حاجة مش مظبوطة، ولّا انت عايز نبوئتها تتحقق؟"، وهذا يؤكد منطقية فرضي.

فحاولت أن أنحي جانبًا تلك الخاطرة التي تعتمل بداخلي عن أن هناك ما يسكن جسد الطبيب متواريًا إلى أن ننتهي من أمر ذلك الفحص وندع الأيام تثبت أو تنفي خاطرتي، ومن ثم قررتُ أن أكمل مع عماد لعبة القدرات كمريضٍ وطبيبه، فعاجلته بالمفاجأة الثانية عله يترنح وأتمكن من إنهاء النزال بالضربة القاضية حين أردفتُ:

-وبعدين أنا زعلان منك يا عمدة، بقى يا راجل أنا ضيف عندك ومش عايز تقابلني وعايز الدكتورة هبة هي اللي تقابلني؟! أنا هشتكيك لطليقتك على فكرة، وهي كدا ولا كدا زعلانه منك.

حينها ظل خبوثُ البريق على حاله، فكنتُ بالكاد ألمحه، أما عماد فحاول أن يتمالك حاله مسرعًا، ومن ثم فاجأني برد هجومي عليه بهجمةٍ مضادة حين قال:

-لو سمحت يا أستاذ إيهاب يا ريت تبطل أسلوب الاستعراض في عرض قدراتك الاستثنائية قدامي، لإن وفقًا للتقارير اللي شفتها فدي تقريبًا مسألة مفروغ منها، وما تنساش إن أنا طبيب نفسي ومتأكد إنك مش منفصل عن الواقع وإنك في كامل وعيك وإدراكك.

حينها أدركت أنه على الرغم من خوفه إلا أنه يتمتع بما يكفي من الذكاء وسرعة البديهة، فكان يجب أن أتعامل من هذا المنطلق وأحاول أن أقرأ أفكاره قبل أن يقرأ أفكاري:

-خلاص يبقى إيه لازمته الفحص بقى طالما إنت واثق كده؟

-ما هو احنا لازم نفهم بردو أصل القوة دي أو مصدرها ما بين قناعاتك وما بين القناعات العلمية، ونشوف ساعتها هيتوافقوا ولا هيتعارضوا، بعدها نقدر نشخص حالتك.

-وأنا تحت أمرك يا دكتور عماد، بس ممكن سيجارة بقى عشان الكلام يحلو.

-ممنوع التدخين في غرفة الفحص وفي المستشفى ككل، لكن لو خلّصنا الحوار دا على خير، هبعت لك علبة سجاير في الخباثة على حسابي، ولو اتقفشت ابقى قول إنك جبتها بالقدرات الخارقة وماتجيبش سيرتي.

فاتضح لي أيضًا أنه يمتلك حس المراوغة، فهو يعلم حجم قدراتي جيدًا، ولن يكون التلاعب به هينًا، فحينها قلتُ ممازحًا حتى أخرجه من هالة

الجدية التي يحاول أن يواري جزعه خلفها:

-أيوه بقى يا عمدة، شجعني كدا.

حينها لم يبتسم، بل فتح دفتره ونظر إليه مردفًا دون أن يلتفت نحوي:

-إنت قدمت خمستاشر طلب نقل من نقطة الإسعاف اللي انت كنت فيها، صح؟؟

-صح، ويا ريتهم وافقوا على واحد فيهم، قبل ما يحصل اللي حصل.

حينها لم يُعلق على مقولة: «قبل ما يحصل اللي حصل»، فهو لا يريدني أن أمسك بزمام الحديث وأوجهه حيث أرغب، بل يُحبذ أن يلعب وفقًا لخطته، لذا سألني:

-إنت عندك فكرة عن إن ضغط العمل أو بمعنى آخر عدم تقبل العمل لما بيوصل لمرحلة معينة ممكن يعمل انحرافات نفسية أو سلوكية، بعضها إدراكي وبعضها لا إدراكي؟؟

-ممكن طبعًا.

-هل انت كنت حاسس بأي نوع من أنواع الانحرافات دي؟؟

-تقريبًا، بل ممكن يكون دا من الأسباب اللي دفعتني إني آخد السلسلة وأخبيها وما بلّغش عنها، وعشان ضميري يرتاح قلت إن الفضول اللي دفعني إني آخدها.

حينها التفت نحوي:

-قصدك إيه بالفضول؟؟

أحسستُ لوهلةٍ حينها أنه وقع في مصيدتي والتقم الطعم الذي ألقيته كي نبدأ بحديث مطول عنها فأجبتُ:

-السلسلة دي كانت سلسلة ذهب لها خصائص غريبة، مش نحاس زي ما انت شايف دلوقتي، وبمجرد ما تلبسها سحرها بيسكن جواك وتتحول

لسلسلة نحاس وتعطيك قدرات عجيبة.

قلتها منتظرًا أن يسأل عن تلك القدرات، ولكنه يُثبت كلما توغلنا في الحديث أنه أحذق مما كنت أظن حيث استأنف قائلًا:

-طيب، في نظرية بيقولوا إنها هجين ما بين العلوم الفيزيائية والعلوم الروحية بتتكلم عن إن الموت بيترك بقايا قوى نفسية بتكون مالية حضرة الموت، ودا بيحصل استنادًا لحقيقة إن الطاقة لا تفنى ولا تُستحدث من العدم ولنظرية تناسخ الأرواح، بس في الحالة دي التناسخ مش تناسخ تام للروح دا مجرد تناسخ للقوى النفسية فقط أو تشبع بيها من قبل المُستقبِل، وبمفهوم النظرية فإن القوى دي ممكن يمتصها أو يتشبع بيها الأفراد اللي بتشتغل في مناطق الموت زي المسعفين مثلًا، والأكتر من كدا إنهم بيقولوا إن الموت بعنف نتيجة حوادث أو قتل بيحرر قوى نفسية أعلى من حالة الموت الهادي، وبطبيعة الحال مش كل البشر قادرين على الاستجابة للقوى النفسية دي أو التشبع بيها، فممكن نفترض إن قدرتك العالية على التشبع بالقوى النفسية دي كان هو السبب في إصرارك المتواصل على النقل من النقطة، خاصة إن نفس النظرية بتقول إن التشبع دا مش كله فوايد وتعاظم قوى وخلاص، لإن زي ما بينقل قوى إيجابيه بينقل قوى سلبية.

-طبعًا حضرتك تقصد إن مصدر القوى اللي جوايا هو النظرية اللي بتحكي عليها، واللي أنا فعلًا سمعت عنها من مسعف قديم، لكن أحب أقول لك إني معايا بكالريوس تمريض خمس سنين، مش جاهل يعني ولا حاجة، فوفقًا للنظرية اللي انت بتحكي عنها المفروض إن اجتذاب القوى دي أو التشبع بيها بيكون تدريجي أو تصاعدي، مش في يوم وليلة تلاقي نفسك اتغيرت بشكل جذري، على فكرة أنا مش مجنون وعارف إني لو مثلت الجنون هنا بالذات هتكشف، أنا بس بقول الحقيقة اللي أنا عارف إن صعب تصدقوها، وهي إن السلسلة دي مصدر كل قدراتي، وانها بتتحول لما تتلبس، ومبترجعش لصورتها الطبيعية إلا بموت حامل سحرها، وتحولها دا كان السبب في إنهم يحاولوا يقتلوني عشان ترجع لصورتها

اللي هم عايزينها، وإن القدرات دي هي اللي أنا استخدمتها عشان أدافع عن نفسي، وإن اللي جوايا طالب المزيد من الدم.

-طيب تفسيرك إيه لإن الخبير الفيزيائي لما فحصها قال إنها مصنوعة من النحاس، ومش فرعوني ولا حاجة وعمرها تقريبًا ٨٠٠ سنة، والخبير اللغوي قال إن النقوش اللي عليها مش تابعة لأي لغة معروفة؟

-ما عنديش أي تفسير للكلام دا، وأنا ما قلتش إنها فرعونية ولا أعرف هي تنتمي لأي حقبة الحقيقة، لكن كل اللي أعرفه إني من ساعة ما لبستها بقيت غيركم، بقيت أقوى.

وحينها رفع عماد بؤبؤ عينيه لعيني بينما كان مستوى نظره عند صدري، وزوى طرف شفته الأيسر لأعلى بابتسامةٍ كورت وجنته اليسرى، فكانت ابتسامة لا تمت بصلة لشخصيته التي كنت أتعامل معها طوال ذلك اللقاء، وحينها ومض ذلك البريق بعينيه أكثر من أي وقتٍ مضى، ومن ثمَّ سمعت صوته يتردد بعقلي دون أن يُحرك شفتيه:

-بقيت زينا إحنا.

حينها سرت تلك القشعريرة الباردة بكل جسدي حين تيقنت مِن وجود مَن يسكن خلف تلك العينين، ولكنه يسكن جسده فلم أرَ صورته الحقيقية، فرددت قائلًا:

-إنت مين؟؟

فتردد نفس الصوت بعقلي:

-تصدق إن دي أول مرة أسيطر على إدراكه، وما كنتش ناوي عليها دلوقتي خالص، بس اللي جواك يستاهل.

حينها صرتُ أحدق بعينيه أثناء صمتٍ دام لثوانٍ كنتُ أحاول فيها استجماع شجاعتي ورباطة جاشي، وصرتُ أذكّر نفسي بأنني رأيتُ بعينيّ توجس الجن مما يسكن بداخلي حين كنت بالمنزل المهجور محاولًا أن

أستدعي تلك الثقة مرة أخرى، ومن ثمَّ ابتسمث نفس ابتسامته لأواري ما بقِيَ من جزءٍ بداخلي وأردفت:

-سكنت جسمه من بعد موت تسنيم؟؟

فزالت ابتسامته واعتلى الغضب محياه:

-من بعد ما اتسبب في موت تسنيم.

-وعايز مني أنا إيه؟؟

-حاجة بسيطة جدًا... تموت.

فزدتُ حينها من ابتسامتي متعمدًا لأواري رهبة متصاعدة بداخلي:

-طب ما تقتلني!

حينها عاد لابتسامته الباردة وتردد صوته برأسي:

-للأسف لو قتلتك بإيده هو هيموت وراك بحبل المشنقة، أما بالنسبة له فأنا عايز أدمر حياته واحدة واحدة، بعدها أخليه يتمنى الموت لغاية ما يموت موتة يستاهلها، أنا بستمتع جدًا بعذابه المتنامي، ومش راضي أتحكم في إدراكه طول الفترة اللي فاتت عشان أسيبه يدوق العذاب، أما الموت دا لحظة وبترتاح، شُفت بقى أنا بحبك إزاي؟

حينها راودني إحساس الميت الذي لن يخشى بعد موته خشية، والذي بدأت أتعود على نوباته، فقهقهث عاليًا، ثم قطعت قهقهتي ونظرت بحدةٍ نحو عينيه:

-قول إنك مش هتقدر تموتني، ولا تقدر تسكن جسمي خوفًا من اللي جوايا.

فاتسعت حينها ابتسامته حتى كورت وجنتيه:

-جايز، لكن اللي انت مش واخد بالك منه إنك جيت لي على طبق من

دهب.

-إزاي؟؟

-بعد إعدامك، التميمة أو زي ما بتقول الدلاية اللي عليها العهد هيرجع لها طيفها.

فعاجلته متفهمًا لخطته:

-وساعتها يتأكدوا إني كنت صادق وإنهم كانوا غلطانين بخصوصي، مش دا قصدك؟؟

-مش مهم إنهم، المهم إن هو اللي ياخد الضربة التانية، وإن الكل يشهد هنا إن براءة إيهاب ما هي إلا تأكيد لبراءة تسنيم.

-وإحساس عماد بالذنب يزيد وروحه تضعف أكتر وتحكُّمك فيه يعلى، تفكير شيطاني بجد، طب ما حاولتش تسكن عماد وقتها وتنقذها ليه؟

حينها زالت ابتسامته من جديد وقطب ما بين حاجبيه فعاجلته:

-ما قدرتش، صح؟؟

حينها أمسك بهاتف عماد ونظر بغيظٍ نحو شاشته السوداء التي ينعكس وجهه عليها:

-كانت هالته الروحية أصعب من الاختراق، كان مؤمن بحياته وأسرته وشغله، لكن بعد موت تسنيم، الإحساس بالذنب فضل ينهش في روحه، والإيمان بوجودنا والخوف مننا بدأ يزيد جواه، وفضلت وراه لغاية ما الهالة دي وصلت لأقصى ضعفها وساعتها سكنته بكل سهولة.

-وما حاولتش ليه تهربها؟

-وانت تعرف تهرب دلوقتي؟ اللي بيسكنك ممكن يعطيك قدرة لأقصى قدر ممكن يستوعبه جسمك البشري، وعلى فكرة إنت لولا إن قدراتك فعلًا عالية ما كُنتش قدرت تستحمل القوة الرهيبة اللي جواك، لكن أنا هاريحك

منها قريب، وانسى بقى حكاية إنك تقعد في المستشفى أو تهرب وكل الخطط اللي في دماغك دي.

فزدت من ابتسامتي حينها وكأنني أتحداه، ولكنه استدار نحو دفتر عماد وكتب أثناء نطقه ما يكتب لأول مرة بعد تلك المحادثة العقلية من جانبه:

-تبين لنا من الفحص الأولي وجود قوى استثنائية، ويغلب علينا الظن أنها ناتجة عن تلك النظرية الهجين الخاصة بتحرر القوى النفسية وتناسخ الأرواح مع العلم أنها لا زالت نظرية في طور البحث، أما بخصوص المريض فهو يدرك تمام الإدراك أن تلك القوى لا تتعلق بقوى علوية أو غيره، بل هو يجهل مصدرها ويدّعي وجود قوى علوية تُحركه ليُثبت وجود خلل عقلي يهرب من خلاله من المسئولية، وقررنا إجراء تخطيط كهربائي للدماغ "EEG" لتوضيح ما إن كان بالنشاط الكهربائي لدماغه خللٌ ظاهرٌ من عدمه، مع الوضع بالاعتبار زيادة نشاط الدماغ عن الأوضاع الطبيعية وذلك لوجود تلك القدرات.

وحينها ابتسم تلك الابتسامة الباردة، ومن ثمَّ قام خارجًا، وما هي إلا دقائق واصطحبوني نحو غرفة الأشعة ومنها إلى غرفتي.

*****

الفصل السابع

وكأنني أخرج من ضيقٍ إلى ضيقٍ أشد، فكلما ضاقت كلما استحكمت حلقاتها، وما عدتُ أظنها ستفرج، كان هذا هو حالي بينما كنتُ بغرفتي، لا أدري هل أحمل همي وحده على عاتقي المُثقل أم أضع فوقه هم ذلك الطبيب الذي تنهار حياته مثل انهيار حياتي نتيجة خطأ لم يُلقِ له بالًا؟ ولكن تحررنا واحد، فعماد الطبيب يدرك أنني أمتلك تلك القوى، وأنا لا يُزعزع ثقتي أي هاجس عن كونها قوة مصدرها ما ورائي، وبطبيعة الحال كان سيُدرك ذلك ويقرره لحالتي كنوعٍ من أنواع المرض النفسي المستعصي، ومن ثمَّ أبقى هنا إلى أن أجد طريقة للخلاص، ولكن هذا

الشيء يسعى لخلاف ذلك، مخفيًا سببًا من أسباب رغبته في ضياعي ألا وهو أنه يخشاني ويخشى وجودي، فأنا الخطر الوحيد المُحدق به، أنا من أستطيع كشف سره، ولكن هل سأقابل عماد الطبيب مرة أخرى، أم سيظل من بداخله مسيطرًا عليه في جلساتنا القادمة؟ وإن ظل مسيطرًا على جسده فهل سأستطيع أن أستنهض عماد ليطفو على واجهة هذا الجسد، ومن ثمَّ أخبره أن بداخله من يهد حياته فوق رأسه، علّه يقاوم وينقذ نفسه وينقذني، أم سيحسبني مجنونًا حينها وأخرف بخرافات أخرى؟ صرت على حالي لا أدري متى تكون جلستنا القادمة خاصة وأن عماد قد غادر المستشفى بمجرد انتهاء جلستنا الأولى، إلى أن مددتُ جسدي فوق سريري وأمسكتُ بتلك الورقة، وظللتُ أنظر إليها وكأنني أحادثها، كأنني أرى بها ذلك الوجه الذي يبعث بداخلي الأمل كلما قررتُ أن أفلت يدي المتشبثة، وكأنني أسمع ما فيها من كلماتٍ بصوت نور الذي يدفع الطمأنينة إلى قلبي حتى غفوت، وفي الصباح خرجتُ مقيدَ القدمين واليدين لتلك الحديقة الخاصة التي يُحيطها سورٌ مرتفعٌ من الأسلاك رفقة أولئك النزلاء بقسمي، فجلستُ شاردًا على أحد المقاعد الأسمنتية المجاورة للباب السلكي، لا أعلم هل أقدم على هروبٍ سريع قبل أن يرسلني هذا الشيء لحبل الإعدام فيلتف حول رقبتي، وإن كان هذا يبدو مستحيلًا وفقًا للظروف الراهنة، أم أحاول أولًا أن أتخلص منه فأحرر نفسي وأحرر ذلك الطبيب؟ ولكن كيف يمكنني التخلص منه وهو يُحكِم التواري داخل جسد عماد؟ فيبدو طبيعيًا لا تشوبه شائبة، ثم يظهر ذلك الشيء مسيطرًا على جسده إن عنت له حاجة، حينها كنتُ أفكر أن أسأل أحد النزلاء أو أحد أفراد الأمن المنتشرين بالحديقة عن قصة تسنيم، فقد أستقي من حكايتها ما يساعدني في أمري، ولكنني استبعدتُ فكرة أفراد الأمن حتى لا يشي بي أحدهم لعماد أو لغيره، وهو ما يتنافى مع قدراتي الخارقة التي لا أريد أن أحدد نطاقًا لها، فجلت بنظري بين النزلاء محاولًا أن أرشح منهم من يمكنني إجراء حديثٍ طبيعيٍ معه، فوقع ناظريَ على نزيلٍ يجلس فوق مقعدٍ يقع بين جذعي شجرتين ضخمتين بمنتصف الحديقة، فكان بالستينات من عمره تقريبًا، يجلس قابضًا يديه فوق

فخذيه، عاقدًا ما بين حاجبيه، وبين الفينة والأخرى يصدر عن لسانه كلمة أو كلمات، ولكنها كانت بلا مغزى، فكان يقول وكأنه يسأل نفسه مستفهمًا: "وساوس؟!"، ثم يصمت لبرهةٍ وبعدها تتهلل أساريره ويضرب بظهر يده اليمنى راحة يده اليسرى قائلًا: "أيوه هي رسايل، شفرات"، ثم ينقطع صوته لثوانٍ حتى ينطق بغيظٍ وقتما يُكور يديه من جديد: "عقول مريضة"، ويستمر على هذا الحال لمدة تقارب الربع ساعة، ينطق خلالها بعض الكلمات المقتضبة من ذلك الحديث الطويل الذي يجريه مع نفسه حتى يسكن، ومن ثمّ يرفع رأسه ليتأمل الشجرتين العاليتين ويتبع ذلك أن يتلفّت حوله وكأنه يخشى أن يكون هناك من يراقبه، ومن بعدها يعود لهيئته الأولى ويبدأ في إعادة نفس الحديث من جديد انطلاقًا من تساؤله الوجودي: "وساوس؟!".

لتحميل المزيد من الكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات .

فنحيت فكري عنه إلى شابٍ يجلس إلى مقعدٍ يجاورني، يبدو وأنه بمنتصف الثلاثينات من عمره، فكان محدبًا ظهره ناظرًا نحو قدميه أثناء تربيعه يديه إلى بطنه ولكنه كان لا يهذي ولا يصدر عنه أي صوتٍ وكأنه بالكاد يتنفس، فحينها قررتُ أن أجرب حظي معه، فمن الواضح أنه ممتلك لزمام عقله، ولكنني ما إن سرتُ أجرجر في قيودي حتى بلغتُ مقعده إلا وقام مبتعدًا إلى مقعدٍ آخر محملقًا نحوي في فزعٍ، فجلستُ على المقعد الذي كان عليه لعدة دقائق محاولًا أن أجول بنظري مرة أخرى، حتى وقعت عيناي على سيدةٍ يبدو من صوتها أنها بمنتصف الأربعينات، تجلس مولية ظهرها لي بطرف الحديقة لتحادث نفسها وكأنها تُراجع أمرًا أو تحاول تذكره حيث سمعتها تقول:

-المادة والطاقة وجهين لعملة واحدة، وكل صورة منهم ممكن تتحول للتانية، وتحوُّل المادة إلى طاقة أمر شائع جدًا ومعروف، أما تحوُّل الطاقة إلى مادة فمحتاج لإهدار طاقات عالية عشان نسحق فوتونات وننتج

مكانها إلكترونات وبوزيترونات، وبعد كدا كل شيء ممكن يبقى سهل.

فكان يبدو من حديثها العلمي المعقد الذي لا أفهمه أنها تتحدث بمنطقيةٍ حتى وإن كانت تُخاطب نفسها، فعقدتُ العزم على أن أجرب حظي معها قبل أن أحاول إيجاد غيرها، خاصة وأن الباقين يبدو أنهم ليسوا أفضل حالٍ منها، وما إن بلغتها حتى وجدتها شاحبة الوجه، يُغطي أسفل عينيها هالة من السواد المطبق تبدو جلية تحت عويناتها، وشعرها الأسود يتخلله خصلة بيضاء تميل لليسار قليلًا عن المنتصف، هزيلة الجسد، لكنها منمقة الملبس فأردفت:

-ممكن أقعد جنب حضرتك؟

فنظرت نحوي مبتسمةً:

-أوي أوي.. اتفضل.

-الجو النهاردة لطيف.

-ادخل في الموضوع من غير مقدمات لو سمحت.

ردت بجمودٍ، حينها اضطربت للحظاتٍ من تلك الفظاظة التي أتبعت ابتسامة لطيفة فرددتُ مبتسمًا:

-إيه حكاية تسنيم؟؟

-تسنيم كانت واحدة بتشتغل موديل مع فرقة شعبية، من اللي بيغنوا ويرقصوا في الأفراح والسهرات، فصاحب الفرقة اللي كانوا ساكنين في بيته، هو في شقة والبنات في الشقة اللي قصادها حاول يغتصبها فقتلته، الغريب إنها قتلته بإيديها وبس، بمعنى أصح خنقته، على الرغم من إنه يفضّل منها اتنين تقريبًا، زمايلها البنات الاتنين اللي في الفرقة شهدوا إن كان بينها وبينه خلافات، وإنها كانت عايزة تسيب الشغل عشان واكل عليها فلوس كتير، وما حدش قدر يثبت محاولة الاغتصاب عشان هي ما كانش موجود في جسمها ولا خدش، النيابة افترضت إنها دخلت عليه

وهو نايم وخنقته، خاصة إن الواقعة كانت في شقته، والدافع هو الانتقام منه عشان ظالمها وواخد فلوسها أو ممكن عشان تسرقه، وهي دفعت بالعكس وإنه كان جايبها بحجة إنهم هيتراضوا في عدم وجود صاحباتها عشان ما يطالبوش بفلوسهم همَّ كمان، وساعتها حاول يغتصبها بدافع كسر عينيها، ولغيظه من تبجحها وفقًا لكلامها، ودفعت إن الجني اللي جواها هو اللي قتله لما حاول يغتصبها.

فكانت تلك السيدة تتحدث بسرعةٍ عجيبة، وكأن الكلام يتراص بعقلها قبل أن تنطقه ببرهةٍ يسيرة، مثبتة نظرها على نقطةٍ في موازاة عينيها، فكانت لا تنظر نحوي أثناء حديثها واضعة ساقها اليسرى فوق اليمنى وتتشابك أصابع يديها فوق ركبة قدمها المرفوعة، فحاولت مجاراتها سائلًا:

-طب والحقيقة؟؟

فعدلت من وضع نظارتها فوق أنفها أثناء تسليط نظرها على تلك النقطة الوهمية أمامها:

-الحقيقة إن تسنيم كان معاها جن حارس أو عاشق، مخاويه بقى ولا عاشقها ولا معقود عليها من صغرها، ما حدش عارف، خاصة إن بنات الفرق دي، بيبقوا سايبين أهلهم من سنين، سواء تاهوا ولا اتخطفوا ولا أهلهم ماتوا، المهم إنهم بالمعنى البلدي كدا مالهمش أهل.

-طب وإيه اللي حصل هنا في المستشفى وازاي ماتت؟

-تسنيم حاولت تثبت بكافة الطرق إن عليها جن، حاولت تطلب منهم إنهم يحرروها من القيود الحديدية وإن حد يحاول يتهجم عليها وكل دا اتقابل بالرفض طبعًا.

فقاطعتها متسائلًا:

-دكتور عماد اللي كان ماسك حالتها؟؟

فأشارت بمعنى الموافقة، ثم استأنفت:

-أيوه هو اللي كان ماسك حالتها، لكن كان صعب جدًا أيامها، وما كانش عنده أي اقتناع بفكرة وجود الجن.

-وبعدها إيه اللي حصل؟

-بعد ما عماد كتب تقريره المُفصَّل عن كون الأمر دا خرافات بتحاول المذنبة إنها تتنصل بيها من جريمة القتل، وإنها مش مقتنعة أصلًا باللي بتقوله نتيجة بعض التناقضات اللي قدر يستخلصها من كلامها، وفي ليلة من الليالي المطر، كان في صباحها تسنيم ها تتعرض على اللجنة الثلاثية خلاص، وكان بنسبة تسعة وتسعين في المية هترجع للحبس والإجراءات المحاكمة العادية، لكن الكهربا قطعت عن عنبر ستة، والمولد الاحتياطي كمان ماشتغلش، لكن بعد دقيقتين تقريبًا الكهربا رجعت للعنبر، لإن في حالة عطل المولد الاحتياطي ممكن يحولوا كهربة العنبر دا على العنبر اللي جنبه لأن عنبر ٦ عنبر جديد وفيه الميزة دي، فلما الكهربا رجعت أفراد الأمن شافوا في الكاميرات فرد أمن زميلهم واخد تسنيم وطالع بيها من الباب الحديد اللي في طرقة الدور الرابع بعد ما فتحه وفتح باب أوضتها، ساعتها صفارات الإنذار ضربت، وكل أفراد الأمن جروا بسلاحهم على المكان دا، ووقتها فرد الأمن اللي كان مع تسنيم فص ملح وداب على الرغم إن ماكانش فيه منفذ يهرب منه، وتسنيم جريت على شباك من شبابيك الطرقة، لإن الشبابيك اللي برا البوابة الحديد وقتها ما كانش عليها حواجز، وهددث إنها هترمي نفسها لو حد قرب منها، فحاولوا يقربوا منها فقالت: "بكرة هتتمنى الموت يا عماد ومش هتلاقيه" وبعدها نطت.

-طب مين فرد الأمن؟

-لما راجعوا الكاميرات وجابوا فرد الأمن دا، أقسم إنه كان نايم في مكانه في غرفة المبيت بتاعت أفراد الأمن وماتحركش، ولغاية ما قطعت الكهربا ما كانش فيه أي كاميرا من كاميرات المراقبة رصدته.

-أومال مين اللي فتح لها البوابة الحديد وباب غرفتها؟

-مافيش إلا احتمال واحد.

-اللي هو؟

-إن الجني بتاعها اتجسد في شكل فرد الأمن، الجن بيتجسد عادي في صور بني آدمين أو حيوانات وساعتها بيسري عليه كل أحكام البشر، فقدر إنه يقطع الكهربا وياخد المفاتيح، ويفتح لها زي أي فرد أمن، لكن المصدر التالت ماتعطلش.

-طب ماتجسدش في صورة عماد نفسه ليه؟

-أفراد الأمن همَّ اللي معاهم مفاتيح الأوض والبوابات، أمّا لو اتجسد في شكل عماد فآخره هيطلب الحالة أو هيروح لها وهيبقى في وجود أفراد الأمن بردو، وبعدين إنت ما تعرفش هو خطته كانت إيه، الخيارات المتاحة كتير وكلها بتحمل نفس الخطورة تقريبًا.

-بس إزاي جني ما قدرش يهربها؟ يعني ما كانش يقدر يقتل الناس اللي في الدور دا كله مثلًا؟

-مشكلتكم إنكم فاهمين الحكاية غلط، في قواعد بتحكم التداخل بين العالمين، الأصل إن عالم الإنس وعالم الجن عالمين منفصلين، الجن ما يقدرش يسكن جسد أي بشري أو على الأقل يتواصل معاه إلا في حالات، منها مثلًا عهد أو استحضار أو تسخير، أو إلحاق أذى من البشري للجني أو عشق من الجني للبشري، وحالات تانية كتير ليها اشتراطات أساسية للخروج عن الأصل ده، زي قوة وضعف الهالة الروحية للبشري ومدى مقاومتها للتواصل أو رغبتها فيه، والهالة دي عاملة زي جدار من القوى النفسية اللي بتقدر تصد اختراق طاقة الجن، وبردو في اشتراطات من ناحية الجن للتواصل، زي رتبة الجني الساعي للتواصل، واللي كل ما عليت كل ما زادت قدراته، سواء قدراته فيما يخص إمكانية كسر القاعدة الأصلية أو قدراته اللي يقدر ينقلها للمتواصل معاه أو يؤذيه بيها، أما في

حالة التجسد الكامل في صورة بشرية ودا غير التلبس طبعًا، فدي أخطر حاجة ممكن يقدم عليها الجني، لأنه بيبقى أضعف ما يكون في الحالة دي، لأنه بيهدر طاقة عالية جدًا من أجل التجسد دا وبينطبق عليه كافة أحكام البشر، يعني لو قتلته في صورته البشرية بيموت كجن، ودا غير حالة التلبس طبعًا اللي بيفضل محتفظ فيها بقدراته وهيئته الطاقية، ولو قتلت اللي متلبسه فالجني ما بيموتش، الجن اللي كان مع تسنيم من نفس رتبة الغفّار كدا، زي معظم الجن اللي بنشوفه في حالات التواصل أو التلبس أو التسخير حوالينا، ودول قدراتهم محدودة يعني ولا هينفخ في الباب الحديد يفتحه، ولا هيحرق أفراد الأمن بشعاع من عينيه، ولا هيخترق عالم البشر بأفعال خارقة، وأقصى حاجة قدر يعملها إنه يجازف ويتجسد عشان يحاول يهربها، ولما فشل اختفى قبل ما يقنصوه، وفيه حالات طبعًا أقوى من حالة الجني دا موجودة، لكن الجن اللي بيقوم بالأعمال الخارقة بالنسبة للبشر زي الجن اللي كان متسخر لسيدنا سليمان مثلًا، دا نادر جدًا إن لم يكن مستحيل إنك تشوفه أو تقابله، لأن دا مش بيكسر القواعد الأساسية بتاعت الانفصال بين العالمين وبس، لأ دا كمان بيكسر قواعد ثابته في عالم البشر نفسه، ودا محتاج رتب من الجن أعلى من مستوى تواصل البشر، ومش كل الجن في الحالات الشائعة حوالينا مقتصر على اللي بيخليك تصرخ وتنتفض زي الملبوسين، ولا مقتصرين بردو في شئون السحر زي شغل السحرا والعرافين بتاع كشف الغيب الحاضر أو الماضي أو الأمراض أو التخييل أو التفريق أو الحب والكره وغيره من شئون السحر.

فيه جن ممكن يعلّي من قدراتك الذهنية، زي ما فيه رسامين وعازفين وشعرا وكتّاب ممسوسين بجن سواء عارفين بكده أو مش عارفين، زي ما فيه ناس عادية ممسوسة ومش حاسة، وفيه بردو جن بيعلّي من قدراتك أو استجابتك العضلية زي تسنيم كده، وفيه حالات تانية كتير وكل دا بيندرج تحت الجن ذو القدرات العادية.

-يعني ما يقدرش يقتل بشري ساكنه؟

-وانت شايف إن إمراضه للبشري أو قتله بعد ما يسكنه دا شيء خارق؟! دا أسهل حاجة في الدنيا هي قتل البشري، دا فيروس أو ميكروب ممكن يقتل البشري دا، الفكرة بس في إنه يقدر يسكنه ولا لأ؟؟

حينها كان يدور بداخلي عماد حين سألتها، ولكن التساؤل الأكبر كان حول هذه السيدة، فكيف تعرف كل تلك المعلومات؟ وجال بخاطري أن من المؤكد أنها من الساحرات أو العرافات اللائي ألقِيَ بهن بين غياهب السجون والمستشفيات العقلية، فكنث مترددًا أن أسألها عن سبب قدومها، ولكن التلقائية التي تتحدث بها هي ما دفعتني لأن أسأل:

-هو حضرتك جيتي هنا ليه؟

فتنهدث بزفرةٍ ثقيلة، ثم نظرت نحوي لأول مرةٍ فلم ألمح بعينيها أي بريقٍ مثل الذي أراه في أعين المسحورين أو الملبوسين، ومن ثمَّ أردفت حين عادت مولية رأسها للأمام:

-العلم أحيانًا لما بيسبق المنطق السايد في المجتمع بيكون خطر على صاحب العلم نفسه، جاليليو لما قال إن الأرض هي اللي بتدور حوالين الشمس مش العكس اتهموه بالجنون، ودا نفس اللي حصل معايا.

-ممكن توضحي لي أكتر؟

-أنا كنت أستاذ الفيزياء في كلية العلوم جامعة عين شمس، لكن بعد فترة اتجهث للدراسة في العلوم الما ورائية كنوع من أنواع الترفيه وكسر جمود الدراسة الأكاديمية البحتة، لكن لقيت نفسي بتمادى في دراسة العلوم دي بنهم، لكن اللي ما عملتش حسابه إني أحاول أربط بين العلمين في مواضع شائكة جدًا، ساعتها كنت زي اللي حط بنزين على النار.

-إزاي؟

-أنا حطيت نظرية فيزيائية بتفسر طريقة تواصل الجن مع الإنس قايمة على فكرة الحث الكهرومغناطيسي للدماغ، مش عارفة إنت هتفهمني ولا لأ، لكن هحاول أبسطها لك، خاصة إن الفكرة هتفيدك في إنك تفهم اللي

جواك.

حينها التفتُ ناحيتها بعد أن كنتُ موليًا وجهي أمامي مثلها، فاستأنفتْ دون أن تحول وجهها نحوي قائلةً:

-ما فيش حاجة بتستخبى هنا في المستشفى خاصة لو ليك مصادرك، في البداية أنا اتكلمت عن فرضية مما يتكون نسيج الجن؟

واستنادًا لكون أصلنا كبشر من طين فاحنا بالتالي بقينا مخلوقات مادية، فالجن أصله من نار غليا مجهولة المصدر والتكوين، يعني طاقة، فبالتالي الجن مكون من نسيج عبارة عن تداخل مجموعه من الطاقات تقدر تسميها حقول طاقة أو مجالات طاقة عشان تُكوِّن نسيج من الفوتونات غير مرئية بالنسبة لنا كبشر أجسامنا مكونة في الأصل من إلكترونات وبوزيترونات.

-قصدك كدا إن الجن زي الموجة الكهرومغناطيسية، وإنها عبارة عن تداخل موجة مغناطيسية مع موجة كهربائية فبتتكون الموجة الكهرومغناطيسية اللي أحد صورها الموجة الضوئية أو الضوء.

-بالظبط كدا، لكن بصورة أوسع، يعني إنت بتشوف شعاع الضوء اللي صادر من كشاف بيشتغل بحجارة قد عقلة صوباعك ككيان ظاهر قدام عينيك، أما الجن فهو ناتج عن تداخل عدد أكبر من الطاقات زي الطاقة الكيميائية والمغناطيسية والكهربائية والحرارية والإشعاعية وغيرها، وممكن تضيف على كدا طاقات مش معلومة بالنسبة لنا كمان عشان تِكوِّن في الآخر نسيج مختلف عن كل ما سبق وغير مرئي بالنسبة لنا، وقابل للانتقال بسرعات عالية جدًا زي انتقال الطاقة، وعشان أبسطها لك فدا عامل زي المثال اللي انت قلته عن الموجة الكهرومغناطيسية، فهي ليها خصائص مختلفة عن الموجتين المشتركتين في تكوينها، وبناءً عليه بدأت أحط تفسيرات لبعض الظواهر القريبة جدًا من الواقع زي الوسوسة والأحلام.

-إزاي؟ هو الشياطين اللي هي نوع من أنواع الجن بتوسوس للبشر إزاي؟! هل هو بيوشوش لك في ودنك، ولا انت بتسمع الصوت جوا

دماغك؟ ثانيًا الأحلام اللي أصلها من الشيطان بتترسم جوا مخك إزاي؟ الحقيقة إن كل إدراك للعالم المحيط أو كل نشاط أو حركة بيقوم بيها الإنسان مسئول عنها سيالات أو ذبذبات عصبية ماشية في الموصلات العصبية المكونة للجهاز العصبي اللي رأسه هو الدماغ، السيالات أو الذبذبات دي عبارة عن تيار كهروكيميائي، يعني كهربا ماشية في الموصلات العصبية مصدرها تفاعل كيميائي جوا الجسم، والكهربا اللي ماشية في جسمك دي بينتج عنها مجال مغناطيسي حوالين الموصل العصبي اللي ماشية فيه، وهعرفك فايدة المجال دا بردو.

فلك أن تتخيل إن إدراكك للعالم اللي حواليك مش بعينك ولا بودنك ولا بكل المستقبلات الحسية، لإن المستقبلات دي وظيفتها إنها تبعت إشارات أو ذبذبات كهروكيميائية عن طبيعة الشيء للدماغ اللي بيقوم بترجمة الذبذبات اللي جاية من الودن مثلًا في مركز السمع أو الذبذبات اللي جاية من العين في مركز الإبصار فتسمع وتشوف، حتى حركتك ورد فعلك فناشئة عن نفس السيالات العصبية الكهروكيميائية من المخ أو النخاع الشوكي لكل غدد وعضلات وأنسجة جسمك... فكرة الحث الكهرومغناطيسي كبداية بصورة مبسطة عبارة عن إنتاج تيار كهربائي في موصل كهربائي باستخدام مجال مغناطيسي أو طاقة مغناطيسية وطبّق نفس الفكرة على الدماغ والجسم كله، يعني انت تقدر تغير من الكهربا اللي ماشية جوا الموصلات العصبية باستخدام طاقة مغناطيسية، وهي فكرة مطبقة حاليًا بالفعل واسمها الحث الكهرومغناطيسي للدماغ، وبتستخدم في تشخيص بعض الحالات زي السكتة الدماغية وعلاج أمراض زي الاضطراب الاكتئابي الشديد أو الفصام.

فلو حد قدر إنه يتحكم أو يغير بصورة ما في السيالات أو الذبذبات العصبية اللي جوا دماغك ممكن يسيطر على وعيك وإدراكك وحركتك، يعني ممكن تشوف أو تسمع واقع غير الواقع اللي حواليك، يعني ينقل لك واقع مختلف، وممكن يرسم لك زي حلم في دماغك ومش وانت نايم بس، لأ وانت صاحي كمان، وممكن يحركك بشكل مختلف عن الشكل اللي انت

عايزه أو ممكن يوسوس لك أو يخاطبك أو يكشف لك حاجات غايبه عنك، وممكن يسكنك بالكامل وما تشوفش ولا تسمع ويحركك ويتكلم على لسانك.

وبمفهوم العكس، فالمجالات المغناطيسية اللي ناشئة عن سريان الكهربا في دماغك أو موصلاتك العصبية بشكل طبيعي ممكن تترجم فيقدر يقرأ أفكارك أو يشوف ذكرياتك لو حاولت تنشطها وتتذكرها وتمشيها في موصلاتك العصبية بدل ما هي متخزنة وراكدة جوا الخلايا العصبية. وباعتبار الجن كائن طاقي يعني سيطرته على الطاقة وتحكمه فيها عالي جدًا زي ما الإنسان كائن مادي بيقدر يتحكم في المادة ويوجهها، فالجن يقدر يقوم بعملية التحكم في دماغ الإنسان أو التواصل معاه بدرجات متفاوته طبعًا، وفقًا لحجم الاتصال بينهم وقدرات الجني نفسه، عن طريق فكرة تحكمه في الطاقة، يعني يقدر يبث مجالات مغناطيسية تبث تيارات محددة جوا دماغك فيتحكم في حركتك وإدراكك زي حالات التلبس أو يتواصل معاك زي بقية حالات التواصل، عمرك ما سمعت عن الشيوخ الصوفيين اللي كان يسهى وسط أتباعه ولما يفوق يقول أنا صليت ركعتين في المكان الفلاني؟ أو عمرك رحت لساحر وقعد يوصف لك شكل بيتك وكأنه شايفه؟ الحقيقة إنه ما بينتقلش من مكانه لكن الروحاني أو الجني اللي معاه بينقل وعيه للمكان أو بينقل المكان لوعيه وكأنه جواه، وعلى الجانب الآخر من الفكرة فالجن يقدر يترجم المجالات المغناطيسية اللي ناشئة عن الطاقة الكهروكيميائية اللي ماشية طبيعي في موصلاتك العصبية فيقدر يقرأ أفكارك اللي بتفكر فيها، ويقدر يسمع اللي انت بتسمعه، بس في الحالة بتاعت ترجمة المجالات المغناطيسية فدا مش نوع من أنواع التلبس، دا مجرد ترجمة لموجات صادرة عن التيارات اللي ماشية في دماغك، يعني لا بيأمرك ولا بينهيك ولا بيتحكم فيك في الحالة دي، وعلى العكس تمامًا بالنسبة لنا كبشر فاحنا من المستحيل استحالة تامة إن احنا نقدر نتداخل في وعي الجن إلا كمستقبل للي بيوجهه ناحيتنا؛ لأن احنا كائنات مادية، والطاقة المغناطيسية اللي صادرة عن أجسامنا طاقة ضعيفة جدًا ما نقدرش نوجهها ولا نتحكم فيها، ولا هي

بالقوة اللي تقدر تتداخل مع طاقة الجن المهولة، عشان كدا كنت بضحك جدًا على رواية بتحكي عن واحد بياخد حباية بيقدر من خلالها يتداخل في وعي جني هو مش ساكنه أصلًا لأ وكمان يشوف ذكرياته.

وفي النهاية أحب أقول لك إن دا اللي بيحصل معاك بالظبط، وإنك لو ما كنتش جيت لي آنا كنت هجيلك؛ لأن على الرغم من غرابة حالتك وتفردها لإني أول مرة أشوف حالة تواصل بالشكل بتاعك دا إلا إنك بتمثل نموذج متجسد لتأكيد فرضياتي اللي لما ناقشتها في مؤتمرات عزلوني من الجامعة، فبدأت أشرحها عالنت أو في مؤتمرات أصغر، خاصة لما قدرت إني أقوم بقياس النشاط الكهربائي في الدماغ لبعض الحالات اللي بتدّعي إنها مسكونة في أوقات الاتصال مع الجن ومقارنتها بالقياسات في الأوقات الطبيعية أو بقياسات بشر طبيعي وطلعت فعلًا بنتايج تأكد كلامي في بعض الحالات، فبدأت أتكلم بعدها في كذا مكان وبدأت ألاقي استجابة وتأثير واسع، وبدأت أشرح إزاي ممكن نستفيد من النظرية إذا اتطورت في التفريق ما بين حالات المرض النفسي وحالات التلبس الحقيقية؛ لأن الشعرة ما بين الاتنين رفيعة أوي، وطلع في الآخر إن كلامي بيتعارض مع المنهج السائد بإنكار الجن فجابوني هنا، والمفارقة اللذيذة إني لما جيت هنا عرفت إن عنبر ستة دا معمول أصلًا للحالات اللي مشكوك في أمرها إنها ممسوسة بالجن، لكن طبعًا بصورة غير رسمية، لكن إنت ما قلتليش إنت بتسمع وتشوف في نطاق دايرة قد إيه تقريبًا؟

فتنهدتُ حينها من كم المعلومات التي لم أستوعبها، ثم رددتُ مشيرًا بيديّ بشكل الدائرة:

-بسمع يمكن في إطار دايرة قطرها كيلو، وفي البداية كانت كل الأصوات بتتداخل في دماغي، بعد كدا فضلت تهدى لغاية ما اختفت، إنما لما بوجّه سمعي في اتجاه معين بسمع اللي بيتقال فيه، وإذا حد اتكلم عني أو بخصوصي أو كان كلام المفروض أسمعه بسمعه، أما النظر فبقدر أشوف كويس جدًا في نفس الإطار وبقدر أشوف الجن لو حاولت أشوفه وبردو

علامات السحر.

-إممم.. تقنية التحييد والانتقاء.

-مش فاهم.

-في البداية هو لما سكنك سيطر على حاسة السمع عندك وبقيت تسمع من خلاله وبقدراته السمعية من خلال بثه المباشر للذبذبات في أعصابك السمعية، لأن هو بيقدر يسمع الدايرة دي كلها ويمكن أكتر، وعشان كدا كنت بتسمع الأصوات بتتردد جوه دماغك بمستوى واحد، وبتقدر تحدد مصدر الصوت كمان، لإن آلية تحديد مصدر الصوت بالنسبة لنا كبشر موجودة لكن بدائية شوية بالنسبة لهم، لأنها عندنا بتعتمد على اتجاه الصوت وقوته، أما بالنسبة له فبتتحدد وفقًا لاستقراء الموجة الصوتية نفسها، لكن عقلك الواعي عمره ما يقدر يستحمل تداخل الأصوات دي كلها فبيبدأ يحيد الأصوات دي أو يهملها واحدة واحدة لغاية ما بيهملها كليًا، لكن الأصوات بتفضل مسموعة في عقلك الباطن اللي أول ما بيسمع حد بيتكلم عنك أو بخصوصك أو يهمك سماع كلامه بيعطي إشارة للعقل الواعي وبينبهه بالصوت دا فبتدأ تسمعه وفقًا لتقنية الانتقاء... بنفس المنطق إنت بتقول إنك لما بتوجّه سمعك في مكان بتقدر تسمعه والحقيقة إنك مش موجه سمعك ولا حاجة إنت بالفعل سامع كل الأماكن بعقلك الباطن، لكن بتنتقي اللي بتسمعه بعقلك الواعي، وبردو لازم تعرف إنه ناقلك الأصوات بمستوى معقول تنفع معاه تستخدم التقنية دي.

وحينها التفتت نحوي قائلة:

-جرب كدا إن احنا نسكت، وهشوف كام صوت ممكن أسمعه بسهوله حواليا لما نبطل كلام.

فصمتنا حينها لبرهةٍ ومن ثم استأنفت بعد ثوانٍ:

-لما كنا بنتكلم أنا وإنت وكنا مركزين مع بعض وعاملين إهمال لباقي الأصوات حوالينا، حتى ولو أنا لوحدي ومركزة في حاجة أو بقرأ في

رواية مثلًا، ببقى محيدة أصوات كتير حواليا، إنما أول ما أحاول إني أسمع اللي حواليا هتلاقيني سمعت صوت عصافير ما كنتش سامعاها، وصوت ورق الشجر اللي بيهزه الهوا، وصوت كلاكسات العربيات بره المستشفى، وصوت ممرضة بتزعق، هي دي تقنية التحييد والإنتقاء اللي من المؤكد إنه كان بيساعدك في تطبيقها بطريقةٍ ما، وبالنسبة للنظر فنفس الكلام تقريبًا مع الفارق، لإنه من المؤكد إنه بيقدر نظره يخترق الحواجز والمجسمات في إطار الدايرة دي أو أكبر، ولو نقل لك القدرة دي إنت مش هتشوف أصلًا، لإن تداخل الصور مش هيقدر دماغك يتعامل معاه بتقنية التحييد والانتقاء، فهو أكيد نقل لك قدراته البصرية في مجال الرؤية المباشر وفي نطاق رؤية عينيك، وبردو من خلال البث المباشر في أعصابك البصرية، ودا إنت ممكن تكون استخدمت معاه التحييد والانتقاء من غير ما تحس لإن احنا تقريبًا بنشوف الدايرة دي بل بنشوف أبعد منها بكتير، وممكن نشوفها بدقة أكبر لو استخدمنا عدسات مكبرة وساعتها بنشوف طبيعي بردو، فانت وانت ماشي أول ما خرجت للشارع ممكن تركز في يافطة بعيدة وتقرأها أو وش تلمح تفاصيله من على بعد وبعد كدا هتمشي طبيعي، ودا لإن التقنية دي إحنا مطبقينها في الحياة الطبيعية بتاعتنا بخصوص النظر، وأظن إن الفرق بين رؤيته ورؤيتك في مجال الرؤية المباشر مش كبير، إنما الميزة الضخمة اللي بيتميزوا بيها هي الرؤية من خلال الحواجز والمجسمات واللي ما ينفعش تتنقل لك، أما بخصوص رؤيتك للجن أو علاماته فهو أكيد بينقل لك القدرة دي من ضمن قدرات النظر، لكن بصورة ضعيفة، فبتزيد ملكة الانتقاء، فبتبقى محتاج تركز أوي أو بمعنى آخر تنتقي أوي اللي انت عايز تشوفه، لإن الجن حوالينا في كل مكان، بصفة عامة قدرة الإبصار كانت منقوله لك قاصرة وبقوة أقل لأنها أكبر وأوسع مدخل للوعي وعمرك ما كنت هتقدر تسيطر عليها نفس سيطرة قدرة السمع، اللي احتجت شوية وقت عشان تقدر تسيطر عليها.

حينها لمحت عماد يمر من ذلك الممر المجاور لتلك الحديقة وما إن رأيته حتى لمحت ذلك البريق يلمع بعينيه ما إن لمحني ومن ثمَّ بدأ يزيد في

سرعة خطواته متوجهًا نحو المبنى الرئيسي، فأدركت حينها أن هناك ما ينتويه بخصوصي، وأن وقتي بالحديقة محدود فعاجلتها:

-طيب أنا في صوت بيتردد جوا دماغي وكأنه عداد تنازلي للبشر اللي مفروض أقتلهم!

-أنا مش ساحرة ولا عرّافة عشان أعرف طبيعة العهد اللي حملته لما لبست السلسلة ولا أعرف ممكن تتحل منه إزاي، أنا اللي أقدر أفسره هو القوى اللي بتحصل لك بحكم طبيعة أبحاثي.

وما هي إلا دقيقة وسمعت صوت عماد يتحدث إلى بعض أفراد الأمن من غرفته معنفًا لخروجي للتريض، ومن ثمّ أخبرهم بمنعي من الخروج من غرفتي نهائيًا، وأن أي قرارٍ متعلق بشأني لا بُدّ لهم من أخذ رأيه قبل إتيانه، وما هي إلا دقائق ولمحت فردين من الأمن قادمين نحو حديقتنا، ويبدو أنهم لن يتوانَ في تنفيذ تعليماته.

*****

الفصل الثامن

فكنتُ أعلم وجهتهما التي لم تكن غيري، فسلمتُ على رفيقتي وودعتها حين بلغا مقعدنا، ومن ثمّ اصطحباني فصرتُ أحاول أن أتجاذب معهما أطراف الحديث بأي شأن، ولكن كان من الواضح أن هاجس تسنيم تغرق فيه المستشفى بأسرها حتى الثمالة، فكانا يردان بإجاباتٍ مقتضبة للغاية، حتى بلغنا غرفتي التي علمت بتلك المرة أنني لن أتجاوز عتبتها إلا في حالة الفحص أو عند الرجوع لأقسام الشرطة والمحاكمات، فبدأتُ أنتظر ذلك الحوار الذي من المؤكد أنه سيدور بين مدير المستشفى وعماد، فقد سمعت ذلك المدير صباحًا قبل خروجنا للتريض يسأل عن قدومه أكثر من مرة، وما هي إلا دقائق وتبادر لمسمعيْ حديثهما:

-صباح الخير يا ريس، سمعت إنك طلبتني.

-صباح الخير يا عماد، بغض النظر عن إنك جاي متأخر كعادتك في الأيام الأخيرة لكن دا مش سبب طلبي إني أشوفك، أنا طالبك عشان أناقشك في التقرير اللي كتبته عن الحالة.

-تقريرا!

قالها مستغربًا وكأنه لا يتذكر لوهلةٍ ذلك التقرير، فأدركتُ أن من بالواجهة الآن هو عماد الطبيب، ثم أردف:

-آه آه افتكرت، أنا فعلًا قابلته امبارح، بس انت عارف يا ريس إن الموضوع موترني، فأنا فاكر الحوار في بدايته كنت مركز أوي معاه، لكن زي ما تقول كدا واحدة واحدة تركيزي فلت مني، وما غدتش مركز مية في المية، ممكن تناولني التقرير؟

-اتفضل يا سيدي.

وحينها بدأ عماد يهمهم للحظاتٍ، ثم أتبع ذلك بأن قال:

-واضح إنه منطقي جدًا.

-هو إيه يا عماد اللي واضح إنه منطقي؟

-التقرير يا ريس.

-وهو التقرير دا اللي كاتباه الست الوالدة مثلًا عشان تطلب إنك تقرأه.

-بالله عليك يا ريس اعفيني من الحالة دي، أنا حلمت بالحالة ولا تلاتين مرة وانا نايم، لدرجة إني ما غدتش عارف إيه اللي حصل في الحقيقة، وإيه اللي حصل في الحلم؟

-طب شوف التسجيل كدا بتاع الجلسة.

وحينها أدارا تسجيل الجلسة على حاسب المدير، فكانت تسير كل أمورها بطبيعيةٍ حتى ذلك الوقت الذي اعتلى فيه الجني إدراكه، فصرتُ أتحدث وحيدًا بينما عماد لا ينطق، حتى ذلك الوقت الذي أخذ يكتب فيه

تقريره إلى أن انتهى التسجيل.

فأردف مديره:

-ها إيه رأيك في الدقيقتين تلاته اللي في الآخر دول؟

فصمت عماد لبرهةٍ وكأنه يستجمع أفكاره:

-شكله بيستهبل أو بيعمل فيها مجنون، هو آه عنده قدرات سمعية وبصرية عالية قدر يعرف من خلالها حاجات زي حوار تسنيم وانا بررت مصدرها في التقرير بتاعي، لكن بردو يا ريس ااآ...

وحينها قطع كلامه وبدأ يتحدث بطريقةٍ متوسلة:

-أبوس إيدك يا ريس وحياة ولادك اعفيني.

فكان يبدو أن عماد لا يدري هل يدافع عن تقريره الذي كتبه بخط يده ويتبع تلك الوساوس التي تتردد بعقله مؤيدة هذا الأمر خاصة مع كل تلك الأحلام التي تشوش إدراكه وتتلاعب بوعيه، أم يتبع ذلك الهاجس بداخله والذي يحاول أن يخبره أن هناك خطأ ما، أما الجني الذي يتلبسه فكان يحاول أن يترك له إدراكه بما لا يخل بخطته في الإجهاز عليا، بحيث يكون عماد مدركًا تمام الإدراك أنه السبب في إرسالي لحتفي بخط يده، ولكن ما حدث كان هو المفاجئة حين أخبره المدير بأنه سيكلف الطبيبة هبة بالحالة من الآن وصاعدًا، ولكن ما هي إلا لحظات وقبل أن يقوم عماد من مكانه إلا ورد قائلًا:

-خلاص يا ريس، إنت شكلك هتزعل مني تقريبًا، فأنا هكمل الحالة خلاص وأمري لله.

فكنتُ أكاد أقسم وقتها أنني لو رأيت عينيه سأرى بهما ذلك البريق بتلك اللحظة.

-إنت هاتجنني معاك ولا إيه؟! هتكمل ولا مش هتكمل؟

قالها المدير مستغربًا، فنطق عماد برصانةٍ:

-هكمل يا ريس.

وحينها قام مغادرًا إلى مكتبه، وما هي إلا دقائق ودخل عليه أحدهم قائلًا:

-التخطيط الكهربائي للدماغ بتاع الحالة يا دكتور عماد.

-حالة مين؟

-إيهاب يا دكتور، الريس قال لي أجيبهالك على مكتبك.

-هو قال كده؟

-أيوه يا دكتور.

-طب سيبه يا يسري.

كنت أحاول وقتها أن أفكر في طريقةٍ للهروب، فيبدو وأن إقناع عماد أو استنهاضه سيكون ضربًا من الخيال، ولكن لم تمر ثوان إلا وتوقفت عن التفكير، فمن المؤكد أن هذا الجني قد يحاول أن يقرأ أفكاري بين الحين والآخر، ولكنني كنتُ على يقين أن هناك نطاقًا لقدراته طالما كان هناك نطاقًا لقدراتي، والدليل على ذلك أنه عندما كان بمنزله لم يكن يعلم بأنني خرجت لتلك الحديقة أتريض فيها، ولكن ما كان يبعث شيئًا من الطمأنينة بقلبي هو أن أقصى ما يمكنه إدراكه في علاقته معي هو أن يقرأ أفكاري، فهو لا يستطيع تلبسي أو شل حركتي و تفكيري، فهناك من سبقه إلى جسدي والذي هو أعلى منه مرتبةً، والذي لا أعلم لم لا يساعدني أو يخاطبني ويقتصر دوره على منحي تلك القدرات دون سواها.

فكان عليّ التحرز من أمر ذلك الجني الذي يسكن عماد، وأن أعتمد على ما بين يدي من قدراتٍ في محاولةٍ لإيجاد طريقة للخلاص، فأمضيت عشرة أيام أتلصص على كل حوارات عماد داخل المستشفى لأعلم إلى أين وصل بشأني، إضافة لمراقبتي تحركاته مثل ميعاد قدومه وانصرافه

والليالي التي يقضيها مناوبًا، ومن بصحبته بتلك الليالي، ومن يقضي الليالي الأخرى من الأطباء وقوة أفراد الأمن وتبديل الورديات، ومن منهم أكثر صلة بعماد، ثم أنتظر كل ليلة حتى يرحل منزله، ومن ثمَّ أبدأ في محاولة رسم تصورات لخطواتي القادمة، وبنفس تلك الفترة كان قد أجرى ثلاثة جلسات معي بعد الجلسة الأولى، فكان ذلك الجني يترك عماد بأول المقابلة يحاورني إلى أن يأتي وقت كتابة التقرير فيظهر ليكتب نفس المضمون الذي كُتب بأول لقاءٍ بيننا، ثم يفيق عماد على تلك التقارير سواء بذات اليوم أو باليوم الذي يليه ومع التشوش الذي يشوب إدراكه ووعيه إلى جانب كل تلك الأحلام التي يراها، بالإضافة لتلك الوساوس التي من المؤكد أنها تتردد برأسه وكأنه يفكر، لتقنعه بما كتب أو أنه من كتب، كان يختلط عليه الأمر فيمضي في طريقه مغيب الفكر والإرادة، حتى عندما حاولت أن أخبر عماد بحقيقة الأمر بثاني جلساتنا ردَّ عليَّ ذلك الجني على لسانه، فأيقنتُ بأنه ليس لعماد من الأمر شيئًا، وأنني لن أنجح في استفاقته، أما ما دون الجلسات فكان ذلك الجني على حاله مستترًا تاركًا عماد بين غياهب الضياع، وكلما دعت الحاجة لظهوره وسيطرته ظهر، ولكن ما هالني أنه ابتداء من اليوم العاشر تقريبًا أخذت قدراتي في التراجع شيئًا فشيئًا كلما مرت الأيام بعدها، فبدأ الخوف يتغلغل لقلبي بكل ليلةٍ أدرك فيه أن قدراتي آخذة في التراخي، فكيف سأقنع اللجنة الثلاثية بتلك القدرات وهم من كنت أعول عليهم أن يكونوا خط دفاعي الأخير؟ كيف سأراقب خطوات عماد وأحاول أن أستبقها؟ فقطعت عدة ليالٍ كانت قدراتي عادت فيها لوضعها الطبيعي تقريبًا، حين بلغت اليوم الخامس عشر لي هنا، فكانت آخر جلساتنا باليوم التاسع، حيث كان منقطعًا عن عقد جلسات معي من وقتها إلى أن بلغت ذلك اليوم، فاستدعاني لجلسةِ فحصٍ أخيرة، وكأنه قد أدرك أمر هذا الوهن ويستعد لإطلاق رصاصته الأخيرة، وما إن جلس مقابلًا لي بدون فرد الأمن الذي يجلس شاهرًا سلاحه حتى تيقنت من حقيقة أنه يدرك اضمحلال قواي، ومن ثمَّ لمحت ذلك البريق بعينيه حين ابتسم تلك الابتسامة الباهتة:

-أخبار قدراتك إيه؟ شكلها كدا زهقت منك وسابتك.

-وعرفت إزاي؟

حينها خاطبني دون صوتٍ:

-إنت فاكر إن كان ممكن تتنصر عليا في معركة الوعي؟! إنت مهما بلغت قوتك عمرك ما هتبقى واحد مننا، إنت كنت بتحاول تسمع كل حاجة بتدور في المستشفى ومش مُدرك إني ممكن أقرأ أفكارك واسمع اللي انت بتسمعه من خلال دماغك.

فابتسمتُ محاولًا رسم الثقة استنادًا لكوني أضع كل خططي وأفكاري مساءً عندما يرحل، ومن ثم أردفت:

-لكن انت ما تعرفش حاجة عن أفكاري.

حينها اتسعت ابتسامته:

-لا يا راجل! مشكلتكم إن الوعي عندكم متداخل، عقلك بيحلل المعلومة بمجرد سماعه ليها حتى لو مجرد تحليل مبدئي، فاكر يوم ما سمعت بانعقاد اللجنة الثلاثية آخر الشهر، ساعتها حاولت تمنع نفسك من التفكير وانك تسمع الخبر وخلاص، لكن في الحقيقة إنت بمجرد ما سمعت الخبر دار في ذهنك تصور كامل عن إن دا خط دفاعك الأخير، آه وبالمناسبة مش هتبطل بقى تفكير في نور؟ دا أنا كل ما بركز معاك ألاقيك بتفكر فيها، إنت عارف بعد ما اخلص منك ومن عماد هعمل إيه؟

حينها زاد من ابتسامته حتى كورت وجنتيه ثم استأنف:

-هروح أزورها، خاصة إن الحزن هيكون بياكل في قلبها من بعد إعدامك وهالتها هتبقى في الحضيض.

وحينها قام مقتربًا مني حتى صار بيننا ما يقرب من ذراعٍ ونظر لعيني بتحدٍ وقال:يا خسارة! مالحقتش تدوقها، لكن أنا وانت واحد بردو.

وحينها غمز بعينه بينما كانت كاميرا التسجيل لا تراه.

-فهدوق أنا عنك، أصله وحشني أوي.

حينها انتفضتُ في مكاني ولكن القيود كانت تغلغلني وتعيق كل حركةٍ من الممكن إتيانها، ولكنني نظرتُ له حينها بعينين تتلظى بنارٍ تحرق صدري قائلًا:

-هقتلك.

فاكفهر وجهه ومن ثمّ عاد لمقعده راسمًا التوتر والقلق على محياه، ومن ثمّ كتب بصوتٍ مسموع:

-تبين إلينا بعد مرور خمسة عشر يومًا من المراقبة والمتابعة أن تلك القدرات التي يمتلكها المذكور تتلاشى ويعود حينها لحالته الطبيعية، بالإضافة إلى كونه لم يعد متمالكًا لتلك السكينة التي كان يحاول أن يُصدِّر من خلالها إحساسًا بالثقة في قدراته التي يدَّعي أن مصدرها ما ورائي، بل وصل به الأمر للتهديد بقتلي في الجلسة الأخيرة حين شخصت حالته تشخيصًا يصيب الواقع، وهو ما يدفعنا لوضع تصور آخر قد يكون هو الأقرب للواقع بخصوص حالته، وهو أن تلك القدرات من الممكن أن تكون أثرًا لتناول بعض العقاقير المحفزة لنشاط المخ والتي تُباع دون رقابة في أسواق العقارات المخدرة، وذلك لأنها قدرات مؤقتة، وأيا ما كان مصدر تلك القدرات التي كان يتمتع بها سواء كانت قدرات استثنائية استنادًا لتلك النظرية التي ذكرناها آنفًا عن القوى النفسية المحررة أو مجرد طفرة جينية أو كانت نتيجة عقاقير مخدرة، فقد ثبت لدينا أن المريض ليس لديه أية قناعة ثابتة عن مصدرها، وأنه بعيد كل البعد عن فكرة أن هناك قوى غليا تُحركه أو تمنحه تلك القوى، بل يحاول تصدير ذلك الإحساس ليفلت من عاقبة جُرمه، وبناءً عليه قررتُ أنا عماد السيد مرزوق طبيب ثاني أمراض نفسية وعصبية بمستشفى العباسية للأمراض النفسية والعصبية أن المريض لا يعاني من أي خللٍ نفسي أو عقلي من الممكن أن يدفعه للقتل، وقررنا عرضه على اللجنة الثلاثية في موعد

انعقادها القادم.

ثم انصرف وقد علت وجهه تلك الابتسامة الباردة، وما إن عدتُ إلى غرفتي حتى كانت رأسي تغلي من وقع كلماته، فانتظرتُ حتى حل ميعاد رحيله، ثم بدأتُ أحاول أن أعيد كل حساباتي من جديد، فيبدو أن ذلك الشيء قد توغل في حياتي أكثر مما أعتقد، وأتقن الإيقاع بي، فطوال لقاءاتي وحواراتي معه أو مع غيره لم أذكر أن قواي تخور أو أنها خارت من قبل، حتى عندما بدأت تلك القوى في الوهن كنت أحاول ألا أفكر في هذا الأمر في حضوره، ولكنه علم بذلك حين حدث، فمن المؤكد أنه كان يحاول أن يقرأ أفكاري بين الفينة والأخرى فيسمع أصواتًا تتردد من هنا وهناك حين أسترق السمع لمن حولي بالمستشفى، وتدور تلك الأصوات بذهني وأحللها وأفكر فيها فيسمع الأصوات ويقرأ الأفكار، فلما انقطعتْ علم بأمر هذا الوهن، أو أنني لم أحسن المواراة، فكيف كان من الممكن أن أسترق السمع دون أن يبدأ ذهني بالتحليل؟؟

وكيف ستتحكم في تفكيرك فلا تفكر في وجوده؟

كيف تواجه من يقرأ أفكارك؟

فدائمًا سيسبقك بخطوة.

فأمضيتُ ساعات أسترجع كل الأفكار التي دارت بذهني طوال تلك الفترة الماضية، ومع الغيظ الذي يعتمل بصدري منه ورغبتي في قتله بعد اللقاء الأخير وإن كنتُ لا أعلم لقتله طريقة، اكتشفتُ حينها أنني لم أفكر ولو للحظة في الافتراس من وقت قدومي، وأنني أظل محتفظًا بتلك القوة التي تصيبني حينها، فكل ما كنت أفكر فيه هو طريقة لإثبات جنوني أو الهروب، فأنا لم يخالج ذهني منذ أن جئت إلى هنا ولو للحظةٍ أن أقتل مرة ثانية أكون فيها عامدًا متعمدًا القتل، بل والأكيد أن ذلك الجني علم بأمر الوهن الذي أصابني ولم يعلم بأن تلك القدرة الأخيرة التي تنتابني بلحظة الافتراس تظل باقية حتى بعد ضياع باقي القوى، والدليل على ذلك أنه كان يقترب مني بتلك الجلسة الأخيرة أكثر من أي وقتٍ

مضى، أعلم أنه قد قرأ في ملفي القادم من النيابة أنني تحدثت عن كوني أتحرك أسرع من البشر، ولكن يبدو أنه لا يعلم باستمرار تلك القوة بعد ضياع باقي القوى، حتى وإن كان يعلم ببقاءها، فما عاد هناك حلًا سوى الافتراس، حينها كنتُ أجول بنظري بتلك الغرفة باحثًا عن ما يمكنني أن أستخدمه في القتل، ولكن تبًا لتلك الغرف! فلا يوجد بها ما يصلح لخدش جلدٍ بشري، فصرت أروح وأجيء بين غرفتي والحمام الصغير الملحق بها، والذي كان كل ما فيه بلاستيكيًا، وبينما أنا على حالي أروح وأغدو ثم أجلس على طرف سريري، ثم أعاود البحث بكل شبرٍ من الغرفة محاولًا الوصول لأيةِ قطعة يمكنني استخدامها، وبينما كنتُ خارجًا من الحمام بعد عدة دورات قطعتها بينه وبين الغرفة وأثناء نظري نحو الأرض بحثًا، ارتطمتْ رأسي ببابه فضربته بقدمي غاضبًا، ولكن حينها انتبهت لوجود شيءٍ حديدي واحدٍ بالغرفة، وهو تلك المفصلات الحديدية التي تصل الباب بحلَقه الخشبي، فوقفتُ أتفحص تلك المفصلات حتى نبضت الفكرة برأسي، فأمسكتُ بذلك الباب ثم حررته من حلَقه الخشبي بدفعه من الأسفل، ومن ثمَّ قمت بتعليقه مرة أخرى في ذلك الحلَق ولكن من خلال المفصلة السفلية وحدها دون المفصلتين العلويتين، ثم صرتُ أجذبه بشدةٍ من أعلى، مبعدًا إياه عن الحلق، حتى انفصلت المفصلة السفلية المتصلة بالحلَق الخشبي عنه لبضعةِ سنتيمترات، فقد كانت المفصلة ملتصقة بثلاثة مسامير انكسر العلوي أثناء جذبي وخرج الأوسط من مكانه وتشبث الثالث بالحلق، ومن ثمَّ حررتُ الباب مرة أخرى ونزعت تلك المفصلة الحديدية بيدي بعد خلخلة المسمار الأخير، وصرت طوال الليل أحاول أن أكحت الحافة العلوية للمفصلة الحرة بالمفصلة الثابتة بالباب تارة، وأكحتها بمسمار تارة أخرى حتى اقترب ميعاد قدوم عماد، فقمتُ بتعليق الباب على مفصلتيه العلويتين وبقيت المفصلة السفلية للباب حرة فليس لها معشوق بالحلق، ولكنها كانت تحجب أثر فعلتي، ولم أكن أخشى من قدوم قادم لأنني ممنوع من التريض، وتم حجزي للعرض على اللجنة الثلاثية، حتى الطعام فيُدفع لي من كوة أسفل باب الغرفة، ومن ثم لجأتُ إلى سريري محاولًا الاستغراق في النوم حتى لا أفكر ولو للحظةٍ بشأن

ذلك الأمر أثناء وجود عماد، والذي ما إن يكتشف نومي سيتركني لحالي وقد يعزي كثرت نعاسي لضياع تلك القدرات، وما استيقظتُ يومها إلا بعد رحيله، وكررتُ ذلك الأمر لخمس ليالٍ لم يكن فيهن مناوبًا، إلى أن صارت تلك الحافة أكثر حدة، وبمنتصف تلك الليلة التي كانت الطبيبة هبة تتولى مناوبتها الليلة، بدأتُ في الطرق على باب غرفتي بشدةٍ وأنا أصرخ قائلًا:

-الحقوني بموت.

فاهتاج باقي نزلاء دوري وبدأوا يصرخون منادين على أفراد الأمن، فانتظرتُ اقتراب أحد أفراد الأمن والذي كان يصرخ في المرضى ليسكتوا، وبناءً على خبراتي في الإسعافات الأولية ومعرفتي بفسيولوجيا الجسم قمتُ بطعن نفسي بالمفصلة الحادة بأسفل منتصف بطني ناحية اليسار، فكنتُ أحاول ألا أصيب أي من الأعضاء الحيوية، ولكن بذات الوقت أبعث الشك فيمن سيتفحصني بأنه جرح غائر ومن الممكن أن يكون قد أصاب عضوًا حيويًا، فكانت مغامرة خطيرة، ثم استلقيتُ على الأرض أمام الكوة التي يُدفع منها الطعام وقد انغرست تلك المدية ببطني والدم ينزف من حولها، وبدأت الدنيا تتحرك من حولي بالبطيء، وما هي إلا ثوانٍ واستدعوا الطبيبة هبة التي جاءت مهرولة مضطربة ويتبعها ذلك السرير المدفوع على عجلات رفقة ممرضتين، وفتحوا الباب أثناء ما كان أحد أفراد الأمن مصوبًا بندقيته نحوي، وجندي من قوة التأمين مصوبًا سلاحه، فكنتُ أعلم بأنها لن تزيل المدية من موضعها فأي طبيب أو مسعف يدرك خطورة ذلك، ومن ثمَّ حملوني على ذلك السرير وانطلقوا مهرولين حين قالت هبة:

-حضّروا عربية بسرعة.

فرد أحد أفراد الأمن الذي أدرك أنها تبتغي نقلي لأي مستشفى بها عناية فائقة وغرفة عمليات مجهزة وفريق جراحة:

-لازم نبلغ الدكتور عماد الأول، الحالة دي بتاعته.

فصرخت فيه:

-يعني أسيب الحالة تموت عشان نبلغ عماد؟! حضروا العربية.

حينها اتصل أحد أفراد الأمن باستقبال المستشفى طالبًا منهم تجهيز سيارة لنقلي، في حين اتصل من كان يحاورها بعماد والذي سمعته يصرخ في الهاتف:

-إياكم تحركوا الحالة من المستشفى إلا بوجودي.

فصرخت هبة التي كانت تسمع صريخه:

-وانا مش هسيب الحالة تموت.

ومن ثمَّ بلغنا المصعد وبدأنا في النزول، وما إن انفتح المصعد بالدور الأرضي إلا ووجدتُ عماد يدخل من باب البناية، فكنتُ وقتها سارحًا في وجه نور وحده وكأنني لا أسمع سوى كلماتها ولا أرى سوى صورتها، حينها أمسك عماد بالسرير من عند قدمي ووجههُ نحو الردهة الجانبية قائلًا:

-ودوه على أوضه تسعة.

وأثناء ذهول كل المحيطين بالمشهد من إصابتي ومن قدومه بتلك السرعة وتصميمه على عدم مغادرتي، وبينما كانت تصرخ هبة معترضة أثناء إمساكها بالسرير من عند رأسي وحيرة الممرضات في أي رأي يتبعنَّ، وفي اللحظة التي كان يمر فيها عماد بطيئًا بجوار سريري كي يزيح عنه قبضة هبة التي تُوقفه، وما إن أولى وجهه إليها إلا وانتفضتُ من موتي ونزعت تلك المدية من بطني وزرعتها برقبته حين كانت كل الدنيا تدور من حولي أبطأ من أي وقتٍ مضى، وما هي إلا لحظات واختفى جسد عماد بعينين جاحظتين حين ارتعشت كل أضواء المستشفى، ثم غرقتُ في ظلامٍ دامس وبدأ الدم يتفجّر من موضع جرحي وسط ذهول أفراد الأمن وصريخ الدكتورة هبة والممرضات، وذلك الصوت الذي بدأ يتردد بأذني وسط الهمهمات: «بقيَ ثمانية وتسعين» لثلاث مرات وكأنه يحتسب

القتلى من الإنس والجن.

- فلاش باك..

-أما في حالة التجسد الكامل في صورة بشرية ودا غير التلبس طبعًا فدي أخطر حاجة ممكن يقدم عليها الجني، لإنه بيبقى أضعف ما يكون في الحالة دي، لإنه بيبذل طاقة عالية جدًا من أجل التجسد ده، وبينطبق عليه كافة أحكام البشر، يعني لو قتلته في صورته البشرية بيموت كجن.

-عشان تكوّن في الآخر نسيج مختلف عن كل ما سبق وغير مرئي بالنسبة لنا وقابل للانتقال بسرعات عالية جدًا.

***

كنتُ على يقينٍ بأنه سيترك جسد عماد لينتقل بأقصى سرعة في صورته الجنية، ومن ثمّ يتجسد في صورته عند بوابة المستشفى لخشيته من هروبي في غيابه، وقد يعلل ذلك أنه كان يمر بالقرب من المستشفى، كنتُ أخاطر بحياتي من أجل ذلك الحدث حتى يأتيني بصورةٍ بشرية فتسري عليه أحكام البشر فلا يخترق رأسي ولا يقرأ أفكاري، ومن ثمّ أستخدم تلك القدرة الأخيرة التي تركتها في جرابي فأتفوق عليه بها، كان عنيدًا وكأنه نسى أمر عماد وما عاد يشغله سوى الانتصار في معركة الوعي بيني وبينه ويثبت أنه الأقوى.

* * * * *

الفصل التاسع

استيقظتُ لأجد نفسي ممددًا على سريرٍ خشبي بغرفةٍ واسعة، بينما تُقيد يدي اليسرى بأساور حديدية إلى رأس ذلك السرير، وما إن التفتُ عن يميني حتى وجدتُ عماد إلى جواري يقف مبتسمًا، فظننتُ لوهلةٍ أن ذلك الشيء لم يمت، ولكن ما إن استرددتُ كامل وعيي حتى ركزتُ نحو عينيه فلم ألمح بهما أي بريق، فهدأت أنفاسي واطمأن قلبي، ومن ثمّ هممتُ

بالحديث ولكن عماد استبقني قائلًا:

-ما تقولش حاجة، إنت غايب عن الوعي بقالك اتناشر ساعة تقريبًا، وأنا عرفت اللي حصل في المستشفى وشُفت كل التسجيلات اللي كانت بيني وبينك حتى لما حاولت تقول لي إن في حاجة بتتحكم في وعيي، رديت عليك ساعتها وقلت لك بطل جنون، وكل التشويش اللي كان في دماغي وإدراكي، والصداع اللي ما بيفارقنيش والأحلام الغريبة والضياع الكامل في حياتي وعدم تذكري لأفعال بيحكولي إني عملتها في المستشفى أو مع مراتي قبل ما أطلقها، كل دا أكد لي الحقيقة من قبل ما تنطق دلوقتي، لكن أنا بطلب منك إن الكلام دا ما يتذكرش في أي حوارات رسمية أو غير رسمية، لإن واحدة من الممرضات تقريبًا جالها صدمة عصبية وما بتنطقش، والممرضة التانية طلبث نقلها، والدكتورة هبة أخدت إجازة مفتوحة، أما فردين الأمن فكل واحد منهم عطيناه أجازة أسبوعين، والعسكري بتاع قوة التأمين حجزناه في غرفة من الغرف بعد استئذان القائد بتاعه على ما أعصابه تهدى، مع التشديد على الكل بعدم ذكر الواقعة أصلًا ومسح التسجيلات، وكل اللي هيتذكَر إنها كانت محاولة انتحار منك وفشلت.

-أنا مش هرجع المستشفى تاني يا دكتور عماد، لكن أنا عايز السلسلة قبل ما أهرب عشان أثبت براءتي وارجع حياتي.

فالتفت عماد حينها يمينًا ويسارًا وكأنه يحاول التأكد بأنه ليس هناك من يسمعه، ثم نطق بصوتٍ خافت:

-مش وقت الكلام دا يا إيهاب دلوقتي، وبعدين هي السلسلة هتجيلك هنا ازاي؟

-إنت اللي هتجيبهالي.

-إنت هترجع المستشفى يا إيهاب والتقرير أنا اللي هكتبه، وهتتعرض على اللجنة الثلاثية كمان كام يوم، وأكيد هيقرروا استمرارك في المستشفى فترة طويلة وإنك تقضي عقوبتك بالكامل فيها، خاصة لما

تستخدم قدراتك دي معاهم، أنا هحاول أدخلك آخر حالة هتكون سمعت حوارات وتفاصيل كتير من ساعة ما هيحطوا رجلهم في المستشفى، إلى جانب اللي هساعدك أنا بيه وهقول لك تعمله معاهم، وعلى دا ما يحصل هتكون اتعافيت شوية وبعدها أوعدك إني هساعدك لكن بالعقل.

-طب أنا هرجع إمتى للمستشفى؟

-هترجع النهاردة، بعد استجواب النيابة بخصوص محاولة انتحارك دي، إحنا آه ما عندناش جراحة متخصصة، لكن متابعة حالتك دا أمر عادي، البتاعة دي كانت مضروبة بحرفية عالية جدًا، واللذيذ بقى إن ما حدش أصلًا كان منتبه نهائي لموضوع المفصلات دا، العنبر معمول على أحدث ما توصل له الطب النفسي، في حدود الإمكانيات المصرية طبعًا، ففي مرضى عندهم فوبيا أو هواجس من الباب المفتوح أو الموارب أو مجرد وجوده في غرفة أو حمام مثلًا من غير باب، اسمها فوبيا الباب المفتوح، فكان لازم يبقى فيه باب، ودلوقتي بقى بيدوروا على بديل للأبواب الخشبية، لكن واضح إن كل البدايل ليها ثغراتها، لكن قرروا يشيلوا الباب بتاعك والمفصلات كمان من الحلق.

فابتسمت قائلًا:

-خلاص بقى ما غدتش محتاجهم.

فابتسم بدوره وربت على كتفي قائلًا:

-شكرًا يا إيهاب.

-روح رجّع مراتك يا عمدة.

حينها اتسعت ابتسامته:

-بإذن الله.

وما إن فتح باب الغرفة حتى دخلت نور، فاستدار عماد ناحيتي مبتسمًا:

-أنا اللي مكلمها على فكرة، وعرّفتها إنك بريء، والورقة اللي كانت في

جيبك معاها دلوقتي.

وبينما كان يتحدث كانت نور قد هرولت نحوي وأمسكت بيدي الحرة بين يديها فعاجلتها:

-هو أنا بعمل كل دا عشان مسكة إيد، دا أنا كنت فاكرك هتحضنيني.

فضربتني ضربة خفيفة في صدري، وحينها همهمتْ بصوتٍ لا يصلها:

-ما انتي ما تعرفيش ابن اللذينة كان ناوي يعمل إيه؟!

-بتقول إيه؟

-لا ولا حاجة يا حبيبتي.

فابتسمتْ في خجلٍ، فسرحتُ للحظاتٍ في وجهها الباسم لأدرك أنها كانت تستحق تلك المجازفة، بل كنا نستحقها جميعًا، لكنها كانت أول من خطر بخاطري، وبوسط كل تلك البهجة التي بعثها بداخلي رؤيتها إلا أنني أدركت بأنني ما زلت على ضياعي، فلن أظل طوال عمري أقضي عقوبة لا أستحقها بتلك المستشفى، حتى وإن هربت فسأظل طوال عمري مطاردًا، وبكل الحالات، فلا بد وأن أستمر بالقتل كل شهر أو كل بضعة وعشرين يومًا حتى لا تعود قدراتي لطبيعتها، ومن ثمّ تبدأ في التراجع حتى أعمى وأصم، وقبل كل هذا كيف سأبلغ بابك يا نور إن كنتُ مقيدًا بألف قيد؟ وحينها ضغطتُ على يدها الرقيقة بأصابعي وقد عقدت العزم على أن أكمل طريقي الذي بدأته، ومن ثم أستعيد حياتي وأظفر بها، وها هو عماد وتلك السيدة صاحبة القلادة، قد يساعدوني في ذلك، إلى أن عدتُ للمستشفى بتلك الليلة بعد تحقيق النيابة لتفاجئني تلك العالمة بحقيقةٍ جديدة صادمة فقد استأذنت من عماد في زيارتي، فأذن لها، وما إن دلفت إلى غرفتي إلا وابتسمت أثناء وقوفها بجوار سريري قائلة:

-شخصيتك ما تقولش أبدًا إنك ممكن تُقدِم على الانتحار، غريبة أوي أحداث الليلة اللي فاتت.

فابتسمت مادًا يدي لمصافحتها:

-ممكن تقولي كانت لحظة شيطان أثر على الحاجات اللي انت كنت بتحكي لي عنها.

فسحبت ذلك المقعد الذي جاء به أحد أفراد الأمن وجلست بجوار رأسي:

-صحيح، بمناسبة كلامنا سوى، وانا بسترجع حوارنا بالليل افتكرت موضوع العداد دا، وان احنا مرينا عليه مرور الكرام وبعدها جم أخدوك، ممكن تقول لي بتسمعه إزاي وإمتى؟

-بسمعه بعد كل حالة قتل بقتلها بأصوات ناس ماعرفهاش.

-يعني هو ساعتها بينقل لك الأرقام دي على ألسنة ناس ما تعرفهاش، بتكون ناس بتنطق الكلمات دي فعليًا في إطار دايرة قدراتك، لكن هو بيرجحها ويدعمها في دماغك؟

-تقريبًا.

-طيب ولو اتوقفت عن القتل مش هتسمع العداد دا تاني طبعًا وتعيش بالقدرات دي طول العمر.

-لأ طبعًا.

-طب ليه؟

-لما بتوقف عن القتل مدة لسه ما قدرتش أحددها بالظبط، بتبدأ قدراتي السمعية والبصرية تقل لغاية ما ترجع لطبيعتها، بعدها بتبدأ تضعف عن الطبيعي، لكن ما تسألنيش بيوصل الضعف لحد فين لأن أنا نفسي ماعرفش، لأن في المرتين اللي اتعرضت لهم؛ مرة قتلت بعد ما كانت قدراتي بدأت تضعف، ومرة قتلت وهي عند مستواها الطبيعي تقريبًا، فما لحقتش أعرف هي ممكن توصل لحد فين.

-طيب ولما قتلت ساعة ما قدراتك كانت ضعفت عن الطبيعي، قتلت

إزاي؟ أقصد يعني زمانك كنت مشوش وضعيف.

-لأ ما هو في قدرة ما بتضعفش.

-اللي هي؟؟

-إن أنا وقت القتل أو الافتراس حتى لو كان افتراس محتمل يعني ما قررتش لسه هقتل ولا لأ، بشوف الدنيا حواليا بالبطيء.

-ممممم، ساعتها بيكون بينقل لك الوعي بصورة أسرع فبتشوف الدنيا بالبطيء، خاصة مع إفراز الأدرينالين في جسمك وزيادة استعداد الجسم كله لحاجة زي كدا.

-إنتي أدرى بقى.

-لكن كدا إنت فيه خطورة عليك.

-إزاي؟؟

-بص يا إيهاب، هو لما بينقل لك القدرات البصرية والسمعية بتاعته زي ما قلت لك قبل كدا فبينقل لك الرؤية والاستماع بالبث المباشر في أعصابك السمعية أو البصرية المتوصلة بالمخ، معنى كدا إنه قاطع التواصل الطبيعي بين عينك وودنك مع المخ من عند المنطقة اللي بيبدأ هو يبث فيها للمخ، ومعنى كدا إن المنطقة العصبية اللي واقعة قبل نقطة البث دي لغاية العين أو الأذن مع الوقت هتبدأ تضعف وتضمر.

-يعني إيه؟

-يعني إنت مهدد إن كل ما فترة اتصالك بيه طالت كل ما المنطقة دي هتضعف أكتر، يعني من الآخر ممكن بعد ما تتحل منه تلاقي نفسك اتعميت وما بتسمعش، أما الضعف اللي أصاب قدراتك بمجرد توقفك عن القتل في أول مرة دا فما اظنش إنه نقدر نحكم من خلاله على ضعف المنطقة اللي بقول لك عليها، لأنه كان لسه ساكنك بالفعل وقاطع الاتصال في المنطقة دي، بس هو ممكن يكون كان بيحاول يجبرك على القتل اللي

هو تقريبًا شق التزامك في العهد.

-طيب الفترة اللي ممكن بعدها قدراتي العصبية دي تضعف ممكن تكون قد إيه؟

-ماقدرش أحدد يا إيهاب، هو معاك بقاله قد إيه؟

-تقريبًا أربعين يوم.

-المهم إنك تحاول تتخلص منه في أسرع وقت، وبعدها على حسب حجم الضرر ممكن يكون التعافي.

وحينها استأذنت في الخروج بعد أن ألقت تلك القنبلة بوجهي، فكنتُ حينها لا أدري من أسابق؟ هل أسابق الزمن محاولًا الوصول إلى صاحبة القلادة، ومن ثمّ أتحسس طريقًا أسلكه للتحرر مجازفا بإمكانية فقداني لسمعي وبصري إن تحررت، أم أعيش بذلك العداد؟ والذي على أحسن الفروض وإن نفذت اشتراطاته، وقتلتُ نفسًا كل شهرٍ لمدة ثمانية وتسعين شهرًا سأعيش أرى وأسمع لثمان سنواتٍ وشهرين، ومن بعدها أركن للعمى والصمم الذي لن يفارقني من بعدها، فحينها قررتُ مواصلة طريقي نحو التحرر الذي لا أدري إلى أي مدى سيطول؟ وهل بنهايته سأرى النور أم سألقى في غياهب الظلمات؟ فما أيأس من يُجبر على أن يواصل دربًا يغلب على ظنه أن بآخره هلاكه، ومن ثم طلبت مقابلة عماد والذي شرحت له ما نقلته لي تلك العالمة كاملًا وما أنا مقبل عليه، فأخبرني أن موعد اللجنة الثلاثية بعد ثلاثة أيام، ومن بعد اجتماع اللجنة والتي ستقرر بما لا يدع مجالًا للشك الإبقاء عليّ بالمستشفى سأكون بتلك الفترة قد تعافيت، ومن ناحيةٍ أخرى سيقلل قرار اللجنة بالإبقاء علي بالمستشفى من الأعين التي قد ترصدني إن هربت قبل قرارها، لأن حينها سأكون مجرد هاربٍ من العدالة ولست هاربًا من مستشفى الأمراض العقلية، فمرت الثلاثة أيام بطيئة متراخية إلى أن أخذت تلك اللجنة قرارها بحجزي بالمستشفى إلى أجلٍ غير مسمى، وفي اليوم التالي بدأ عماد يلقنني خطة هروبي من خلال الحديث معي أثناء وجوده بغرفته، فأخبرني أنه منذ يوم

عودتي إلى المستشفى ذهب نحو حديقتنا وكأنه يتفحصها كنوعٍ من الإجراء الروتيني، ومن ثمَّ أخفى مديةً معدنية أسفل أحد الكراسي التي حددها لي، وبعد قرار اللجنة بيومٍ واحد قرر خروجي للحديقة من اليوم الذي يليه مع تخفيف التدابير المتخذة بشأني خاصة وأنني كنت أظهر استكانة واستسلام تام من بعد فشل محاولة الانتحار المزعومة، وبأول أيام خروجي للتريض استللتُ تلك المدية وأخفيتها بين ملابسي، وفي الليلة التالية كان عماد مناوبًا بالمساء، وعند الساعة التي حددها بدأتُ بتنفيذ الخطة التي أوعزها إلي، حيث قمتُ بالطرق على باب غرفتي حتى جاءني أحد أفراد الأمن متوجسًا، فأخبرته أنني أريد مقابلة عماد بينما أمسك ببطني في موضع جرحي وأتأوه، فاستشار عماد الذي وافق على قدومي لغرفته مع تكبيل يدي ووجود فرد أمنٍ يصاحبني وآخر يحمل بندقية التخدير وفقًا للتدابير الجديدة، فكنتُ طوال طريقي نحو مكتبه أتأوه واضعًا يداي المكبلتين بموضع جرحي، وعند بلوغي غرفته وجدتُ عماد يجلس خلف مكتبه، فطلب مني التمدد على الكنبة الجلدية الواقعة بجانب غرفته، في حين أشار بأن يبقى حامل البندقية ويرحل الآخر، وفي اللحظة التي كان فيها حامل البندقية مطمئنًا لذلك التأوه الذي يعتريني، وتلك السكينة التي صدَّرها عماد لقلوبهم، وبينما كان يمد يده ليغلق الباب خلف زميله ظنًا منه أنني متجه نحو تلك الكنبة، كانت رقبته تحت مديتي الحادة، فخاطب عماد حينها فرد الأمن بفزع:

-نزل بندقيتك، دا عنده قدرات خارقة، وممكن يدبحك في لحظة.

ولم يكن ذلك المسكين يحتاج لصريخ عماد، فقد أنزلها بمجرد أن أحس بوجودي من خلفه، فدفعتها بقدمي نحو ركن الغرفة المجاور لمكتب عماد، وحينها قلت بلهجةٍ حادة صارمة:

-فين السلسلة يا دكتور؟

فاستدار عماد في حينها نحو دولابٍ صغير، واستخرجها منه، وبينما كان يمد يده بها نحوي سحبتها وأفلتُّ فرد الأمن ساحبًا عماد الذي وضعتُ

مديتي على رقبته، فأحسست بفرد الأمن وهو يقول: "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله" فرحًا بأن أعتقتُ رقبته، وعندها قال عماد لي:

-إنت لازم تهدى يا إيهاب، اللي بتعمله دا مش هيفيدك.

-انده على الراجل اللي بره وخليه يعطيك مفاتيح الكلابشات بشويش عشان تحرر إيديا.

فقال مستسلمًا:

-انده يا ابني على زميلك اللي بره.

فجاء زميله متوجسًا، ومن ثمَّ وضع مفاتيح القيود بيد عماد الذي حررني منها برفقٍ.

وحينها قلتُ بنفس اللهجةِ الحادة:

-عربيتك بره يا دكتور؟

-إنت ناوي على إيه؟

-لو نفذت تعليماتي بالحرف الواحد مش هأذيك، غير كدا رقبتك هتطير قبل ما تفكر تغدر بيا، فانت هتتصل دلوقتي بقائد آمن المستشفى وتبلغه إن احنا خارجين سوى فما حدش يتعرض لنا، والبوابة تتفتح من قبل ما نوصل عندها، وأي حركة غدر من أي فرد أمن أو عسكري فانت أكتر واحد عارف قدراتي.

حينها بالفعل كانت الحياة تمر بنفس بطءْ لحظات الافتراس، وكأن ذلك الشيء يحفزني للقتل بشتى السبل، ولكنني كنتُ مسيطرًا على حالي، وحينها اتصل عماد بقائد الأمن والذي أخبره متوسلًا بأن أخطر مريض بالمستشفى يوجه مدية معدنية نحو رقبته، وأنه يتحرك أسرع من البشر الطبيعي ويسمع أحاديثهم عن بُعد، فأخبره القائد أنه سمع أخبارًا عني من قبل، فعاجله عماد بأن كل محاولاتهم ستبوء بالفشل إن حاولوا منعي، وأن كل ما عليهم أن يفتحوا البوابة مبتعدين عنها، وألا يتعرض لنا أي فردٍ في

طريقنا، وأنني وعدته بألا ألحق به أذى، وحينها بدأتُ أركز مسمعيّ عند غرفة قائد الأمن، فسمعته يُبلغ كل أفراد الأمن والجنود عبر جهازه اللاسلكي بعدم التعرض لنا، وفتح البوابة على مصراعيها، وما إن خرجنا من بوابة المستشفى حتى انطلق عماد مسرعًا نحو محطة قطار رمسيس مردفًا: -البس الهدوم اللي في الكيس الأسود اللي تحت رجلك.

فلبستها مسرعًا بعد أن استللتُ خطاب نور من ملابسي القديمة ووضعته والقلادة بجيوب تلك الملابس الجديدة، وخلال دقائق أنزلني بالقرب من محطة القطار تحت كوبري أكتوبر، ومن ثمَّ فتح درج سيارته أثناء ما كان ينظر في مرآة سيارته ليتيقن من أنه ليس هناك من يرصدنا:

-خد دول خمسة آلاف جنيه، ودي تذكرة لقطر إسكندرية اللي هيطلع كمان خمس دقايق تقريبًا، إنت هتنزل تجري على المحطة على طول.

حينها نظرتُ نحوه بامتنانٍ وتردد، فقال لي:

-امسك يا عم، إنت لسه هتبص لي، ما فيش وقت، وبعدين لغاية دلوقتي أنا ماقدرش أقول لك خالصين، بإذن الله هقولها لك يوم فرحك على نور.

حينها احتضنته شاكرًا، وبدأتُ ركضي نحو ذلك الرصيف والذي لحقتُ به قطاري أثناء تحركه، وما إن بلغتُ مقعدي حتى ارتميتُ عليه مبتسمًا، وكأنني أول مرةٍ يداعب فيها صدري شهيقًا حرًا بعيدًا عن الجدران والأسوار، عن القيود والأساور التي كانت تُكبل روحي قبل جسدي، فصرتُ أراقب الراكبين من حولي، ويجول بخاطري: هل سأعود يومًا مثلهم وأعيش حرًا؟ هل سألتقي بنور مرة أخرى بوضح النهار، وأعيش رفقتها عمرًا أقضيه، ليس لرد دينها بل أقضيه في عشقها، وتكون خلافاتنا مثلهم حول انهماكي بالعمل، وماذا أطهو اليوم، وتأخري في قضاء حاجيات منزلنا، فذلك المصباح تعطل منذ ما يزيد عن الشهر وما أحضرت بديلًا، ومسحوق الغسيل قد نفد، وجارتنا الفضولية وجارنا الكئيب، وتلك السجائر التي تهلك صحتك ومالك، كم أشتاق لها، حتى أنساني ذلك الاشتياق أن دخان السجائر لم يعانق صدري منذ ما يزيد عن العشرين

يومًا، وحينها استخرجتُ ذلك الخطاب وصرتُ أمرر نظري على سطوره التي حفظتها عن ظهر قلبٍ لعدة مرات، ثم حوّلت نظري لا إراديًا نحو النافذة لأراقب الظلام، وكأنني أنظر نحو مستقبلي الذي لا أعرف ملامحه، نحو طريقي الذي لم يرسم بعد، نحو إنقاذ ما بقيَ من حياتي، فمر الوقت بسرعة، تلك الأعمدة المتلاحقة التي تسابق قطاري بعكس اتجاهه حتى توقف القطار، وكم كنتُ أتمنى أن تطول تلك الرحلة، فعلى الأقل وأنا فيها كنتُ أدرك وجهتي، أما الآن فلا أعرف، هل بعد تلك السيدة ساجد وجهة أم تنتهي مغامرتي ها هنا؟! حينها نزلتُ بمحطة سيدي جابر، وأول ما بادرتُ إلى إتيانه هو شراء جوالٍ صغيرٍ، ومن ثمّ أجريت تلك المكالمة بنور كي أطمئنها أنني ما زلت على سعيي ولم أستسلم، وأنني لن أستسلم في طريقٍ بآخره حياة.. هي مشهدها الأول، وما إن أنهيت مكالمتي حتى ابتعتُ بعض الطعام وسجائر، ومن ثمّ استقللتُ سيارة أجرةٍ نحو العجمي، وهناك ترجلتُ لأبدأ سؤالي عن فيلا رجل الأعمال الراحل "ياسين محمود سلامة" أو زوجته "وفاء عبد الجليل العطيوي"، حتى دلني أحد البوابين على موقعها، وما إن اقتربت من المنطقة التي بها تلك الفيلا حتى بدأ يتبادر إلى ذهني صوتها، فكانت تتحدث عبر الهاتف إلى ابنتها صارخة:

-بقى كل يوم سهر، كل يوم سهر، إيه هو انتي إيه؟؟ ما بتحسيش! حسسيني ولو لمرة إنك بني آدمة، وهو اللي كان الأربعين بتاعه من كام يوم دا ما كانش باباكي؟ ولا انتي فاكرة نفسك خلاص بقيتي حرة وتعملي اللي انتي عايزاه عشان أنا طول عمري طيبة معاكي؟! لاااا، قسمًا بالله يا يارا لا تشوفي الوش التاني ومن ثمّ أنهت مكالمتها، فزاد من توتري أنني أدركتُ بأنني مقبل على سيدة انتوت أن تعيش بثوب الرجال من بعد فقدان زوجها، وما أصعب مراس هؤلاء، ولكن يكفي أنني وجدتها، فلن أبرح حتى أدرك ما أرنو إليه، وما هي إلا دقيقتين وبلغت ذلك القصر، فأحسستُ بأنني مقبل على ثكنة عسكرية، وكأنني أهرب من ثكنات إلى ثكنات، فقد كان هناك فردين أمنٍ برفقة كلبي حراسة ضخمين، ولا أدري ما آثار حفيظة الكلبين نحوي، فصارا يزومان متراجعان للخلف ولا ينبحان هجومًا للأمام، وكأنهما يخشان اقترابي، وهو ما آثار ريبة حارسيهما الذين

سلم أحدهما لجام كلبه للآخر، وتقدم نحوي واضعًا يده على سلاحه الذي يتمنطق به خصره، فأخبرته أن يبلغ سيدة القصر بقدومي، وما هي إلا دقائق وسمح لي بالدخول، فكنتُ أعرف من قبل آن يبلغني أنها أمرته بإدخالي، فسرتُ برفقته عبر طريقٍ أسفلتي يتخلل حديقة القصر لتستقبلني عند بابه مدبرة القصر الفلبينية التي أشارت إليّ نحو قسمٍ للاستقبال ببهوه، لأجلس منتظرًا سيدة القصر الذي لم أسرح في تفاصيله، فقد كان أشد ما يثيرني هو نتيجة ذلك اللقاء، وما هي إلا ثوان ولمحتها تنزل عبر ذلك السلم الحلزوني مبتسمة لي في شموخٍ حتى بلغتني، فمدتْ يدها فوقفتُ مصافحًا، ومن ثمّ جلَسَت إلى مقعدٍ يوازي مقعدي وقالت:تشرب إيه؟

-ولا حاجة، أنا جاي بناءً على اتفاقنا بحيث تدليني على طريق ومن بعدها مش هتشوفي وشي تاني.

فالتفتت نحو مدبرتها وقالت:

-هاتي له أي عصير فريش.

فانصرفت تلك الفتاة الدقيقة في حينها حينما استأنفت مجالستي:
-عايز تعرف حقيقة السلسلة صح؟؟

-أنا عايز أعرف طريق.

-هعرفك كل حاجة أعرفها وانت بعد كدا اللي هتقرر ممكن تعمل إيه.

* * * * *

الفصل العاشر

الحقيقة إن الدلاية دي ما كانتش في سلسلة زي ما انت فاكر، دي كانت جزء من درع حربي معدني من اللي بيتغطى بيه منطقة الصدر، لقاه واحد في مصر القديمة لما كانوا بيحفروا مقبرة، وزادوا في العمق فلقوا مقبرة قديمة كان مدفون فيها واحد من المماليك البحرية، وكان الدرع جنبه

وجنبهم صندوق معدني محفوظ فيه رسالة كان كاتب فيها...

حينها فتحت هاتفها وبدأت تقرأ منه بلغةٍ عربية سليمة: "بسم الله الواحد الأحد الفرد الصمد، والصلاة والسلام على نبيه محمد، صلاة وسلامًا بلا عدد... الحمد لله الذي رفع علم الحق فأعلاه وأزهق الباطل فنحاه، الحمد لله الذي ذلل بالموت رقاب الجبابرة، وأنهى بالموت أماني القياصرة، وهزم المغول الكفرة وأدار عليهم الدائرة..

أما بعد فإنني قد دفنت هذا الدرع رفقة جسدي ليكون شاهدًا يوم الحشر على أنني كنتُ ضمن جيوش المسلمين تحت قيادة الملك المظفر سيف الدين قطز يوم التقينا المغول الملاعين بسهل عين جالوت في شهر رمضان المعظم لسنة ستمائة وثمانٍ وخمسين للهجرة، وأنني غنمته من قتلة أحد كبار قادة المغول بميمنة جيشهم الرهيبة التي انهارت أمامها جيوشًا لا تحصى من قبلنا، يوم أن صرخ القائد المظفر وإسلاماه، فهزمناهم شر هزيمة بفضل الله الواحد القهار، فتقهقروا نحو بيسان حيث لاقيناهم للمرة الثانية، وأعدنا هزيمتهم بفضله علينا وحده، فكانت تلك بداية النهاية لقوة المغول التي ذاع صيتها بأنها الجيوش التي لا تقهر وعزة لله وللمسلمين، فوالله ما ارتديته منذ غنمته، فقد كنت أنتوي في حينها أن يرافقني إلى قبري وبه رائحة دماء قتلة صاحبه الذي نحرت عنقه.. الفقير إلى عفو ربه بلبان الرشداني أحد فرسان المماليك البحرية.

وبعد أن انتهت من قراءة نص الرسالة وضعت هاتفها على منضدةٍ صغيرة إلى جوارها وأردفت:

-الدرع دا اتعرض على ياسين جوزي الله يرحمه من خلال وسيط، وياسين كان تاجر شاطر أوي.

-تاجر آثار؟

فأشارت برأسها موافقة مع لمحة توتر بدأت تخالج قسماتها:

-عشان أعرّفك اللي عندي لازم تعرف الحقيقة كاملة، لإني من ساعة ما

عرفت إنك في نفس الأزمة اللي كنا فيها لغاية ما ياسين مات، أشفقت عليك الحقيقة، مش خفت منك على فكرة، لكن الدافع الأكبر لكلامنا دلوقتي هو إني أكفر عن ذنبي وأريح ضميري من اللعنة اللي كنت أنا السبب فيها، واللي اتسببت في موت ياسين.

حينها بدأت علامات الاستفهام تتكاثر برأسي ولكنني رددت مبتسمًا:

-ودا معروف مش هنساه العمر كله.

-ياسين لما شاف الدرع كان فيه الدلاية أو التميمة دي ملحومة عليه من فوق وكانت دهبية وشكلها مبهر، واللي جاب له الدرع قال له إنهم لما حاولوا يقربوا منها النار لونها اتوهج، فعجبت ياسين جدًا وأخد الدرع والرسالة بكلام فارغ بالنسبة لحاجة عمرها ٨٠٠ سنة تقريبًا، كان دفع حوالي ٤٠٠ ألف جنية، لكن ياسين كان عنده مبدأ حلو أوي في البيع، قبل ما تحاول تبيع اعرف مين أكتر حد ممكن يقدّر الحاجة اللي بتبيعها، فدا درع حربي ويعتبر غنيمة بطل من أبطال جيوش المسلمين اللي أوقفوا جيوش المغول الجرارة، ومع الدرع رسالة البطل دا، فياسين كان ليه صديق في سينا من منطقة الحسنة، تاجر سلاح اسمه منصور الشميسي، زي ما بيقولوا طرق التجارة الغير مشروعة كلها منفدة على بعضها، آثار، سلاح، مخدرات، لكن ياسين طول عمره شغال في النضيف لا ليه في دم ولا مخدرات ولا سلاح، بس كان ممكن يحتاج للناس دي أحيانًا في التهريب، المهم إن صديقه منصور دا كان مشكوك في أمره إنه بيتعامل مع الدواعش هناك، وياسين كان عارف إن أكتر حد ممكن يدفع في الدرع دا هم الجماعة اللي بيحاربوا باسم الدين والدين منهم براء.

فعقدت حاجبي باندهاش وقلت:

-إزاي؟؟

-بص للرمزية اللي في الموضوع، القائد بتاعهم هيعمل لأتباعه من الدرع دا رمز، حافز، حاجة تبث فيهم روح القتال، خاصة إن شباب التنظيمات دي معظمهم مغيب وعندهم اعتقاد خاطىء، فالقائد هيمسك الدرع

والرسالة ويقولهم شوفوا، شوفوا جيوش المسلمين انتصروا على المغول اللي غزوا العالم كله، اللي كانوا أقوى من أمريكا نفسها، ودا مصيرنا وهدفنا، ومش هيتكلم بقى إن قطز دا كان حاكم دولة مش عصابة، وقبل الحرب قعد يعمل مصالحات وتنظيم للشأن الداخلي في مصر، وعمل معاهدات خارجية مع حاميات الصليبيين، وقصة كبيرة جدًا هو مش هيجيب سيرتها، المهم الرمزية أو قميص عثمان.

حينها جاءت المدبرة بالعصير، فاستأذنت السيدة وفاء في التدخين، فأشارت نحو مدبرتها بإحضار مطفئة لأشعل سيجارتي، فأردفت:

-وإيه اللي حصل بعد كده؟

تذكر انك حملت تلك الرواية من موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة.

وقتها بدأت ألاحظ علامات الأسى تتسرب إلى ملامحها حين استأنفت قائلةً:

-لما ياسين قرر يبيعها لهم اقترحت عليه إن القطعة الدهبية دي مش هتفرق مع الجماعة دول في حاجة، ويمكن يشيلوها من الدرع كمان، وهي كانت زي زينة في أعلى الدرع وملحومة عليه، وياسين في الأصل جواهرجي، فطلبت منه يفكها ويبيع الدرع والرسالة من غيرها، كنت بخطط إن بعد البيعة ما تخلص، أخلية يعملها لي سلسلة، وهو كانت إيده تتلف في حرير الصراحة، وفعلًا اقتنع بالفكرة وفكها، وعرض على منصور صور الدرع والرسالة، وقال له يعرض الحاجة دي على قائد الدواعش هناك، فمنصور ما كانش مقتنع، لكن مجرد ما اتواصل معاهم وعرض عليهم كانوا فعلا زي ما اتوقع ياسين هيتجننوا على الحاجة، طبعًا ما كانش فيه تواصل مباشر بين ياسين وبينهم، واللي اتولى عملية الفصال منصور، وفي الآخر قال إن عرضهم الأخير حوالي ٣٠٠ ألف دولار، فياسين وافق، خاصة إنه معاه الدلاية الدهبية اللي طبعًا فكر وقتها إنه هيبيعها بقيمة تانية.

فنفخث دخان سيجارتي وأنا أزداد تلهفًا لفك طلاسم ذلك اللغز، ولكنني لم أظهر تعجلًا، فلم أكن أريد تفويت آية كلمة من الممكن أن تخرج من جوفها، فأردفث مسايرًا حديثها:

-تفكير منطقي بردو.

فابتسمت بسخريةٍ يخالجها لمحة كآبة وقالت:

-الدواعش أخدوا الدرع، ولما البيعة طلعت كسبانة وبزيادة كتير كمان طلبت من ياسين يعملها لي سلسلة، لكن فضل مكسل يجي شهر ونص عشان هو الشغل دا بيعمله بإيده، لكن بعد إلحاح بدأ يشتغل فيها، ومجرد ما خلصها وقف قدام المراية في الورشة بتاعته هنا في البيت ولبسها عشان يظبطها، يعني يشوف سلسلتها طويلة قصيرة كدة يعني.

حينها توقفث عن الحديث لثوانٍ وزاغ بصرها وكأنها تحاول التمالك:

-والباقي إنت عارفه بقى، يعني سمع العداد، واتحولت لنحاس، وأخد القدرات اللي انت أخدتها، لكن لما بدأت تضعف ما كُناش عارفين نعمل إيه، رحنا لشيوخ وسحرة وعرافين وما طلعناش بأي حاجة، وكانت قدراته بتضعف أكتر لغاية ما قررت أسلك طريق تاني في السؤال، لأن أنا خريجة آداب قسم تاريخ، وياسين بحكم شغله في الآثار كان يعرف متخصصين في التاريخ وفي الآثار، فبدأت أسأل أكتر من حد منهم عن المغول وهل كان لديهم سحر معين ونوع السحر دا إيه، كنت بحاول ألاقي أي معلومة.

-ولقيتي إيه؟؟

فزفرت بتنهيدةٍ ثقيلة وأردفت:

-بعد فترة يمكن خمس أسابيع من لبسه للسلسلة كانت حالته بقت سيئة جدًا، لكن اتفاجئنا بواحد من أساتذة التاريخ اللي كنت مكلماهم، كان متحال على المعاش وما بيروحش الجامعة، فكان متفرغ يعني، المهم إنه جالنا بالصدمة اللي وصل لها من كتب تاريخ قديمة.

حينها أطفأتُ سيجارتي، وانتبهت كل حواسي لتلقي تلك الصدمة الجديدة، فقالت:

-الصدمة إن الحكاية عبارة عن خرافة كانت منتشرة في عز أيام توسع المغول، لكن بعد ما انهزموا في عين جالوت، وبعد ما أسلم واحد من قادتهم اسمه بركة خان، وأسس حاجة اسمها القبيلة الذهبية، وبدأ يحارب المغول نفسهم، وبدأت قوتهم تتوقف عن التمدد، وبعدها بدأت تتراجع مع السنين لغاية ما اختفت تقريبًا، الخرافة دي اختفت هي كمان مع الزمن، لكن الخرافة دي كانت أقرب تفسير لموضوع الدرع دا، وفيه حقايق تاريخية كمان بتأكدها.

حينها بدأ الفضول يجذبني على وجهي فعاجلتها:

-والخرافة دي بتقول إيه؟

حينها كانت تتكلم بأسلوب أكاديمي، وكأنها تشرح فصلًا من فصول التاريخ حين قالت:

-قبل الخرافة لازم تعرف إن السفاح جنكيز خان أو تيموجين مؤسس إمبراطورية المغول اتولد وفي قبضة إيده كتلة دم، كمان وهو عنده ١٣ سنة قتل أخوه عشان خلاف على صيد، ولما جنكيز خان مات واندفن لحد وقتنا هذا ما حدش يعرف موقع قبره، المهم بالنسبة لنا إنه سنة ١٢٠٦ ميلادية أعلن إنه الحاكم لجميع المغول بعد سلسلة رهيبة من الحروب الدموية انقلب فيها على حلفاءه وقتل فيها أقرب أصدقاءه، لأن الاتحادات القبلية المغولية في منغوليا كانت في تناحر دايم، لكن هو اللي قدر يخضعهم لأول مرة في تاريخهم بحد السيف، فكان شخص سفاح من قبل ما يبدأ يتحرك عشان يغزو العالم، وفي السنة دي تحديدًا وضع قانون أو شريعة تحكم المغول اسمها "شريعة الياسا" تمهيدًا لغزو العالم، وإن الشريعة دي تسود العالم كله، واللي كانت أكتر قانون أو شريعة دموية في التاريخ، يعني الجزاء بالقتل كان أسهل حاجة فيها، فكان من ضمن أحكامها مثلًا إن اللي يتبول في المية يتقتل، واللي يختصم رفيقه في

الجيش وما يثبتش الحق يتقتل، ومنع إن يتقال على شيء إنه نجس، ومنعهم من غسل الهدوم، تتلبس لغاية ما تدوب، ومنع دبح الحيوان من رقبته، كانت بتتشق بطنه، واللي يعمل غير كدا يتقتل، وحاجات تانية كتير على نفس الشاكلة.

كاد حينها الفضول أن ينهش قطعًا من ذهني، فأردفتُ بنفادِ صبرٍ أكتمه بداخلي:

-طيب والخرافة؟

-الخرافة بتقول إن اللي أملى عليه الشريعة دي كاهن منتسب للزراديشتية اللي بيقولوا عليها المجوسية، وعشان كدا السلسلة بتلمع مع اقتراب النار منها كنوع من السحر لتعظيم شأن النار اللي هي حاجة مقدسة في الديانة دي، كل ديانة على مدار التاريخ انتسب ليها منافقين ومنتفعين وسحرة، المهم إن الكاهن دا اللي أوعز ليه بالعقيدة دي هو إبليس نفسه، ومقابل إقرار العقيدة عقد لجنكيز خان ألف شيطان بألف عهد، كل عهد ينتهي بعد ألف سنة أو بقتل ألف شخص أيهم أقرب، تعويذة الولوج بتاعت العهد كانت منقوشة على القطعة الذهبية بتاعت الدرع، وتعويذة الخروج منقوشة على الدرع نفسه، ومجرد ما بتلبس الدرع بيقيد ليك الشيطان صاحب العهد، ولما بتقلعه بيتحرر الشيطان لحين تفعيل العهد مرة تانية حتى لو بعد ٩٩٩ سنة، لأن بعد الألف سنة يعني سنة ٢٢٠٦ هتنتهي مدة العهد، لكن عشان ما حدش يستخدم القدرات الرهيبة دي في غير غرضها الأساسي اللي هو القتل، كان لازم على المستفيد من العهد إنه على الأقل يقتل نفس كل دورة قمرية طالما مستمر في تفعيل العهد، يعني كل تسعة وعشرين يوم تقريبًا، طيب لو ما قتلتش؟ بيبدأ في الأسبوع الأخير من الدورة القمرية يقلل من القدرات اللي بينقلها لك لغاية مع نهاية الدورة القمرية ترجع طبيعي، ومن بعدها تبدأ قدراتك الطبيعية تقل لغاية ما تتعمى وتتصم، إنما لو حد لبس الدرع ورجع قلعه بينحل من العهد وبيرجع طبيعي تاني، وترجع تتفعل بنود العهد من ساعة ما يلبسه مرة جديدة هو أو غيره، يعني بيرجع يكمّل في العداد التنازلي بتاع القتلى

الألف، وبياخد القدرات وفقًا لعدد أيام الدورة القمرية اللي كان سايبها قبل ما يقلعه، يعني لو كان لسه قاتل قبل ما يقلعه مباشرة بيستفيد بشهر كامل هو أو اللي يجي من بعده، ولو كان قاتل ٨٠٠ قبل ما يقلعه يبقى فاضل ٢٠٠، الشيطان دا ما بيقتلش، هو بيلبسك ويمنحك قدرات الوعي اللي انت عارفها وانت اللي عليك الباقي، لكن تخيل إن فيه ١٠٠٠ درع من دول لو استخدموا ١٠٠ درع منهم بس في كل حرب من حروب السيوف القديمة اللي بتعتمد في الأصل على سرعة البديهة ورد الفعل أثناء المبارزة فكفيلين يغيروا موازين القوى، غير إن الـ ١٠٠ درع مش هيستخدموا في حرب واحدة، ما فيش واحد هيقتل ألف شخص في معركة، وعشان كدا ناس كتير جدًا بتقول إن سر قوة ميمنة المغول اللي كانت سبب تفوقهم في معظم حروبهم كانت الدروع دي، لدرجة إن في موقعة عين جالوت على الرغم إن هولاكو خان كان رجع قراقورم عاصمة المغول بعدد من القوات وساب مكانه القائد بتاعه كاتوبجا، وعلى الرغم من الخطة العبقرية اللي كان عاملها قطز وطوق بيها جيش المغول، إلا إن أثناء المعركة تفوقت ميمنة المغول على ميسرة جيش المسلمين، وكادت إنها تدور الدائرة وتطوق هي جيش المسلمين، فقطز أرسل تدعيمات للميسرة بتاعت جيشه مرة واتنين، وبردو ما جابتش نتيجة، فنزل ساحة المعركة بنفسه وقلع خوذته وصرخ واإسلاماه واإسلاماه واإسلاماه، ومن بعدها رجعت الغلبة لجيش المسلمين، بعض المؤمنين بالخرافة من المعتزلة بيقولوا إن الشياطين هربت من صرخة قطز، وناس تانية بتقول إن ملايكة تنزلت وقتلت كتير من الشياطين، وناس بتقول إنها أرواح المقاتلين المسلمين السابقين، المهم إن جيش المغول كان جيش من السفاحين قتل في بغداد لوحدها على الأرجح ٨٠٠ ألف نفس خلال أربعين يوم، كانوا بيقتلوا كل اللي بيقابلهم، لكن كبار الجند أصحاب الدروع كانت مهامهم الحروب فقط، لكن مع كترة الحروب الدروع دي اتفك عهود كتير جدًا منها، واتبقى عدد قليل جدًا، منهم الدرع اللي وصلنا

-اللي أنا جوزي ساعة ما لبسه كان العداد ١٠٤، يعني كل اللي لبسوا الدرع قبل كدا قتلوا ٨٩٦ فرد، ولما لبسه قضى تقريبًا تلات أسابيع بالقدرات

العالية لأن اللي كان لابسه قبله كان لابسه في حرب يعني كان تقريبًا لسه قاتل قبل ما يتقتل ويتوقف العهد ٨١٤ سنة تقريبًا، المهم إن جوزي استفاد من دورة قمرية كاملة.

-يعني جوزك قتل مرة لما عرف بتفاصيل العهد، وعاش تقريبا بعدها أقل من تلات أسابيع بأيام بسيطة لأن القدرات دي فضلت معايا أيام وبعد كدا بدأت أدخل على طول في الأسبوع الأخير من الدورة القمرية اللي بترجع فيه قدراتي لطبيعتها، وبعدها بدأت تنزل عن طبيعتها لما اتجاوزت الدورة دي من غير قتل، وبعدين أنا لما لبست السلسلة كان العداد مية وتلاتة.

حينها عقدت حاجبيها:

-بص هو ما قتلش بالمعنى الحرفي للقتل، هو قتل حد تقريبًا كان ميت إكلينيكيا، حتى نشاط جزء المخ كان عنده شبه مختفي، بس كان لسه فيه الروح طبعًا، ودا بالاتفاق مع دكتور معرفتنا، كانت حالة قتل رحيم زي ما بيسموها، لكن دا مش موضوعنا.

حينها أحسست بالكذب يطل من عينيها على الرغم من أنه يبدو واضحًا أنهم ليسوا من القتلة، ولكن أحيانًا قد تضطر للقتل إذا كان في المقابل هو حياتك نفسها، فأردفت حينها:

-موضوعنا الخرافة.

-بص سواء كانت خرافة الدروع دي حقيقية ولا لأ أو تخص جنكيز خان وجيش المغول ولا تخص حد غيرهم في سالف الأزمان وانتسبت ليهم، حتى لو كانت الخرافة تخص عدد محدود من الدروع أو درع واحد بس وصاحبه المغولي هو اللي عقد عليه العهد بشكل فردي مثلًا، خاصة إن جيوش المغول مع التوسع كان بيبقى فيها عرقيات وأديان كتير جدًا، وإن الخرافات ممكن تكون حاجات بسيطة وبتتضخم، المهم إن احنا عندنا درع فيه حتة دهبية منقوشة بطلاسم غير تابعة لأي لغة معروفة، ولما بتلبسها منفردة بيحصل كل اللي حصل، ومع تفاصيل الخرافة فإن حل العهد دا مالوش غير حالتين، إن اللي مفعل العهد يموت وساعتها الجني بيرجع حر

لغاية ما يجي حد بعده يفعل العهد ويلبس التميمة سواء حرة أو في الدرع، أو إن الحتة الدهبية دي ترجع للدرع وانت لابسه وبعد كدا تقلعه، ولو كانت الخرافة صادقة في كل تفاصيلها ففي حلين تانيين إن الألف نفس تتقتل أو إن الألف سنة يمروا، ولو اني أخاف من موضوع قتل الألف نفس دا، لأن مين هيضمن لك إنك مش هتكون الضحية صفر بعد اكتمال الألف ضحية وتحرر الجني أو الشيطان من التزامات العهد اللي فضل معقود عليه كل الفترة دي؟ مع العلم إن أي شيطان معقود لعهد بيبقى كاره حامل العهد وكل اللي مانعه من أذاه هو عهده، وفي الأغلب بيلحق بيه أشد الأذى بعد تحرره، وعشان كدا دايمًا السحرة بيحاولوا يعقدوا عهود ما بتنتهيش غير بموتهم، وفي نفس الوقت أهاليهم ما بتسلمش من أذى خُدّام العهود.

-طب وما رجّعتوش الدرع ليه؟

فزفرت تنهيدة أثقل من تنهيدتها الأولى:

-حاولنا مع منصور إنه يرجعه من غير ما نشرح تفاصيل أو أسباب طبعًا، لكن قائد الدواعش رفض مناقشة الفكرة، رفض أي مبلغ اتعرض عليه، طب هات الدرع وهنرجّعه تاني، وهنعطيك فلوسه من قبل ما تبعته، وفوق كدا هنرجعهولك تاني ومش هنسترد الفلوس، لكن رفض بردو، واضح إن الفلوس .مش مسببة لهم أي أزمة.

-طيب وعملتوا إيه؟

-ساعتها منصور صمم يعرف السبب، فياسين كان حويط، فقال له إن الدرع كان فوقه تميمه أخدتها، واللي بيلبسها بتحل عليه لعنة مرض ما تنحلش إلا لو التميمة رجعت للدرع واللي عليه اللعنة لبس الدرع وقلعه.

فابتسمت:

-كان أذكى مني الله يرحمه.

-أي حد ممكن تحكي له عن القدرات دي ممكن يقتلك علشانها وهو مش

شايف غير مزاياها، أو يقتلك عشان يأمن نفسه منك، المهم إن القدرات دي فعلًا زي لعنة، فالحل اللي اقترحه منصور ساعتها إن ياسين يروح له سينا، ومن هناك كان هيحاول يشوف له أي طريقة إنهم يروحوا ويقابلوا قائد الدواعش، ويترجوه ساعتها إنهم يشوفوا الدرع بس.

-ها وإيه اللي حصل؟

فنظرث حينها نحو قدميها بأسى ثم رفعت عينيها نحوي وقالت:

-ياسين لما عمل الحادثة عند مقر نقطتكم كان رايح سينا وواخد الدولي الساحلي عشان يوصل إسماعيلية، ومن هناك ياخد طريق إسماعيلية العويجة، لكن القدر سبقه.

-يعني أنا المفروض أروح هناك.

-أنا الخدمة اللي ممكن أقدمها لك إني أقول لمنصور إنك كنت شغال مع ياسين واللعنة اتنقلت لك، وهو يشوف طريقة يحاول يوصلك من خلالها بيهم، لكن ما تظنش إنه ممكن ياخدك من إيدك ويروح يوصلك لهم، هو كان هيعمل كده مع ياسين بحكم العشرة والشغل، إنما بالنسبة لك هتشوف هناك ممكن تعرف توصل لإيه.

فابتسمث نفس الابتسامة التي بعثها بداخلي إحساس الميت الذي لن يخشى بعد موته خشية، فمن فقد روحه الحقيقية ليس سوى ميت ينتظر تأكيد موته، أو بالأحرى ليس لدي ما أخسره أكثر من روحي التي خسرتها حين سكنني ذلك الشيء، فإذا ما بلي ذلك الجسد في محاولة استعادة روحي فلن أخسر أعز مما خسرت، بل خسارته أهون من المواصلة بلا روح حقيقية تسكنه وهو ما صرت أشعر به الآن، والغريب أنهم كانوا دائمًا يحكون عن كون ملامحي باردة، وأن انفعالاتي لا تجد طريقًا لوجهي، لكنها كانت بلادة ظاهرية، فقد تغلي الحمم بداخلي وبخارجي جبل الثليج، أما الآن فقد صارت تلك البلادة تكسو الجوهر والمظهر، فتبلد انفعالي ورد فعلي حين أردفت:

-على رأي المثل ضربوا الأعور على عينه قال خربانة خربانة.

حينها ابتسمت بيأسٍ وأردفت:

-ويا ريت، يا ريت تقدر تحل اللعنة دي، لكن خلي بالك، إحنا مالناش ذنب في اللي حصل لك، إنت اللي سرقت السلسلة، وسرقتك هي اللي كانت سبب في لعنتك.

وحينها قامت من مجلسها، فقمتُ واقفًا حين مدت يدها لتصافحني:

-منصور عنده علم خلاص، كل اللي هتقوله إنك جاي من طرفي، ودا رقم تليفون واحد من رجالته اللي هتتواصل معاه لما توصل الحسنة.

وحينها أملتني رقم هاتفه فأردفتُ:

-شكرًا ليكِ يا افندم، وحقيقي انتِ ساعدتيني.

ومن ثم انصرفتُ خارجًا من القصر لا أدري إلى أين مقصدي، فكلما ظننتُ بأنني اقتربت من حل وثاقي بتلك القلادة كلما ابتعدت عني، حتى صرتُ أظن أنني لو بلغت أولئك الدواعش بسيناء سيخبرونني بأن ذلك الدرع ذهب لأمريكا، وإن قابلت ترامب سيقول أنه بعرض المحيط، فإن سألت أسماك القرش عنه، سيقولون أنه مع الحيتان، وإن استسمحت الحيتان سيقولون أن طيرًا خطفه فطار به لقمم الهيمالايا وهكذا دواليك، فصرتُ أمشي لا أدري من أين وكيف أبدأ طريقي حتى مرت بجواري إحدى سيارات الأجرة، فأشرتُ لها، فسألني إلى أين؟ فتلعثمتُ فتركني، فالناس تخشى ارتباط مصائرهم بمصائر التائهين أو أنّ تِيهَك قد يثير الريبة في قلوبهم أكثر من إثارة الشفقة، فأشرتُ لأخرى قاصدًا أول مكانٍ وطأت فيه قدماي تلك المدينة التي لولا ما أنا فيه لكنتُ ملأتُ صدري من نسيم ساحلها الساحر، ولكن صدري لا يتسع إلا لتلك الحيرة جوار حيزٍ ضيق لأتنفس من خلاله نفس الحياة، فبلغتُ محطة سيدي جابر مرة أخرى لأجلس على أحد المقاهي محاولًا التفكير في كيفية بلوغ الحسنة، تلك المدينة التي ما زرتها سوى مرة واحدة، ولولا أنني كنتُ مستقلًا

لإحدى سيارات الإسعاف في إحدى الحملات الطبية لتوقفت في عشرات الكمائن اللاتي تتخلل الطريق إليها مترصدة لكل من يعبر بالسؤال والتحري، أما أنا فغريب هارب فكيف السبيل إلى هناك، فجال بذهني لوهلةٍ أن أتصل بأحد رفقاء نقطتي عله يغامر بتوصيلي بإحدى سياراتي نقطتنا، ولكن على الرغم من حفظي لأرقام هواتف اثنين منهما إلا أنني أعرف ذلك الخوف الذي يغرسه بداخلك العمل الحكومي، تلك الخشية المتوارثة التي يورثها القدامى للمستجدين جيلًا بعد جيل، لا تعرف مما يخيفونك، ولكن يجب عليك أن تخاف متخذًا الحائط ستارًا لتمشي إلى جواره، رافعًا شعار "خليك جنب الحيط"، فبادئ الأمر تخشى على راتبك الذي تعيش عليه كفافًا، تخشى الجزاءات والإنذارات ومخالفة اللوائح، ثم يتغلغل بداخلك ذلك الخوف ليصبح منهج حياة بداخل العمل وخارجه، حتى يغتال بداخلك كل طموح، وحينها انتزعني من تفكيري صياح صاحب المقهى في أحد صبيانه، والذي ما إن سمعته حتى تذكرت رفيقي السيناوي وطرفته، فأخذتُ أحاول تذكر رقم هاتفه فأهل مدين أدرى بشعابها، وقد يكون لديه طريقة لدخول سيناء إن ابتغى مساعدتي، فظللتُ أحاول مع الأرقام حتى بلغته ليرد ببشاشةٍ اطمأن لها قلبي، ولكن ما إن أبلغته بأنني هربت وأحتاج لطريقةٍ لبلوغ مدينة الحسنة حتى ارتبك صوته، وتلعثمت كلماته، ومن ثمَّ أخبرني أنه سيستفسر عن مدى إمكانية الأمر، وبعدها أنهى اتصاله على عجل، لأفقد بذلك آخر آمالي فيمن قد يساعدني لإكمال طريقي، فسألتُ بالمقهى عن مكان للمبيت فدلوني على فندقٍ صغير مجاور، وهناك دفعت ضعف حق المبيت لليلة الواحدة لأنني لا أملك بطاقة هوية، وما إن مددتُ جسدي على ذلك السرير الصغير حتى تذكرت تلك اللحظة التي استللتُ فيها القلادة، فقلت آه لو يعود الزمان للوراء، ما كنت لمستها ولكنت ركضتُ عائدًا لجدران نقطتي ألثمها جدارًا جدار، ولكن هيهات أن يعود الزمان، وبينما تهاجمني تلك الذكريات المعاتبة رن هاتفي برقم نور التي كانت تتكلم وكأنها توشوشني، فاطمأنت عليَّ سريعًا ومن ثمَّ أنهت المكالمة، فكان جليًا أنها بمنزلها وتخشى أن يكون هناك من يستمع لحديثها.

وعلى الرغم من قصر تلك المكالمة إلا أنها منحتني شعوزًا بالسكينة، فهناك من يهتم لأمري، وهي البقعة المضيئة الوحيدة التي تجلت بتلك المحنة التي أعيشها، فقبلها لم يكن يسأل عني سائل، وكأن الله دائمًا يمنحك الأمل أو يمنحك سببًا لتواصِل، أما المفلتين أياديهم فيُعموا أبصارهم عن أسباب البقاء، ومن بعدها استسلمتُ للنوم سريعًا حتى استيقظتُ في الصباح على رقمٍ غريب يدق على هاتفي، فتخيلت أنها نور؛ فهي الوحيدة التي تعرف هذا الرقم، ولكن للوهلة الأولى سمعت صوت رجلٍ لم أستطع تمييزه من كلماته، ولكن ما إن أفقتُ وركزت على الصوت حتى اتضح أنه رفيقي السيناوي يتحدث من رقمٍ آخر ليخبرني أنه لم يستطع التحدث بالأمس، لأنه يعرف أن هناك من يراقب الأحاديث الهاتفية خاصة ببلدتهم وبلدات شمال سيناء بصفة عامة، فلم أكن أعرف هل يبالغ في التوجس أم أن الأمر به شيءٌ من المنطقية؟ ولكن الأهم هو ما أخبرني به عن أن هناك عصابات تُهرِّب المهاجرين من أفريقيا لاسيما اريتريا وجنوب السودان ودارفور إلى إسرائيل، وأن له صديقًا يعمل معهم، ولكن المشكلة تكمن في المبالغ الكبيرة التي يتقاضونها، وأخبرني بأن أحاول المساومة في السعر خاصة وأنني لن يتم تهريبي عبر الحدود، وأنني سأنزل بالحسنة، ومن ثمّ أعطاني رقم هاتف صديقه، والذي ما إن أنهيت المكالمة حتى اتصلت به، فأخبرني أن تلك الرحلة ستكلفني ألف دولار، وحينها سيلتقطني من الإسماعيلية وينزلني بالحسنة، فحاولت مساومته بأن كل ما أخشاه هو عدم امتلاكي لبطاقة هوية، فرد حينها بأن تلك الأمور لا تغير من الأمر شيئًا، وأن تعريفتي هي نصف تعريفة المهاجر الذي يمر عبر الحدود والذي يدفع ألفين دولار، ومن ثم أنهي المكالمة بعدما أخبرني أن لحسن حظي أن هناك رحلة بالغد إن أخلفتها فلن أدرك رحلة أخرى إلا بعد فترة يعلم الله وحده كم تطول، وأعطاني عنوان مخزن بمدينة الإسماعيلية سيكون اللقاء فيه، وكي أدخل من بوابته فعلي أن أبلغهم بأنني أتبع أبا مصعب.

وقتها بدأتُ التفكير في طريقةٍ أدبر من خلالها ذلك المبلغ، فلم أعد أملك سوى أربعة آلاف جنيه، أي أنني أحتاج لإثني عشرة ألف جنيهًا إضافية،

وأول ما خطر ببالي هو أن أبيع السلسلة الذهبية وأحتفظ بالدلاية، فقد تمنحني مبلغًا إضافيًا، وحينها سأنظر في آمر الباقي، فنزلث عن سريري وارتديث ملابسي مسرعًا، وصرتُ أمر على محلات الصاغة كي أبيعها، ولكن لا أعرف ما الذي يثير ريبتهم في الأمر، فأحدهم قال لي لا بدَّ أن أرى فاتورة شرائها، وآخر أخبرني بأنه لا يشتري ذهبًا مستعملًا، وثالث قال لا أشتري المسروقات، وكل ما استفدته أنني قدَّرت ثمنها، وكان ثمانية آلاف جنيه، مما يعني أنني ما زلت بحاجةٍ لأربعةٍ أخرى، فقررتُ أن أعود على أول قطارٍ متجه للقاهرة، فبكل الأحوال لا بدَّ أن أمر عليها في رحلتي نحو الإسماعيلية إن كنت أبغي الوصول بالقطار، وفي الطريق خاطبت نور فأنا أعلم أن الأمر سيكون هينًا إذا ما تولى البيع أنثى خاصة لو قصدت إحدى محال الصاغة القريبة من منطقتنا، فهم يعرفونها جيدًا، ولن يسألها سائل عن فاتورة شراء أو خلافه، واتفقنا على لقاءٍ سريع بإحدى مقاهي التحرير، حيث سبقتها إلى هناك ولم يتأخر قدومها كثيرًا، فما هي إلا نصف ساعة ولمحتها على باب المقهى، فأشرت لها فاتجهت نحوي وجلست إلى طاولتي، ثم فتحت حقيبتها وأخرجت مبلغًا من المال مدت به يدها نحوي:

-خد دول ٥٠٠ جنيه، وشوف ممكن تحتاج كام تاني وانا أدبرهولك.

فرددث يدها:

-لأ يا نور، أنا بس هبيع السلسلة وهتفرج بعدها بإذن الله.

-قول بس إنت محتاج كام تاني عشان توصل سينا، أنا مسلفة البت سارة اللي كنت سمعتني وانا بكلمها ١٢٥ جنيه، وكلمتها عشان تجيبهم، وسيب السلسلة يمكن تحتاجها في حاجة تانية.

-يا نور أنا محتاج ١٦ ألف جنيه، ومعايا منهم أربعة، والسلسلة هتجيب حوالي تمانية، والباقي كلمت واحد صاحبي هيتصرف لي فيهم.

حينها جحظت عيناها:

-ليه؟ هو انت مسافر لندن؟!

-آه مسافر لندن بس هعدي ترانزيت على الحسنة، روحي يا نور بيعي السلسلة الله لا يسيئك.

وحينها قامت من جلستها لتغادر، ولكنني استوقفتها بأن أمسكت يدها قائلًا:

-وحشتيني.

فابتسمت في خجلٍ، ومن ثمّ رحلت، فصرتُ أرقبها حتى اختفت عند واجهة المقهى، فحينما تأخرت عن موعدها كنت أظن في البداية أنها قد تخشى المجيء، ولكني تفاجأت بها وكأنها لا تجلس مع مجرمٍ مجنون هارب على طاولةٍ واحدة، فكنت أنا من أخشى أن يراها أحد بصحبتي، أما هي فكانت وكأن الأمر لا يعنيها، وما هي إلا ساعة وعاودت مرة أخرى وبيدها مظروف أبيض وضعته على الطاولة:

-دول الـ ١٢ ألف اللي انت عايزهم.

فعقدتُ حاجبيّ مستفهمًا لتعاجلني:

-عليك أربع تلاف جنية يا عم ما تعملّيش حواجبك سبعات وتمنيات.

-لأ يا نور مش هاخد إلا تمن السلسلة.

-والله العظيم ما هرجّع منهم حاجة، أنا بعت الخاتم خلاص، وبعدين صاحبك دا مش أجدع مني ولا حاجة.

حينها ابتسمتُ مستسلمًا، فقد كان جليًا أنها عقدت العزم على أن تبهرني بشهامتها كلما مرت الأيام بمحنتي، وكأنها أحست بكذبي حين أبلغتها بأن هناك من سيدبر لي البقية ولكنني سألتها:

-طيب وهتقولي لأهلك إيه؟

-هقول لهم وقع أو ما حسيتش بيه من بعد ما نزلت من المترو، أو هقول

أنا مش فاكرة ضاع هنا في البيت ولا بره، هقول أي حاجة ما تقلقش، وبعدين دي أول مرة أعملها يعني، ابقى طمني عليك لما توصل.

وحينها غادرتُ وأنا لا أجد كلماتٍ أوفي بها حق ما أسدته وتسده لي يومًا بعد يوم، ولو أنها اكتفت بذلك الدعم المعنوي وحده لكفاها، ومن ثم قمتُ قاصدًا محطة القطار لأتجه نحو الإسماعيلية.

*****

الفصل الحادي عشر

تلك المدينة التي أمضيتُ ليلتي بها مترقبًا ذلك اللقاء، وبصباح اليوم التالي اتجهتُ نحو مكان التجمع، والذي كان مخزنًا للخردوات بضواحي المدينة، يحيط بهِ سورٌ متوسط الارتفاع، فقصدتُ بوابته حيث أبلغت الحرس الواقفين لديها بأنني أتبع أبا مصعب، فأشاروا لي نحو بنايةٍ من دورٍ واحد بداخل ذلك المخزن، فقصدتها عبر طريقٍ يتخلل أكوام الخردة، لأجد شابًا غليظَ الملامح يقف أمامها، وما أن اقتربتُ منه حتى فتح لي باب أحد الجراجات أسفل البناية وأمرني بالدخول فيه، ومن ثمَّ أغلقه من خلفي لأجد على الضوء المتسلل من نافذةٍ صغيرة بمؤخرة هذا الجراج أكثر من خمسين مهاجرًا إفريقيًا ما بين رجالٍ ونساء، فكانوا يجلسون القرفصاء مسندين ظهورهم إلى الحوائط، ويكسو ملامحهم الإعياء والهزال والخوف، ويبدو كون ملامحي تشي بمصريَّتي قد أثار فضولهم وريبتهم فقطعوا أحاديثهم حين رأوني، فأسقطتُ جسدي مسندًا ظهري لأحد الجدران مثلهم، وما هي إلا دقائق وعادت تلك المحادثات الثنائية، فمنها ما كان بلغةٍ عربية، ومنها ما كان بغيرها، لأكتشف أنهم ما إن وصلوا مصر مُهرَّبين من السودان حتى لاقوا شتى أنواع التعذيب من مُهربينا الذين استلموهم داخل الحدود المصرية كما فعل نظرائهم الذين سلموهم إليهم، وذلك حتى يقوم ذويهم بتحويل مبالغ مالية إضافية على أرصدة هؤلاء المهربين كي يكملوا رحلة هروبهم، فهناك فتاة حرقوا شعرها، وأخرى اغتصبوها، وأما سكبُ قطرات الزيت الساخن على ظهورهم رجالًا

ونساءً فذلك نوع من الترفيه، إلى أن يقوم من يهتم لأمر أي منهم بتحويل المبالغ المطلوبة ومن يمتنع عن التحويل يُلقى كجثةٍ بالصحراء، وكل ذلك في سبيل الهروب نحو إسرائيل حالمين بحياةٍ أفضل، معرضين أرواحهم للفناء بتلك الرحلات المخزية، ومع تعدد الحكايات انتابني أسفٌ لأوضاعهم يقارب أسفي على نفسي، على هؤلاء الذين يهربون من الفقر إلى القهر علهم يصلون بالنهاية لحياةٍ قد يلاقوا بأعتابها ملامحًا للآدمية، فمرت الساعات ونفذت سجائري، وكلما استمعتُ أكثر كلما رثيت لأحوالهم حتى حل الغروب، فتبادر لرأسي هدير محرك سيارة، وحوار يدور بين اثنين من مهربينا، فكان أحدهم يستفسر من الآخر عن جدوى تلك الطريقة الجديدة التي سيستخدمونها لأول مرة، وهل هي أفضل من عبور القناة في قوارب صغيرة بالقرب من السويس، ومن ثم يسلكون الدروب الغير ممهدة، فرد عليه بأن سائق تلك الشاحنة يسافر يوميًا إلى العريش وبئر العبد بشحناتٍ من الصيصان "الكتاكيت" يوصلها لمزارع الدواجن، وكل الأكمنة تعرفه على طريق الإسماعيلية العويجة، وقبل تقاطع طريق الحسنة مع هذا الطريق عند قرية بغداد ستلقاهم الشاحنات رباعية الدفع ليبدأوا طريقهم بين الدروب حتى الحدود، وسيُكمل السائق طريقه نحو العريش لأن كمين بغداد الواقع عند تقاطع طريق العويجة مع طريق الحسنة به ضابط جديد يُدعى "علي" لا يبقي ولا يذر، وأن هذه الطريقة ستوفر عليهم آلاف الجنيهات، وحينها سأله مرافقه عني، فأخبره أن طريق الدروب سيمر بجوار ضواحي الحسنة قبل أن يتجهوا نحو بئر "بدا"، ومن ثمّ سيلقونني هناك فأتبع الأضواء سيرًا للمسافة الباقية، فلم أبتئس لحالي حين أنهيا حوارهما، فبكل الأحوال لن يحدث أسوء من رصاصةٍ تسكن صدري أو عودة نحو عماد مرة أخرى ومن ثمّ هروب جديد ومحاولة جديدة، وما هي إلا دقائق وانفتح باب الجراج لنجد أمامنا شاحنة بيضاء من التي تُدعى باللغة التجارية الجامبو، ولها صندوق على شكل مكعب كبير وبمؤخرته بعض المراوح على جانبي باب خلفي ضيق، فكانت من تلك الشاحنات التي تنقل الصيصان، ومن ثم فتح أحدهم باب الصندوق الخلفي، وصعد اثنان منهم وبدآ في إزاحة صفوف أقفاص الصيصان

المرتفعة والتي تكاد تلامس سقف الصندوق الداخلي، فقد كانت تشغل نصفه الأمامي، ومن ثم بدأوا في تفتيشنا واحدًا تلو الآخر ليتأكدوا من عدم امتلاك أي منا لسلاحٍ أو مخدرات؛ وذلك لتخطي الاختبار الأصعب في الكمائن، وهي الكلاب المدرَّبة على اشتمام كليهما، ومن ثمَّ أدخلونا لمقدمة الصندوق بعد أن سلمت أبو مصعب نقودي، فكان أول لقاءٍ بيننا ولا أدري هل هذا من خاطبني أم غيره؟ وبعد أن استقررنا واقفين جميعًا بمقدمة الصندوق وتتلاحم أجسادنا، بدأوا في رص صفوف الأقفاص من جديد بالنصف الخلفي منه فوارتنا بعد أن شددوا علينا بعدم إصدار أي صوتٍ عند وقوفنا بالكمائن، فكنتُ أظن أننا سنموت مختنقين من هذا التلاحم، لكن ما إن تحركت السيارة حتى أدركتُ أن بمقدمة ذلك الصندوق فتحات من أجل تهوية الصيصان وضبط درجة حرارتها بواسطة المراوح الخلفية، فيا لها من طريقةٍ آدمية حينما يتعلق الأمر بالصيصان، وفي الطريق أدركتُ أن حداثة تلك الطريقة وأنها لأولِ مرة يستخدمونها منحاها نجاعة عالية، فكل الكمائن التي كانت تلاقينا اقتصرت على فتح الباب الخلفي، ومن ثم يلقي أحد الجنود نظرة على صفوف الأقفاص التي تغطينا، في حين تدور الكلاب دورة حول الشاحنة ومن ثمَّ نعاود الانطلاق، حتى أنزلونا على جانب الطريق في منطقةٍ حالكة الظلمة، حيث بدأنا في المسير لنجد شخصين يبدو من هيئتهما أنهما من البدو، فتبعناهما سيرًا لنقطع مسافة تقترب من الكيلو مترين إلى أن قابلتنا ثلاث سيارات نقل رباعية الدفع تلاحمت فيها أجسادنا مرة أخرى، ومن ثمَّ عاودنا الانطلاق لينزلوني في صحراءٍ حالكة السواد، ويظهر في الأفق من بعيد أنوار الحسنة، فكنتُ أبتغي أن أسلّم على "زولارا" أو "سيموفي" قبل أن أنزل، ولكنني كنتُ في عجلةٍ من أمري أو أن مهربينا هم الذين في عجلةٍ من أمرهم، فبدأتُ سيري مستبشرًا باقترابي من بلوغ أول محطات ذلك الدرب الجديد لا أقصد سوى تلك الأضواء البعيدة، ولا أدري ما الذي دفعني لأدندن أثناء سيري:

-عيون القلب.. سهرانه.. ما بتنامشي.. لا انا صاحية.. ولا نايمة.. ما بقدرش.. يبات الليل.. يبات سهران على رمشي.. وانا رمشي ما داق النوم،

وهو عيونه تشبع نوم، روح يا نوم من عين حبيبي، روح يا نوم.

-صوتك وحش على فكرة.

تلك كانت الجملة التي انتفض لها جسدي حين توقفتُ مع التفاتي نحو يميني لأجد أحد شباب البدو شديد بياض الوجه أسفل غطاء رأسه الأبيض، وبعينيه تلك اللمعة التي تظهر كبقعتين ضوء وسط الظلام الذي لا يشقه سوى ضوء القمر، فانعقد لساني للحظاتٍ لم أحاول فيها التركيز لأرى هيئته الحقيقية، فكنتُ أفضل تلك الهيئة الماثلة أمامي، ومن ثمَّ عاجلته بحلقٍ جاف:

-عايز مني إيه؟

فابتسم قائلًا:

-إنت اللي ماشي بتغني في أرضي ليه؟

فشعرتُ بشيءٍ من الطمأنينة إثر ابتسامته:

-كنت بسلي نفسي لغاية ما أوصل الحسنة.

-وقاصد مين هناك؟

-منصور الشميسي.

-لكن منصور مش في الحسنة، منصور في بلد صغيرة من أجوارها دلوقتي.

-آديني هروح هناك واتصل.

-وانت تاجر سلاح زيه؟

-لأ أنا قاصده في خدمة.

-طب خلي بالك عشان هو ناوي لك السوء.

-وانت مين عرفك؟

كان وقتها قد اختفى كما ظهر بعد أن ترك لي تلك الصدمة الجديدة، فصرتُ أتساءل أثناء وقوفي، لمَ قد ينتوي منصور لي السوء؟ أفلا يستقيم حالي أبدًا بلا قلاقل تُنغص صدري وحياتي؟ فانقلب حالي حينها لدرجة أنني فكرت في الرجوع أو أن أصل الحسنة وأحاول بلوغ الدواعش دون أن أعرج عليه، ولكنني حينها أدركت بأن الأمر سواء، فكل الطرق بها من السوء ما يكفي، يستوي في ذلك الرجوع أو محاولة بلوغ الدواعش وحيدًا أو عبر منصور، فقررتُ أن أهمل كلماته فلا ألقي لها بالًا حتى لا أعكر صفو وصولي، ومن ثمّ عاودت مسيرتي محاولًا استنهاض عزيمتي مرة أخرى أو بالأحرى استنهاض قناعتي بأن ليس هناك ما أخشاه أكثر مما أنا عليه، وما هي إلا ساعة وبلغت الحسنة، واتصلت بذلك الرقم، فمرت بضع دقائق وجاءني أحدهم يقود سيارةٍ متهالكة، فكان يبدو أنه بأواخر الثلاثينات من عمره، والذي أقلني لننطلق تاركين الحسنة سالكين في ذلك طريقًا ممهدًا أتبعه دربًا ترابيًا إلى أن بلغنا تجمعًا سكانيًا لا يرقى لوصف القرية بعد ما يربو على النصف ساعة، فكنا تجاوزنا منتصف الليل بساعةٍ أو يزيد لنتوقف بفناء منزلٍ قديم من طابقين يحيطه سور صغير، فدلفنا إلى طابقه الأرضي لأجد صالة واسعة بها مجموعة من الرجال بملابس بدوية، فمنهم أربعة يلعبون ورق الكوتشينة على منضدةٍ تتوسط تلك الصالة، وبآخرها على يسار ذلك السلم الداخلي يوجد ثلاث كنبات يشكلون حرف يو باللغة الإنجليزية ويشغلهم أربعة آخرين ما بين مستلقٍ وجالس، فسلّم مرافقي على أحد اللاعبين على قفاه ممازحًا حين ابتسموا مسلمين عليه:

-من إمتى وانت بتعرف تلعب كونكان يا سالم؟

فابتسم سالم وأجابه:

-أهو بنتعلم يا كبير.

وحينها أشار إليّ مرافقي نحو الكنبات مردفًا:

-اقعد هناك على ما اطلع للبيه.

فاتجهتُ نحو الكنبات مترددًا، فلا يوجد موضع قدمٍ لأضع فيه مقعدتي

بينهم، ولكن ما إن اقتربت حتى اعتدل أحدهم في جلستهِ فجلست إلى جواره، والذي ضربني براحته على ركبتي قائلًا:

-منور يا أخ.

ثم انفجر ضاحكًا لينفجر مرافقوه في نوبة ضحكٍ طويلة أدركت سببها من تلك الرائحة النفاذة التي تخللت أنفي، والتي كادت أن تمنحني الانتشاء من مجرد مجالستهم، ولكنني كنتُ مركزًا كل حواسي على ذلك الحديث الذي سيجريه مرافقي مع منصور، وما هي إلا لحظات وتبادر إليّ صوته وهو يخاطبه قائلًا:

-الواد اللي جاي من ناحية وفاء هانم وصل يا منصور بيه.

-وهو فين؟

-مرمي تحت وسط الرجالة وشكله بلاطه، دا زمانه انسطل من دخان الحشيش في وسطهم، مش عارف الهانم كانت خايفة من عيل زي دا ليه؟

-شكله وراه سر يا اسماعيل، خاصة إن المرة دي حذرتني من اللعنة اللي بتقول إنه شايلها، فسألتها تاني عن موضوع اللعنة دي، لكن مرة واعرة، ما خالفتش كلمة واحدة عن اللي قاله جوزها قبل ما يموت، مش عايزه تبدأ شغلها بضرب مفك في سمعتهم وصدقهم، ومش عايزة تكدّب جوزها بعد ما مات.

-طب وواحدة زي دي ما كانتش عارفة تخلّص عليه هناك في إسكندرية؟

-غشيم، وهتفضل طول عمرك غشيم، أكيد فيه علاقة بينها وبين الواد دا أو مثلًا حد عارف إنه ليه غرض عندها، ولو خلّصت عليه ممكن يطولها كلام وتحقيق، والعيار اللي ما يصيبش يدوش، خاصة إنهم محافظين على سمعتهم بالأوي ومالهمش في الدم كمان، وبعدين هي كانت شاكة إنه ممكن يوصل هنا أصلًا، وأكدت عليا لو وصل أخلي الرجالة تخلّص عليه ويتاووه في الصحرا زي العيال المهاجرة، ولما يموت هنا هيبقى بعيد كل البعد عنها، بس أنا حبيت أشوفه وأحاول أعرف منه الحكاية قبل أي

شيء.

-أجيبه دلوقتي يا منصور بيه؟

-لا يا اسماعيل، أنا مش جايبك من الحسنة عشان تجيب الواد دا في إيدك وانت جاي، أنا جايبك عشان نتكلم في المهم اللي ما ينفعش نحكيه في التليفون.

-خدامك يا كبيرنا.

-الأمير خرة بتاع العيال الصيع اللي في جبل الحلال لسه واصلني منه رسالة من شوية لما عرف إني وصلت هنا، وقال لي لو شحنة الكلاشينكوف ما وصلتوش خلال أسبوع هيعتبر أي اتفاق بينا لاغي، وعلى قد ما هو مش نازل لي من حلق، إلا إنه عنده حق يا اسماعيل، البضاعة حمضت في الحسنة يا جدع.

-ما هو يا منصور بيه الكمين بتاع الجيش اللي بقى ثابت في نص طريق الحسنة بغداد هو اللي قطع طريقنا.

-يعني غرب الجبل ممدود عشرين كيلو بطول طريق الحسنة بغداد ومش عارف تلاقي مدخل تاني يا اسماعيل؟! جرى إيه يا اسماعيل!!

-ما انت عارف يا ريس إن احنا كنا بنفادي كمين الشرطة بتاع الحسنة اللي على أول السكة بإننا بنطلع من قلب الحسنة نفسها ع الصحرا غربي الطريق، ونيجي بعد كدا بندخل من واحد من التلات مدقات اللي بيرجعونا تاني لسكة الحسنة بغداد، ونمسك الطريق لغاية ما نوصل عند الحتة اللي رملها ينفع تمشي فيه العربيات شرقي الطريق، ودا مدخلنا للجبل قبل ما نوصل كمين الشرطة بتاع بغداد، دلوقتي بقوا كمينين شرطة في وسطهم كمين جيش ما بين كل كمين وأخوه عشرة كيلو.

-طب وما بتكملش في الصحرا وتفادي كمين الجيش هو كمان ليه؟ وبعدها تعدي الطريق من غربيه لشرقيه قصاد الحتة اللي انت عايزها.

-يا ريس المدقات اللي بنطلع منها للطريق كلها يمت جاي في العشرة كيلو الأوائل من الطريق، وقصادها منطقة غرز قبل سفح الجبل ما ينفعش ندخل منها، وبعدهم تلاقي كمين الجيش، والعشرة كيلو اللي بعد كمين الجيش فيهم الحتتين ولا التلاتة اللي بنعرف ندخل منهم للجبل شرقي الطريق، لكن قصادهم غربي الطريق ما فيش مدقات يتمشى فيها، يعني من الآخر عشان ندخل الجبل لازم نعدي على كمين الجيش، وبعدين معاليك غايب بقالك فترة وكنت مستنيك بردو آخد مشورتك، الدنيا الأول كانت سالكة يا ريس، إنما دلوقتي زي ما تكون مقفولة ضبة ومفتاح.

-طب وكمين الجيش دا ما يتعداش بأي طريقة؟

-ولا الهوا يا ريس.

-طب والمنطقة الغارزة اللي يمت جاي اللي قصاد المدقات ما مشّيتوش فيها جِمال تجسها، ما احنا زمان كنا فاكرين إن غرب الجبل كله غارز لغاية ما لقينا المدخلين اللي انت مقفلهم علينا دول.

-ودي حاجه تفوتني يا ريس، كل رجالتنا قالوا إنها غارزة.

-أنا بسأل سؤال، مشّيتوا فيها جمال ولا غنم ولا ممشيتوش؟

-مشّينا يا ريس وكلها غارزة.

-امممم، طب سيبني أنا أفكر في الحكاية دي.

حينها صمت قليلًا، ثم استأنف:

-والشحنة اللي جاية من ليبيا وصلت لإيد ولاد علي خلاص؟

حينها أفلت تركيزي من عندهم، فكان أولى بي أن أفكر في نفسي، فتلك السيدة التي ظلت تُردد على مسمعيَ أنها مشفقة على حالي اتضح لي أنها كانت تتلاعب بعقلي، ولكن يبدو جليًا أن موضوع الدرع حقيقيًا، فلمَ أخبرتني بكل تلك الحقائق طالما تنتوي أن تغدر بسذاجتي؟ فيبدو أن ذلك الذئب حلل تفكير وفاء أثناء حديثه مع إسماعيل بدقةٍ فيما يخص إرسالي

بعيدًا عنها، فنور تعرف بأنني ذاهب نحو تلك السيدة، وكذلك دكتور عماد وتحقيقات النيابة، فأنا وضعتها في خندقي وأرادت أن تبعدني عنها بأقصى قدرٍ تستطيعه، وبذات الوقت خشيت ألا تخبرني حقيقة مقنعة فأكون كابوسًا عليها، ولا أدري هل كان من حسن حظي أم من سوءه أن تتوافق الحقيقة المُقنِعة مع فكرة إبعادي، توافقوا هنا بسيناء، وبحساب أشد الخسائر التي من الممكن أن تلحق بها إن ابلغت منصور عن كل أسرار اللعنة قبل أن يقتلني والتي لا أعلم حتى الآن لمَ تمعن في إخفائها عنه؟ فلن توازي المكاسب التي ستحققها من التخلص مني بعيدًا جدًا حتى تنتهي من كابوسٍ قد ينغص حياتها، وبذات الوقت تنهي على إمكانيتي في إظهار حقيقة القلادة التي قد يُزج في ذلك باسمها واسم زوجها الراحل كمتاجرين بالآثار وقتلة، ولهذا أرادت أن تطمئن لجانبي حينما خرجت من النيابة، وحتى لا أستعديها وأحاول الوصول إليها قاصدًا السوء بعد نظراتي المهددة أو أحاول أن أفضح أمرها هي وزوجها كنوعٍ من التهديد، ظهرت في ثوب الحمل الوديع الذي ينتوي لي الخير بينما تضمر لي أشد السوء، ويبدو أيضًا أنها مطمئنة أشد الطمأنينة من ناحية تنفيذ منصور لطلبها بخصوص قتلي إن لم توقفني السلطات أو ترديني بطريقي، ومطمئنة أيضًا أنه وإن ابتغى سؤالي عن تلك اللعنة قبل أن يرديني أنني لن أبوح بسرها، لأنه ما إن يسمع بتلك القدرات حتى سيطلق رصاصة نحو منتصف جبهتي كي يصنع قلادة جديدة تحمل الدلاية ومن ثم يرتديها، فما المانع أن يقتل شخصٌ مثل هذا بكل شهرٍ قتيلًا؟ ومن ثم يعيش منصور لثمانية وتسعين شهرًا كرادارٍ بشري، ولن يصدق أبدًا أنه ما إن تنتهي لعنته فسيُعمى ويصم أو يكون الضحية صفر، فتكون بذلك حققت كل المكاسب المرجوة بلا خسارة واحدة، وبكل الأحوال يبدو أن بلوغي أولئك الدواعش دربًا من الخيال، وكانت تعلم بذلك، وتعلم أن آخر محطة لي هي منصور بعيدًا كل البعد عنها، ولكن ماذا سأخبره ليستبقيني ومن ثمَّ أحاول أن أواصل ذلك الطريق المستحيل؟ هل ألعب لعبة القدرات مرة أخرى؟ فقد تنفعهم قدراتي في دروبهم، مع إخباره بأن تلك اللعنة لا تنحل إلا بوجود الدرع، ولا يحلها موت صاحبها لكيلا يطمع فيها، ويقدم على

قتلي، أم أخبره بموضوع العمى والصمم وأقسم على ذلك وأنه لولا هذا السبب ما كنت جئت راغبًا في حلها؟ فعلى الأقل أتحرز من فتنة تلك السيدة إن علمت أنه استبقاني، فحينها قد تعري الحقيقة، فتخبره بسر اللعنة إمعانًا منها في إنهاء أمري، أم سيكون اعترافي بحقيقتها مجازفة خطيرة؟ فهناك ألف خيط متشابك، فماذا أصنع؟ وحينها تذكرت تلك القطعة المعدنية بجيبي، فوضعتها خلسة أسفل قدمي بداخل حذائي علهم لا يرونها إن قرروا تفتيشي، ومن ثمَّ انتظرت قدوم إسماعيل، وقد قررتُ الارتجال حسب ظروف محادثتنا، وألا ألقي كل أوراقي دفعة واحدة فأستبقي أوراقًا أخفيها، ومن ثم أظهرها واحدة تلو الأخرى، وبالنهاية توجد تلك الورقة الأخيرة وهي أن أفترس بقدر ما أستطيع منهم ثم أهرب، ومن بعدها أحاول أن أجد طريقي نحو الدواعش وحدي حتى وإن كان الأمر يبدو مستحيلًا، وبذات الوقت يبدو هينًا إن جعلني منصور تحت وصايته، حتى قطع إسماعيل زحام أفكاري ليصطحبني لتلك المقابلة التي ستحدد مصيري، ومن ثم دلفت إلى غرفة منصور والتي لا يتناسب مظهرها مع ذلك المنزل القديم، فهناك كنبات جلدية على جانبيها، ومكتبٌ ضخمٌ يجلس من خلفه، فلم أبدِ انبهارًا من مجلسه ولا خشية من نظراته الحادة، فقد كان شابًا متناسق البنية، حسن الهيئة، يرتدي جلبابًا وغطاءً للرأس رصاصيين اللون، فعاجلني أثناء وقوفي أمام مكتبه يفصلني عنه عدة خطواتٍ:

-إنت حكايتك إيه يا واد؟

فأمعنت في رسم الجمود على ملامحي والذي صار مع كل ما كابدته وكل قناعاتي أمرًا هينًا:

-أنا ما كنتش شغال مع ياسين، ولا عرفته إلا وهو جثة.

فخفف حينها من حدة نظراته وأدار وجهه نحو إسماعيل قائلًا:

-تصدق شكلي هحب الواد ده.

ثم أدار نظره ناحيتي مرة أخرى وأردف:

-كمل يا... قلت لي اسمك إيه؟

-خدامك إيهاب.

-طب كمل يا إيهاب.

-أنا كنت شغال مسعف في نقطة إسعاف منطقة الكسارة على الدولي الساحلي ما بين محافظة كفر الشيخ والدقهلية.

حينها ارتفع حاجباه وأشار براحة يده نحوي بما يعني التوقف عن الحديث:

-بس بس ما تكملش، دلوقتي افتكرت أنا شفتك فين، مش انت يا واد المسعف اللي قتل أربعة وهرب من مستشفى المجانين؟

فأظهرت اندهاشي لوهلةٍ حين أشار إلي بالجلوس على أحد الكرسيين المستندين لمقدمة مكتبه، فجلست مقابلًا لإسماعيل، وحينها عاجلني منصور:

-ما تستغربش أوي كده، معدش حد في بلدك بيتابع نشرات الداخلية غيرنا، لكن احكي لي حكايتك بقى من أولها.

-زي ما قلت لك يا سعادة البيه، أنا كنت شغال مسعف في المنطقة دي، وكنت بقلب عيشي في تهريب المخدرات في عربية الإسعاف بتاعتنا لما زميلي ينزل إجازة.

لتحميل المزيد من الكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات

فلم ألمح أي تغيرٍ في ملامحه حين سمع كذبتي فاستطردت:

-المراكب كانت بتيجي هناك قصادنا في البحر المتوسط، ويا إما ترمي المخدرات، والعيال بتوع زريعة السمك يطلعوها لعندنا أو كانت مراكب

صغيرة بتدخل تقابلها ويطلعوا الحاجة للشط والعيال بتاعت الزريعة بردو تجيبها عندنا، فكنت بعمل سبوبة كويسة، خاصة إني زي ما انت شايف وشي أبرد من لوح التلج، وبدخل على أي كمين ما بتأثرش، لأ وبعرف أتكلم وأرد، حتى لما فكرت آجي هنا، أول سكة فكرت فيها هي سكة تهريب المهاجرين، وكنا متهربين في عربية كتاكيت ورا الأقفاص كانت رايحة العريش لمزرعة هناك، كنت تبع واحد اسمه أبو مصعب، ونزلنا قبل كمين بغداد عشان فيه هناك ظابط رخم أوي اسمه "علي" بيفتش الهوا نفسه.

فكانت تلك أول مرة ألمح انتباهًا بعينيه حين سأل إسماعيل:

-صحيح الكلام دا يا إسماعيل؟

فأشار برأسِهِ موافقًا:

-فعلًا يا ريس، وبيمسك وردية الليل.

فاستأنفث حديثي:

-لكن عمري ما مديت إيدي على حاجة حد مسافر عمل حادثة إلا مرة واحدة بتاعت ياسين بيه.

كنث أدرك أن مثل هذا الشخص يعتبر التهريب والإتجار بالسلاح أو المخدرات تجارة ولها أخلاقها وأصولها، فكلهم على نفس الشاكلة، وفاء ومنصور ومن مثلهم، أما أن أسرق فتلك هي الخسة بعينها، فلم أتمادَ بالكذب وأقول أنني ما كنتُ أترك مسافرًا إلا وأسرقه، وحينها قاطعني مبتسمًا لأول مرة:

-وزمان عربيته كانت شبعانة آثار ودا اللي زغلل عينيك؟

فكنت أعرف ماذا يبتغي من سؤاله، فأنا لا أملك الآن سوى ملابسي شريدًا طريدًا، فهو يسأل عن تلك الآثار حتى أحكي عما يسمونها التميمة، فلم أراوغ بل طاوعته:

-والله أبدًا يا ريس، دي هي سلسلة كانت في صدره ودي اللي عليها اللعنة.

فعاجلني حين حدّق في عينيّ مرةً أخرى وكأنه يستبين ما ورائهما:

-واللعنة دي إيه بقى؟

فكنتُ محافظًا على رباط جأشي متحرزًا من ذلك الذئب الشاب، فأردفتُ بنفس الجمود الذي يكسو ملامحي:

-اللعنة إنك لازم تقدم قربان كل شهر عشان تعيش، ولو عدى الشهر من غير ما تقدم قربان تبدأ عينيك تزعلل ونظرك وسمعك يضعفوا لغاية ما يروحوا.

حينها نظر منصور نحو إسماعيل وقد تهللت أساريره:

-فاكر لما طلب واد إفريقي من المهاجرين عشان يشغّله في جنينة القصر وانت وصلتهوله لحد هناك، وبعدها كان طالب إني أجهز له واحد تاني قبل مشواره للدواعش لكن مالحقش، وانت كنت فاكرهم ملايكة هو ومراته؟!

حينها أدركت لِم تمعن تلك السيدة في مواراة الأمر عن منصور، فلا تريده أن يمسك عليها جرمًا مثل هذا، ولا تريد أن تتلطخ صورتهم عنده أو عند غيره، فمن الواضح أنهم يمعنون في الظهور بمظهر ذوي الأيادي النظيفة، ويبدو أنها لم تتخيل تلك الفرضية، أن أعترف بالقتل دون القدرات، والتي دفعني إليها رغبتي في أن أرمي أوراقي بحذر، ورقة تلو الأخرى، ويبدو لحسن حظي أن منصور اقتنع بتلك الورقة التي ألقيتها، وأشبعت فضوله خاصة مع توافقها مع الأحداث التي ارتبط بها، فلأنتظر وأرى فقد أكون قد وُفّقت في إقناع ذلك الذئب بفائدتي.

فحينها سألني:

-طب وقتلت الأربعة عشان كده؟

-والله يا ريس أبدًا، دا كان تصفية حسابات.

-مش مهم، المهم إن واضح إنك قلبك ميت، والدليل إنك قتلت أربعة بإيدك وعرفت تيجي بطولك لغاية هنا، لأ وكمان دماغك شغالة، مش عشان كل اللي بتحكيه عن ماضيك، عشان عرفت تعمل فيها مجنون وتفلت برقبتك لغاية ما هربت، ياما رجالة بشنبات حاولوا يسبكوها وما عرفوش لإن الموضوع محتاج ذكاء أكبر من دماغهم، عامة إنت هترجع الحسنة مع اسماعيل، وما دام عندك أفكار كدا ودماغك شغالة فممكن نستفيد منك وبعد كدا نوصلك للسكة اللي انت عايز تروحها.

-وانا خدام تراب رجليك يا ريس.

-انزل انت اقعد مع الرجالة واسماعيل هيحصلك.

فنزلت في حينها وأنا أسترق السمع إلى ذلك الحديث الذي سيجريه مع إسماعيل، فما إن بدأت نزولي على درجات السلم حتى سمعت صوت إسماعيل وهو يقول:

-أنا هخده صحيح ولا هخلص عليه؟

-الواد واضح إنه ذكي أوي ودماغه شغالة، وكان شغال في الإسعاف وداير على الطرق والكماين والدنيا، سيبك من حكاية إنه هرّب مخدرات دي، دا كان بيكدب عشان يعمل لنفسه ميزة وسطنا، ودا ذكاء منه بردو، وما يمنعش إنه شكله سمع عن حكاوي تهريب من مسعفين قُدام، لأنه حكاية العيال اللي بيصطادوا زريعة في البحر دي حقيقية، وحملات التهريب اللي بتتمسك غالبًا بيبقى فيها إصابات، والإسعاف بيحضر وبيعرفوا الأخبار، غير إنه فعلًا وشه بارد وما يتقراش بالساهل أبدًا، بس أنا منصور الشميسي.

-ونعم الناس يا ريس.

-القصد إنك هتشرح له القصة كاملة، ويمكن يكون في دماغه حاجة غير اللي في دماغنا، أهي حكاية عربية الكتاكيت دي جديدة لانج بس للأسف ما فيش مزارع في الحسنة، فلو جاب فكرة كويسة هننفذها، وبعد كدا

نخلص عليه، مش هنسيب حد ياخد سرنا ويهرب بيه، ولا هنزعل وفاء، دول بيبيضوا لنا دهب، ولو ما جابش أهو كدا كدا مصيره معروف، فمش خسرانين حاجة طالما تحت إيدنا، أما وفاء فأنا هبلغها من دلوقتي إني خلصت المهمة خلاص، عشان قلبها يرتاح، والكارت اللي مسكته عليها هسيبه لوقت عوزه.

-كلامك كله حِكم يا ريس، بس ما تظنش إن الواد دا تبع الحكومة؟

فضحك حينها منصورقائلًا:

-عيب أما تقول كلمة زي دي لمنصور الشميسي، دا انا أعرف المرشد من على بعد كيلو.

حينها أدركت أنني لم أحصل سوى على مزيدٍ من الوقت، ولم تفلت رقبتي من بين براثنهم بعد، ويبدو أن اطمئنان وفاء لقتلي هنا كان بمحله، ولكنني كنت مطمئنًا لتلك المهلة الإضافية، خاصة وأنه سيخبر وفاء بإنهاء أمري، فلن تبادر إلى كشف سري إمعانًا منها في التخلص مني، ولا تدري لعل الله يُحدث بعد ذلك أمرًا.

*****

الفصل الثاني عشر

وما هي إلا دقائق ونزل إسماعيل الذي اصطحبني نحو الحسنة لتتوقف سيارته المتهالكة أمام منزلٍ من ثلاثة طوابق بضاحيتها الشمالية، فكان المكان هادئًا وكأننا بين القبور، خاصة وأنه لم يعد يفصلنا عن الفجر سوى ساعة، ومن ثمّ ولجنا لشقةٍ بالطابق الأرضي، فكان يبدو أن إسماعيل يعيش حياة طبيعية بالحسنة، بذلك المنزل المتواضع الذي لا يختلف عن منزلي بالسيدة زينب كثيرًا، فكم أشتاق إليه وإلى حضرة المئذنة القريبة، فما تظن فيه نعمتك قد تجد فيه أشد الشقاء، كم كنت غبيًا حين تبطرت على نعمةٍ كنت فيها، والآن أتوق لها ولأرغفة السمين التي أتذكرها الآن إثر الجوع الذي ينهش أحشائي، فسألت إسماعيل عم يؤكل، فأوعز إلي بأن

أنظر في المبرد علني أجد ما أسد به رمقي، فلم أجد سوى بضعة أرغفة يميل لونها للخضار قليلًا إثر عفن الخبز الذي يهم بغزوها، وحبة طماطم فاسدة، وزجاجتين مياه، فأخرجتُ الرغيفين وصرت أفركهما ببعضهما علني أخفف من ذلك الفطر، ثم أشعلت إحدى أعين موقده فأدفأت الرغيفين قليلًا بينما أعاود فركهما، ويا لسعادتي حين وجدت بجوار الموقد سلة صغيرة بها بضع حبات البصل، فقطعتُ ثلاث بصلات، ووضعتهم بصحيفةٍ بها ماء وملح كي أكسر من حدته، وجلست بأرضية المطبخ آكل بصلًا وخبزًا وحبة طماطم فاسدة وقليلًا من الملح، حين كنتُ أسمع شخير إسماعيل من موقعي، وما إن انتهيت حتى أعددتُ كوبًا من الشاي، واستللتُ إحدى سجائر إسماعيل بعد أن استأذنته وأذن لي بإحدى شهقاته، ومن ثمّ مددتُ جسدي بغرفةٍ أخرى، ومن ثمّ بعثتُ رسالةً أطمئِن بها نور، وأخبرها أنني سأظل على وعدي معها طالما أتنفس، ثم قمتُ بمسح الرسالة من الهاتف بعد أن تأكدت من وصولها، وأخرجت الشريحة وحطمتها، ثم قرأت خطابها للمرةِ الأخيرة قبل أن أحرقه، حتى لا أبقي ورائي من أخشى أن ينتقموا مني فيه، ومن بعدها خلدت لنومٍ عميق ليوقظني إسماعيل باليوم التالي قائلًا:

-قوم بقينا العصر.

فقمتُ من رقدتي حين كان جسدي يئن طالبًا المزيد، ولكنني استفقتُ وتبعته نحو الخارج لأجد غذاءً طيبًا، وما إن أنهيناه حتى ناولني علبتين من السجائر، وبدأ يتحدث معي بأنه يبتغي مساعدتي بشأن إحدى طرق التهريب طالما كان لي فيه باعًا طويلًا، فتهللت أساريري وعاجلته بأن هذا هو مطلبي، أن أكون واحد منكم إلى أن أسلك دربي الذي أبغيه، فجاء بقلمٍ وورقة وبدأ يشرح لي راسمًا ذلك الطريق الذي يبتغون عبور كمينه الأوسط بينما ننفخ دخان سجائرنا، فكان أول ما طلبته هو أن أراقب ذلك الكمين عن قرب، فقد كنتُ أبتغي الإنصات لما يدور فيه أثناء عبور السيارات، وكيف يفتشونها، وكم عدد قوته، وتسليحهم وتبديل الورديات، كنت أريد جمع كل معلومةٍ يمكنني تلقفها، فعاجلني باعتراضه على ذلك

دافعًا بأن كل ما أبتغيه من معلوماتٍ عن هذا الكمين يمكنه إخباري بها، ولكنني أصررتُ على رأيي موحيًا له بأن لي طريقة في العمل، فتركني حينها وصعد للشقة التي تعلونا، فيبدو أن كل البيت مملوكًا لهم، ومن ثمَّ اتصل بمنصور يخبره بأنني أبتغي أن أراقب الكمين، وأنه من الواضح أنني شخص متملق يحاول أن يرسم لنفسه هالة من الأهمية وهو لا يفقه عن تلك الأمور شيئًا، وأنه يريد أن يُعجل بقتلي، فأجابه منصور بأنه على النقيض، يبدو أن فراسته في شأني كانت بمحلها، وأنني أدرك جيدًا ما أفعل، وأن على إسماعيل أن ينفذ مطلبي، فعاد إليّ صاغرًا ليخبرني أنه كان يُقلب الأمر في رأسه وارتأى أن يجاريني فيما طلبت، ومن ثمَّ استفسر مني عن المسافة التي أبتغي الاقتراب بقدرها، فأخبرته أننا ما دمنا سنكون مترجلين بجنح الليل فلا ضير من اقترابنا بقدر الإمكان، وأنني سأخبره حين يجب علينا التوقف، وعند الغروب خرجنا بسيارته متجهين نحو الشمال في دربٍ يوازي ذلك الطريق المقصود رصده، ولكنه يبعد عنه بمسافةٍ كبيرة، فقطعنا ما يقرب الخمسة كيلو مترات، ومن ثمَّ ترجلنا وبدأنا الاقتراب من الكمين عبر صحراءٍ رملية تتخللها مرتفعات صغيرة من الصخور حتى صارت أنوار الكمين تتراءى لأعيننا، وصرت أسمع ما يقال فيه، فقد كان يبعد عنا ما يقارب النصف كيلو، فرقدنا متوارين خلف إحدى الصخور وبدأتُ أراقب الكمين طوال الليل، والذي كان كمينًا ثابتًا يتكون من بناية تحوي غرفتين أو أكثر على جانب الطريق يحيطها سواتر من كل الاتجاهات، ويقف خلفها جنود مسلحين، إضافة للحواجز الصناعية، وقوة الكمين الكبيرة التي تتشدد في تفتيش كافة السيارات المارة تفتيشًا صارمًا مصطحبة كلبين شرسين، ولا يُستثنى من ذلك سيارات الإسعاف ولا غيرها، فكنتُ أعصر ذهني لأجد أية طريقة يمكن من خلالها تجاوز ذلك الكمين، ولكن لا يتفتق ذلك العصر عن شيءٍ حتى ظننت بأنه قد آن وقت نفاذ ذرائعي حين حلت الساعة الثالثة والربع تقريبًا، ووجدتُ إسماعيل يخبرني بأن علينا الرجوع، فاستمهلته لنصف ساعة أخرى منتويًا ألا أعود معه إن لم أجد ما يمكنني أن أبني عليه أية خطة للعبور، فحينها سأصيبه برأسهِ ومن ثمَّ أبتعد عن الكمين وأعبر ذلك

الطريق متجهًا نحو جبل الحلال وأنا وحظي حينها، إلى أن بلغنا الثالثة والنصف حين كان إسماعيل يزوم من غيظه، فمرت إحدى سيارات الشرطة الزرقاء ذات الصندوق الخلفي الصغير قادمة من الحسنة باتجاه قرية بغداد، وكانت تلك هي السيارة الوحيدة التي لم يتم تفتيشها، فكان يقودها جنديًا واحدًا ولا يرافقه أحدٌ فيها، وما هي إلا ربع ساعة بعدها وبدأ إسماعيل يتأفف مرة أخرى، فرجوته بصعوبةٍ من أجل ربع ساعةٍ إضافية، وقبل أن نقوم بلحظاتٍ عند الرابعة تقريبًا عادت نفس السيارة، ولكن كان برفقة الجندي ضابط، وما إن دققت في ملامحه حتى وجدته الضابط «علي» الذي اصطحبني من البناية المهجورة يوم أن قتلت صلاح ورفاقه، فأدركت أن هذا هو «علي» ضابط كمين بغداد الذين يتحاكون عنه، حينها كنتُ بدأت أضع الخطوط العريضة لخطتي، وأخبرت إسماعيل في طريق عودتنا أنني أحتاج لمراقبة الكمين لليلتين إضافيتين فبرأسي تدبير يوشك على الاكتمال، فأحسستُ بامتعاض وجهه وتبدل ملامحه، ولكن ما إن بلغنا منزلنا حتى اتصل بمنصور والذي ارتأى أنه ما دمتُ شرعت في تدبير طريقةٍ للمرور فليمهلني لتلك الليلتين، فبالليلة التالية تكرر أمر السيارة بنفس الميعاد، ونفسه بالليلة الثالثة، وما أن رجعنا بتلك الليلة إلى منزلنا وقبل اتجاهنا لغرف النوم جلسنا على تلك الأريكة بصالة المنزل، فكان يبدو على إسماعيل فياض الكيل حين سألني:

-ها.. عملت خطتك عشان أبلغ منصور بيه ولا لأ؟

فعاجلته بسؤالٍ:

-هو قوة كمين بغداد تابعة لمين؟

فأجابني متأففًا:

-بغداد دي قرية تابعة لمركز الحسنة هنا، وقوة الكمين بتاعها كلها تبع مركز الشرطة اللي هنا.

-هو فيه ظابط بالنهار وظابط بالليل؟

-أيوه يا سيدي.

-أومال بتاع الليل هو اللي بيرجع الحسنة ليه كل ليلة قرب الفجر والتاني ما بيبقاش رايح مع العربية اللي رايحه تجيب بتاع الليل؟

-عشان يا أبو العريف الظابط بتاع وردية النهار من إسماعيلية وبيروح يبات في حضن مراته كل ليلة، لأن مامي شارياله عربية والسكة من بغداد لإسماعيلية كلها ساعة، أما «علي» من أكتوبر وما بيروَّحش إلا كل فين وفين.

حينها أدركت أن تلك السيارة تخرج كل ليلةٍ في حدود الثالثة والربع من قسم شرطة الحسنة، فتعبر كمين الجيش عند الثالثة والنصف تقريبًا، وتصل كمين بغداد في الرابعة إلا ربع، ومن ثمَّ تصطحب "علي" حين يعود ضابط المناوبة الصباحية فأضفت:

-أومال بيخلِفوا الورديات إمتى يا اسماعيل وبتاع الليل يبقى بالنهار؟

فرد بمزيدٍ من السماجة:

-ما بيخلفوهاش، عشان "علي" دا غاوي يقرفنا زي حالاتك وبيحب شغل الليل فبيروح كل يوم الساعة تلاته ونص العصر، ونتوس عين أمه التاني يروَّح لمراته، ولما يجي النتوس الساعة أربعة الفجر "علي" بيرجع للحسنة.

حينها داعبتُ جانب رأسي بأناملي سائلًا:

-هي عربيات الشرطة دي نوعها إيه يا إسماعيل؟

-ليه يا جهبز؟

-أهو سؤال.

-عربيات نص نقل نيسان وكلها من موديل أربعة وتسعين لموديل ألفين وخمسة، وبتدهن أزرق ويتعملها البوكس اللي ورا ده.

-طب تاخد قد إيه وقت وتجهز لنا عربية زي عربيات الشرطة دي

بالظبط؟

حينها انتبه وزالت معالم اللا مبالاة من رأسه:

-إنت تقصد إيه؟

وحينها بدأت أشرح خطتي التي كنت أدبر لها على مدار الثلاث ليالٍ والتي كانت تتلخص في أن نجهز سيارة مثل سيارات الشرطة ونواري بها شحنتهم تحت أرضية مستعارة لصندوقها الخلفي، ومن ثمّ أقودها أنا نحو الكمين في الثالثة والثلث، فكل الجنود يأخذون إجازات وتتغير مناوباتهم حتى ذلك الجندي، فمن المؤكد أنه يتغير ببعض الليالي، فما أن أحلق ذقني وشعري ويمنحوني بطاقة تعريفية مزيفة وملبس الجنود فسأبدو مثلهم، ومع تماسكي ورباطة جأشي سينطلي على كمين الجيش أمري، فأعبر الكمين وأستغرق العشر دقائق حتى أنزل من على الطريق وأختفي عند سفح الجبل حين تكون السيارة الحقيقية قد وصلت، وإمعانًا في التأكيد فبالليلة السابقة على ليلة التنفيذ أو قبلها بليلتين سنحتاج لأن نعطّل تلك السيارة التي تذهب يوميًا لإحضار الضابط "علي"، بأن يتسلل أحدهم فيعطل تلك السيارة، وبتلك الليلة سيمر الجندي بسيارةٍ مغايرة مع ثبات نفس السائق كنوع من التغيير والتهيئة؛ ليكون بالليلة التالية أو التي بعدها السائق والسيارة مختلفين.

حينها كان إسماعيل شاخصًا عينيه، وما إن انتهيت حتى عاجلني:

-إنت مجنون ولا إيه؟

-الأفكار المجنونة هي اللي بتحقق نجاحات عظيمة على فكرة.

-بس دا جنان رسمي.

-أولا قوة كمين الجيش مليون في المية ما تعرفش كل عساكر المركز هنا، ولا تعرف خمسة في المية منهم حتى، ودا كان واضح جدًا من كلامهم مع العسكري.

فرد وقد لاح الاستغراب على وجهه:

-وانت عرفت كلامهم مع العسكري منين؟

فاستدركث دون أن أظهر أية لجلجة:

-ما اقصدش كلام كلام، أقصد إن عربية الشرطة ما كانتش بتكمل ثواني في الكمين وتطلع.

-آآآه.

-وبعدين وارد جدًا إن العسكري يتغير، ووارد كمان العربية تتغير، كلها أمور روتينية، واحنا لازم نسبق بخطوة تغيير العربية دي قبلها بليلة أو ليلتين، المهم إنتم ليكم رجالة في المركز، عيل مجند ولا عسكري ولا أمين شرطة يقدر يعطل العربية دي؟

-مالكش انت دعوة، إنت تقول الخطة وبس.

-ماشي، ضيف على كدا كمان إن الاتنين العساكر بتوع التفتيش اللي في الكمين كانوا في أول ليلة غير الاتنين اللي قاموا بالليلة التانية والتالتة من مراقبتنا، وفي التلات ليالي كانوا بيعدُوا عربية الشرطة على طول.

-امممم.

-قلّبها بقى في دماغك ورد عليا، وأنا على أتم الاستعداد إني أعدي بيها، وبعدين يا سيدي يوم ما تتغير العربية هنتابع الكمين ونشوف رد فعلهم إيه.

وحينها تركني كعادته ليتصل بمنصور ويبلغه بخطتي، والذي سكت لفترة كنت مرتعبًا فيها، ويبدو أنه يدير الأمر برأسه أكثر من مرة، ثم أردف:

-إحنا هنجرب الأول موضوع تغيير العربية قبل ليلتين من العملية، مش الأمين اللي تبعنا في المركز لسه تحت طوعك؟

-أيوه يا ريس.

-هيتسلل في الليل تحت العربية ويقطع سير الدينامو، وساعتها ممكن العربية تعطل بدل اليوم اتنين، إلا الأمين دا صحيح ما ينفعش هو اللي يطلع يجيب الظابط علي؟

-لأ يا ريس ما ينفعش؛ لإنه أولًا ما بيسوقش، ثانيًا الواد دا بيخدمنا في الخفيف خفيف، يعني يبلغنا بحملة، يعرفنا حوار، إنما لو حاجة تقيلة زي دي هيخاف أنا عارفه.

-طب خلاص ابدأ في الخطة من غير تأخير، ولو الأمين يعرف يعطل العربية دي النهاردة خليه يعطلها، وبالنسبة للعربية اللي سرقناها في ٢٠١١ لسه موجودة ولا هتحتاج تجيب واحدة وتدهنها وتظبطها؟

-لا يا ريس، العربية دي موجودة في المخزن الكبير ومحتاجة تتغسل غسلة نضيفة، وبطارية وكاوتشها يتظبط وهتدور على طول، وميزتها كمان إن ليها ستارتين جلد على باب الصندوق الوراني المتقفل، وبعدين دي شرطة أصلي مش تزييف.

-طب حلو أوي، ظبط العربية ورص الشحنة في الصندوق رصة كويسه بحيث ما تعلاش معاك، وبعدها حط الأرضية الوهمية وخلينا نشوف إيه اللي هيحصل في الكمين لما العربية تتغير؟

-من بكرة يا ريس هبدأ تنفيذ بمجرد ما اصحى.

وفي النهار التالي استيقظتُ ظهرًا على حديث إسماعيل مع ذلك الأمين عبر هاتفه بصالة المنزل، فكان يبدو أنهم يستعجلون الأمر بقدر إمكانهم، فلم أقم من سريري ليكمل حديثه الذي بكل الأحوال سأسمعه، فأخبره الأمين أنه سيحاول بمساء ليلتنا، وإن لم يستطع لذلك سبيلًا فسيكون بالليلة التي تليها.

فمرت ليلتنا لأدرك بالمساء أن الأمين لم يجد إلى فعلته سبيلًا، وأنه لن يتأخر عن الليلة التالية، والتي فيها أخبر إسماعيل بحدود منتصف الليل أنه أتم مهمته وينتظر المراضاة، ومن ثمَّ بعث إسماعيل من يراقب الكمين

والذي أخبره عند الفجر بمرور الجندي على الكمين بسيارةٍ مختلفة، وأنهم لم يقوموا بتفتيشه كعادتهم، وبعصر اليوم التالي دار حديثًا مطولًا بين منصور وإسماعيل كان يستفسر منه عن التجهيزات فأخبره أن الحداد والدهّان سينتهيان من أمر الأرضية المعدنية الزائفة بصباح الغد، وبعدها أثار إسماعيل الحديث عمن سيقود السيارة، وهل سيكون أنا أم غيري حتى يأمر بتزييف تلك البطاقة التعريفية الخاصة بالمجندين بصورة من سيقوم بالنقل، فكان منصور يميل إلى أن يكون واحدًا من رجالهم، ولكنه لا يدري من يمكنه من الرجال فعلها، لأنه يخشى هروبي عند الدواعش إن مررتُ بالشحنة فيخلف بذلك كلمته مع وفاء، وأمرر سرهم للدواعش، ولكنهما أنهيا مكالمتهما دون قول فصل حتى يفكر منصور في ذلك الأمر، فكنتُ حينها متوجسًا أكاد أعض أناملي من الغيظ، فقد حاولت بكل قوتي وتفكيري أن أضع طريقة يمرر بها أولئك الظالمين شحنتهم لمن هم أشد منهم ظلمًا، ظنًا مني أنني سأعبر لمرادي، ومن ثمّ أتخلص من تلك اللعنة، وبعدها كنت أنتوي أن أصحح خطأي بأثرٍ رجعي حين أبلغ السلطات عن كل ما عرفته فأدعم بذلك موقفي أمام العدالة بشأن قضيتي، لكنني لن أتنازل عن حقي في المرور حتى وإن مررتُ بتلك السيارة وحدي وقتلتهم جميعًا، فيكفيني أن أعرف مكان التسليم ومكان تلك الشحنة، ولكن قبل ذلك سأحاول أن أجبرهم على الرجوع للامتثال بخطتي كاملة دون تعديل، فهناك بجرابي ألعاب لم تظهر بعد، وما إن عاد إسماعيل حتى عاجلته:

-أنا محتاج أجهز نفسي يا اسماعيل.

فعقد حاجبيه مستفهمًا:

-تجهز نفسك إزاي يعني؟

فأشرتُ بيدي نحو ذقني:

-لازم أحلق دقني وأقصر سوالفي زي المجندين.

فطلى الجمود ملامحه:

-منصور بيه هو اللي هيدي الأمر، وهو اللي هيحدد مين اللي هيعدي بالعربية، وبعدين حلاقة الدقن وتطليع الكارنية دول في ساعة بيخلصوا!

ثم ابتسم بخبثٍ مستأنفًا:

-إنت ما تعرفش إن احنا عندنا ماكنة تزييف ولا إيه؟

فتمالكت حالي وتكلمت ببرودٍ يفوق بروده:

-والله أنا قلبي على الخطة، أنا شكلي غير شكل الناس اللي هنا ودا بيدعم فكرة كوني مجند، كل الرجالة اللي شفتها حَر الصحرا لافحهم وباين على ملامحهم، والنشفان باين في أياديهم وأجسامهم، أهل البدو كلهم فيهم حاجة بتميزهم، أما أنا فمختلف عنكم، وكمان عامل شبه المجندين اللي بيخدموا في المركز لأني الشمس ما شافتنيش من أكتر من أربعين يوم، والحاجات الصغيرة دي لازم تخدوا بالكم منها.

فرسم الاهتمام على وجهه البغيض:

-كويس إنك نبهتني للحتة دي، لكن انت لسه ما شفتش كل الرجالة، وبردو هبلّغ منصور بيه واشوف هيقول إيه؟

وحينها كان بريق الثقة بعيني، ولكنني رسمت بهما توجسًا مصطنعًا وأظهرت آخر أوراقي، والذي كنت أحمله لتلك اللحظة حين أردفت:

-لكن خلّي بالك، مع شحنة السلاح دي، الكلاب حتى لو العسكري اللي ماسكهم ما دارش بيهم حوالين العربية هم هيهيجوا عالعربية ويتنططوا، الكلاب بتتصرف بفطرتها، وساعتها كل الخطة هتتكشف.

فزالت حينها كل تعبيرات وجهه ليستبدلها بتقطيب ما بين حاجبيه حينما اكتشف أن بالخطة ثغرة لم ينتبها لها، فأردف والغيظ يكاد يقفز من عينيه:

-وانت ما قلتش كدا من الأول ليه يا جدع انت؟!

-أنا لسه وانا براجع الخطة أخدت بالي من الموضوع دا، خاصة لما انت

اتكلمت إن حد تاني ممكن يقوم بالمهمة، لكن ما تقلقش أنا عندي الحل.

-إزاي؟

-ما هو أنا لما كنت برسم الخطة كنت لاغي موضوع الكلاب من حساباتي وما فكرتش فيه، خاصة إني كنت فاكر إن أنا اللي هعدي بيها.

-ودا اللي هو إزاي إن شاء الله؟

-ما هو أنا الكلاب مابتهجمش عليا أبدًا، بالعكس بتزوم وترجع لورا، ولو حابب تجرب جرب، صدقني أنا عايز الخطة تنجح، وتكون مكافئتي إني أكمل طريقي.

وحينها انقطع حديثنا، وانتظر لساعةٍ كان فيها شارد الذهن يحاول أن يحسب كل حساباته، وأظن أن من توفيق الله لي أن هذا التيس هو من يتولاني، فالذئب الآخر كان ليقرأ كل تلاعب تلاعبته بهما، ولكن يبدو أن هناك كثيرًا من الأمور تشغل باله ويوكل ذلك الأمر لهذا التيس الذي لم يشغل باله أن ينتبه لوجود كلابٍ مدربة بالكمين أو أنه يعرف بوجودها، ولكن لم ينتبه لما قد تقوم به مع حبكة الخطة وكثرة تفاصيلها وافتراضه بأن الكمين لن يفتش سيارة الشرطة، ولكنه لا يعلم أن الكلاب قد لا تلتزم برغبة مرافقها وتتصرف بفطرتها حتى ولو لم يهمس لها ذلك المرافق قائلًا بصوتٍ خفيض»فتِّش»، والذي سيقوم الآن للشقة العلوية ليخاطب منصور، وما هي إلا بضعة دقائق وصدق حدثي حين سمعته:

-أيوه يا منصور بيه، حضرتك قررت مين اللي هيقوم بالنقلة دي؟

-بفكر في الواد زين.

-بس الواد اللي معايا دا بيقول إنه شكله غير أشكالنا، وانه شبه المجندين ودا بيدعم فكرة إنه مجند أو عسكري.

-أنا واخد بالي من الحتة دي، وعشان كدا بفكر في زين، الواد اللي عندك آه مختلف وباين عليه إنه صغير، لكن زين صغير فعلًا ومننا، وبردو

ملامحه مش بدوية بالأوي.

-بس هل زين هيقدر يتمالك حاله؟ الواد اللي هنا دا أبرد من التلج.

-ما قلت لك لسه بفكر يا اسماعيل، ويا إما زين يا إما الواد اللي عندك.

-طب فيه حاجة كانت غايبة عن بالي وأخدت بالي منها من شوية.

-واللي هي؟

-إن فيه كلاب في الكمين ممكن تهيج على الشحنة.

-طب وانت لسه واخد بالك دلوقتي؟

-أنا بمجرد ما افتكرت كلمت الواد دا في الموضوع، ما هوَّ اللي حط الخطة.

-وقال لك إيه؟

-قال لي حاجة غريبة.

-واللي هي؟

-إن الكلاب مابتهجمش عليه أبدًا.

-ودا اللي هو إزاي؟

-الواد دا بيتكلم بثقة جامدة أوي، ما تعرفش بقى هو مخاوي ولا هي اللعنة اللي بيحكوا عليها، ما الكلاب بتشوف هالات الشياطين، ولو عليه شيطان زي ما بيقول ممكن الكلاب يا إما تهجم عليه بزيادة يا إما تخاف منه، وبعدين بعيد عن موضوع اللعنة فأنا كنت أعرف واد حرامي من المليز كان يدخل على أي تحويطة فيها أجدع كلاب متدربة من غير ما كلب منهم ينبح عليه نبحه واحدة، وفي واد تاني من السواركة كان بيسرق كلاب الحراسة نفسها وتروح معاه.

-خلاص جرب يا اسماعيل، أما أشوف آخرتها معاك ومع سهوك، ما انا

مش هجازف بتلاتين كلاشينكوف بذخيرتهم تمنهم نص مليون دولار في الفاضي!

-حالًا يا بيه، هتصرف في كلب واحد من حبايبنا واشوف.

وحينها نزل واصطحبني نحو مزرعة من الإبل بالخلاء يحيطها سور شبكي من الحبال، ولا يوجد بداخلها سوى بناية من طابقٍ واحد، وملحق بها حظيرة صغيرة، فنزلنا من سيارته ووقفنا أمام بابها الحديدي المعلق بجذعي نخلتين، فسلم حارسها على إسماعيل بحرارةٍ وسأله عن منصور بيه طالبًا منه أن يبلغه سلامه، وبعد انتهاء مراسم الترحيب والسلام طلب منه إسماعيل أن يحضر أكثر الكلاب شراسة من حظيرة الكلاب الملحقة بتلك المزرعة، فلم يسأل ذلك الحارس أو يتردد، وما هي إلا دقائق وكان عائدًا بأحد الكلاب مردفًا من بعيد أثناء اقترابه:

-دا البيتبول يا كبير، أشرس حاجة عندنا.

-طب لاغيه يهجم على أخينا كده.

مشيرًا نحوي برأسه، فأردف الحارس بحماسةٍ:

-هيقطعه يا كبير.

حينها كنتُ أنظر نحو الكلب الذي كان مسلطًا عينيه على عينيّ، ولا أدري لمَ انتابني شيء من التوجس من نظرة ذلك الكلب مفتول العضلات، ولكنني استجمعت شجاعتي وأجلت بخاطري حينها أن أفترس، أفترس أحد الشخصين الماثلين أمامي أو كليهما أو حتى ذلك الكلب الذي أعرف أنه لن يتم احتسابه حين بدأت الحركات تتباطأ، وبدأ شعاع الثقة يزيد بعيني، وبدأ الكلب يزيغ بصره عني حين طلب منه ذلك الحارس الهجوم، ولكن الغريب أن ذلك الكلب لم يزوم ويتراجع، ولكنه بذات الوقت لم يهجم مشيحًا بنظره عني، فانتظر إسماعيل للحظاتٍ، ثم ابتسم شاكرًا ذلك الحارس الذي كان ينظر نحوي ذاهلًا، فعدنا إلى السيارة وانطلقنا عائدين.

وبعد مكالمةٍ أخرى أجراها إسماعيل مع منصور قررا أن أقود السيارة

بالمساء، ولكن يبدو وأنهما ممعنين في الفتك بي، فقد أخبر منصور مرافقي إسماعيل بأن هناك من ينتظر بسفح الجبل من رجالهم على قدميه، وأنه سيقترب من الطريق بساعة التنفيذ، ويعطيني إشارة بكشافه ما إن أقترب منه، وسيركب معي السيارة، وكل ذلك كنت أتوقعه، ولكن ما لم أحسب حسابه أنه أخبره بأن ذلك الرجل بمجرد ركوبه معي سيطعنني ويلقيني خارج السيارة، ومن ثمَّ يقابل هو الدواعش بسفح الجبل، فلم أبتئس سوى لغدرهم، أما رجلهم فأنا كفيل به، ثم أضاف منصور تعديلًا جديدًا، وهو محاولة تعطيل سيارة الشرطة قبل خروجها من الحسنة لدقائق بأية طريقة تبدو محبكة، فأحسست حينها بارتباك إسماعيل الذي رد بأنني سأسبق السيارة بعشر دقائق، وبمجرد أن تصل سيارة الشرطة الحقيقية سأكون قد تواريت بسفح الجبل، وقوة الكمين ثابتة وليس بها الكثير من المدرعات المجهزة لتشن هجومًا على الجبل، ولأول مرة يرد ردًا ذكيًا حين قال أن من الجائز إن عطلوا سيارة الشرطة أن يحس قائدها بغدرٍ أو بأن ذلك التعطيل مقصود، فيجد طريقة يتواصل بها مع كمين الجيش حتى وإن أطلق ولو طلقة في الهواء، وحينها ستستنفر قوة الكمين وتفشل الخطة، وهو احتمال وارد، فظلا مترددين بين هذا وذاك إلى أن اقتنع منصور برأي إسماعيل وقررا عدم المجازفة.

وعند الساعة الثالثة إلا ربع بتلك الليلة، وبعد أن ارتديت ملبس الجنود الذي أحضروه، وواريت قطعتي المعدنية بحذائه، انطلقنا بسيارة إسماعيل في نفس دربنا السابق، ولكننا لم نقطع نفس المسافة، بل قطعنا ما يقارب نصفها لنجد سيارة الشرطة التي سأستقلها تنتظر في الظلام، فلم أعرف بتلك المخازن التي يستخدمونها، ولكن ما إن حلت الثالثة وخمس دقائق حتى بدأتُ التحرك في دربٍ يوصلني لذلك الطريق، ومن ثمَّ اتجهت نحو كمين الجيش لأصل عنده في تمام الثالثة والثلث ليوقفني أحد الجنود سائلًا بينما يقف خلفه بخطوتين جندي آخر يمسك بكلبٍ أسود:

-هو انتم يوم تغيروا العربية، ويوم تغيروا السواق ولا إيه؟!

فرددتُ قائلًا بابتسامةٍ بلهاء مصطنعة:

-دا محمد طلع إجازة عقبالكم.

فقد كنتُ استمعتُ إلى اسمه حينما كنت أراقب الكمين، فسألني مستغربًا:أومال المجند التاني اللي كان بييجي مكانه ما جاش ليه؟!

-أنا عبد المأمور يا بلَد، قال لي اطلع فطلعت، وبعدين إنت قصدك مين؟ إبراهيم ولا حسين ولا عبد الودود ولا مين بالظبط؟

فكنتُ متأكدًا أنه لم يسمع عن هؤلاء الذين ذكرت أسمائهم، والذين لم أسمع بهم أيضًا، ولكن الشيء الوحيد الذي كنتُ واثقًا منه، أن ليس هناك دوام كامل، فمن المؤكد أن ذلك الصول قد نزل إجازات ومر من هنا مجندون، وأن المجند الذي يمر قد نزل إجازات، وكذلك بديله الذي قد يكون رافقه بإحدى إجازاته، وبديل بديله، فلم يكن كلامه سوى محاولة لاستقراء وجهي الصلب.

فحينها تحرك ذلك الجندي الفلاعب نحو صندوق السيارة حين أشار لزميله بأن يدور حولها بكلبه، فكنت مسلطًا عينيّ على عينيه حين كان الممسك به يحاول أن يسحبه نحوي هامسًا «فتش»، فنفض الكلب رأسه يمينًا ويسارًا، ثم جلس على مقعدته، ليردف مرافقه:

-الكلب مزرجن يا صول علاء شكله جعان باين.

فكان يبدو أن مرافق الكلب يتحدث عن نفسه، أضف إلى ذلك أنه كان يبدو عليه التأفف من تزمت ذلك الصول حتى مع سيارة الشرطة بالقرب من وقت انتهاء ورديتهم فلم يحاول مع الكلب كثيرًا.

وحينها كان علاء قد ألقى نظرة خاطفة على الصندوق، ومن ثمَّ عاد نحوي وهو يمازح صديقه بخبث:

-واضح إن الكلب عارف إنها عربية شرطة فكسّل يلف حواليها.

ثم مد رأسه من نافذتي يتفحص بداخل السيارة بعينيه حين سألني:

-وانت رايح تجيب مين إن شاء الله؟

فكان كل ما يقلقني حينها هو الوقت الذي يداهمني بينما يحادثني ذلك الصول الخبيث، ولكنني ظللت محتفظًا ببرودي حين رددتُ:

-علي بيه اللي بسم الله ما شاء الله عليه من يوم ما وصل سينا مافيش من كام أسبوع إلا وكل الناس بقت بتحكي عنه وعن البلاوي اللي مسكها، واللي كان شغال قبل كدا في قسم السيدة زينب مع حسن بيه الشكير، وكل الناس هناك بردو بتشكر فيه وفي نزاهته.

كنت أعلم أنه لا يعلم عن الضابط «علي» سوى أن اسمه «علي»، ولكنني كنتُ أظهر ثباتي، وبذات الوقت أستثير بداخله ذلك التنافس المحموم بين الجيش والشرطة بسيناء، وأيهما أكثر كفاءة على إدارة العمل بها، كنت أستثير بروده لأرد على محاولته استثارتي، ويبدو أن استثارته قد أفلحت حين رد بجفاءٍ:

-طب اطلع يا إور.

حينها انطلقتُ بهدوءٍ لأنظر في ساعة هاتفي فأجد أنها الثالثة وستة وعشرين دقيقة، مما يعني أنه عطلني لست دقائق كاملة، وما إن ابتعدتُ قليلًا حتى زدت من سرعتي، فقد كنت أعلم أن تلك السيارة قد تصل الكمين بأية لحظة ويكتشفوا خدعتي قبل أن أختفي عند سفح الجبل، وما إن بلغت ذلك الشعاع حتى قللت من سرعتي، ونزلت عن الطريق في منطقةٍ رملية حين لمحت بمرآة السيارة أنوار ثلاث سيارات تقترب مسرعة من بعيد. فكنتُ أدرك أنها سيارة الشرطة ومدرعتين من الكمين يلاحقونني، ولكن ما إن نزلت على الطريق الرملي حتى زدت من سرعتي، ولم أتوقف ليركب معي رجل منصور متوجهًا نحو سفح الجبل، والذي ظل يجري خلفي صارخًا حتى ابتعدتُ عنه، ومن ثم نزل خلفي ذلك الرتل فوقفت إحدى سياراته في حين كانت الاثنتان الأخرتين تكملان مطاردتي، ويبدو أن السيارة المتوقفة قد أمسكت برجل منصور، ومن ثمَّ لحقت بالرتل، ولكن ما لم أحسب حسابه حين نزلت مُخلفًا رجل منصور أن تنفرز

عجلات سيارتي بالرمال قبل سفح الجبل بعدة مئات من الأمتار، واقتراب ذلك الرتل نحوي، ولكن قبل أن أقفز من السيارة وأهرب نحو الجبل سمعت صوت أحدهم يقول:

-اشتبكوا يا إخوه.

وحينها لمع نور قذيفةٍ تشق الليل فأصابت المدرعة التي كانت بمقدمة الرتل، وحينها انحنيتُ داخل سيارتي لأسمع دوي رصاصاتٍ منهمرة يأتي من سفح الجبل باتجاه المدرعات، وحينها سمعت صوتًا من عند الرتل صارخًا: "اتراجعوا، ارجعوا للطريق، ما عندناش أوامر بالاشتباك، ومعاهم قذايف مضادة للدروع، هننتظر الدعم".

ويبدو أن المدرعة التي أصابتها القذيفة لم تضرر بشكلٍ كامل، فعندما اختلستُ النظر في مرآة سيارتي وجدتُ أن أحد مصباحيها قد انطفأ، ولكنها كانت تتحرك متراجعة، ولم يتوقف المهاجمين عن إطلاق الرصاص حتى تراجع ذلك الرتل إلى الطريق، ولكن يبدو أنهم كانوا يريدون تراجعهم ليس إلا، فما طاردوهم ولا حاولوا إطلاق قذائف أخرى؛ فهم يبغون تلك الغنائم التي بحوزتي، وألا يتطور الأمر لاشتباك كامل يعطلهم إلى أن تصل تعزيزات لذلك الرتل فتضيع الغنيمة، ومن ثمَّ سمعت هدير محركٍ يقترب من ناحية الجبل حتى ظهرت إحدى سيارات النقل رباعية الدفع مطفئة أنوارها، والتي ربطوا مقدمة سيارتي بمؤخرتها وقاموا بسحبها مسرعين نحو سفح الجبل، لأجد سيارتين أخرتين بانتظارنا تحملان زهاء العشرين رجلًا إضافة إلى عدة رجال مترجلين، ويبدو أنهم حمولة السيارة التي جذبتني، ومن ثم أفلتوا سيارتي، وأزالوا الأرضية الزائفة، وحمّلوا ذلك السلاح سريعًا، فاتجهتُ للركوب معهم حين قال من يبدو أنه رئيسهم:

-إلى أين؟؟

تذكر انك حملت تلك الرواية من موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك

الفصل الثالث عشر

فرددث بجزع:

-المنطقة كلها هتتمشط دلوقتي، والدليل بتاعي اتقبض عليه وانا بهرب منهم عشان أوصل لكم، لازم أتداري معاكم، إحنا في خندق واحد، ولو مسكوني مش هيرحموني.

فتردد للحظاتٍ فعاجلته:

-أنا بترمي في حماك، وحق لا إله إلا الله يا شيخ.

فعقد حاجبيه حينها ثم أردف:

-كلنا في حما الله، اركب.

فانطلقنا في الظلام على أضواء السيارات بين الخنادق والممرات والوديان والكهوف التي تتخلل ذلك الجبل، والذي لم يكن جبلًا بالمعنى الحرفي للجبل؛ فببعض المناطق ترى أنه سلسلة من الهضاب التي تتخللها تلك الممرات، وأحيانًا أخرى تدرك أنه سلسلة من المرتفعات الشاهقة وليست هضاب، ولكن يتخللها أيضًا تلك الخنادق والطرقات، فكان أحدهم يحفظ الطريق عبر الجبل وكأنه مولود فيه، فكنا ما بين مدقات صاعدة وأخرى منحدرة، وخيارات متعددة للانحراف أو المواصلة يتخذونها بدقة وكأننا نسير بمتاهة يعرفون حل لغزها، وفوق كل هذا أننا ما إن بلغنا واديًا صغيرًا إثر مرورنا من قلب أحد الكهوف حتى توقف موكبنا، ونزل بعضٌ منهم فأزاحوا صخرة ضخمة بمساعدة الصدّام الحديدي لإحدى السيارات، فسدوا بها مخرج الكهف حتى إذا ما أطل ناظر من بعدنا على مدخله فسيرى أنه كهف بلا مخرج آخر، ثم انطلقنا بعدها إلى أن اجتزنا ممرًا ضيقًا بين مرتفعين صغيرين، فتوقفنا مرة أخرى ونزل بعض الرجال فأزاحوا حجرًا كبيرًا من فوق أحد المرتفعين حتى أسقطوه بالممر، ويبدو أنه كان مهيئًا من قبل ذهابهم، وبعدها أكملنا طريقنا حتى ظهر لنا على مصابيح موكبنا بعد مسيرةٍ قاربت الثلاثة كيلو مترات بوادٍ بقلب الجبل ما

يقارب الثلاثين فردًا أو يزيد، فكانوا يرفعون أسلحتهم مكبرين باستبشار، فوقف الموكب عندهم وبعد أن سلموا على إخوانهم وحيوهم قاموا بإنزال شحنة السلاح، وبعدها دخلت سياراتنا إلى أحد الكهوف واحدة تلو الأخرى، والذي كان مدخله بالكاد يسمح بعبور سقف السيارة، ومن ثمَّ بدأ عدد منهم برص كمية من الحجارة المتوسطة الحجم أمام مدخله حتى واروه، وبعدها انطلقت معهم بين مدقات الجبل سائرين، فكنا نمشي مبتعدين عن المنطقة التي قابلناهم فيها متخذين طريقًا متعرجًا بين شعاب الجبل وممراته الضيقة، فبدأتُ أسمع بعض المحادثات الثنائية بين السابقين منهم واللاحقين في تلك المسيرة، فكنتُ أركز على محادثاتٍ وأهمل أخرى، فمنها ما كنت أهمله لانعدام أهميته، ومنها ما لا أفهمه لأنه بلغات غريبة، حتى بدأتُ أستخلص قدرًا بسيطًا من المعلومات حولهم، فقد كانوا يتحدثون عن سرية أبو عمر وعمليتها المباركة الأخيرة بالشيخ زويد، وسرية أبو حفصة وفشلها في تدمير الكمين الخامس على طريق العريش جبل الحلال بعد أن تجنبوا الكمين السادس والتي أسر فيها عدد منهم، وسرية أبو الدرداء وما فعلت وسرية فلان وفلان، وأنهم يشتاقون لملاقاة هؤلاء الأحبة، فأدركتُ من هذه ومن أحاديثٍ شتى أنهم ليس لهم تجمع واحد بالجبل الذي يمتد طوله من الشرق إلى الغرب لمسافة ستين كيلو مترًا فيتجاوز حدود إسرائيل، ويتخطى عرضه العشرين كيلو مترًا من الشمال إلى الجنوب، بل هم مجموعة من السرايا المتفرقة بالجبل يتكون كل منها من عددٍ يتراوح ما بين الخمسين إلى المئة مجاهد، ولكل سرية أمير، وكلهم يتبعون أمير ولاية سيناء الجديد الذي يقود السرية الأكبر، والذي يدين بالولاء لأبي بكر البغدادي خليفة المسلمين على "الدولة الإسلامية بالعراق والشام" «داعش»، ولعل هذا التشرذم هو سر بقائهم، فالجبل بحجم محافظة متوسطة الحجم أو يزيد، مع ارتفاعٍ يصل ببعض المناطق لكيلو مترين، فكان كمتاهةٍ بها ألف ألف سبيل للاختفاء التام.

فواصلنا مسيرتنا بينما الصباح قد أشرق، وعلى الرغم من ذلك كنا في بعض المسير نرى نور الشمس وفي بعضه لا نراه، إلى أن بلغنا ممرًا واسعًا على عمقٍ كبيرٍ من قمة المرتفعين اللذين كان بينهما بعد مسيرة ساعة،

فكان بجانبه مدخل ذلك الكهف، والذي أدركت عنده لمَ وافق ذلك الأمير على اصطحابي، فلو طُلب مني الآن أن أعود من حيث أتيت فوالله لأتيهن لآخر عمري، بل بالأحرى لن أتمكن حتى من صعود قمة الجبل دون دليل، إلى جانب أن الهاتف هنا إن حزت أحدهم سيتحول لقطعة من الخردة بتلك المنطقة المعزولة عن العالم، أما الكهف فكان ضخمًا شاهق الارتفاع، فلا يماثل أيًا من الكهوف التي مررنا عبرها، وبذات الوقت كان له مدخلًا ضيقًا، وكأنها مجرد فُرجة بجانب الجبل إذا مر السائر بجوارها قد لا ينتبه أن ذلك الفراغ يكمن خلفها، والغريب أنه كان بداخله طاقات نور تتسرب من بعض الفجوات بسقفه، ويتفرع منه عدة ممرات ممتدة لا أدري إلى أين؟ وفجوات كغرفٍ صغيرة يستخدمونها كتقسيمات تحتوي على مهاجع بدائية تتشكل من مجرد فُرشٍ مبسوطة، كانت حياة بدائية يبدو أنها تعتمد بالأصل على الغذاء المعلب والماء الذي يبدو متوفرًا والذي لا أعرف مصدره حتى الآن، وبمجرد وصولنا قاموا لصلاة الفجر في جماعة، والتي أديتها رفقتهم، ومن ثمَّ قام قليل منهم لنوبة المراقبة، في حين لجأ الباقي لفُرُشِهم، فلم أنعس؛ بل كنت أحاول أن أضع بعض التصورات لما سيؤول إليه حالي بعد الاستيقاظ، مع وضع بعض الفرضيات وما قد يدفع لها، وكيف سأحاول البقاء حتى أبلغ ذلك الأمير، فكانت أولى فرضياتي بالطبع هو أن يُبلغ منصور أميرهم الأكبر أمير ولاية سيناء أنه يجب قتلي لأنني أرغب في العبث بذلك الدرع، ولكن الحقيقة أن هذا الأمر مستبعد؛ فليس من الطبيعي أن يبعث للأمير من يعبث في حاجياته ومن ثم يخبره بأن عليه قتله، حتى ولو افترضنا أنه سيخبره بأنه كان يخطط لقتلي قبل وصولي عندهم فالواقع أنني قد وصلت وهذا يعني أنه لا يسيطر على رجاله أو خابت مخططاته، وليس من المنطقي أيضًا أن يطلب منه مجرد قتلي دون سبب، بل أقصى ما يمكنه طلبه هو أن يطلب تسليمي له، وحينها فلا بُدَّ أن أتمسك بوجودي هنا، وأن أرتب المغريات التي من الممكن أن أغريهم بها لاستمراري ترتيبًا تصاعديًا حتى وإن أبلغتهم بقدرات تلك التميمة، فهنا لن أقتل لأجلها، بل سأتنازل عن قدراتها طوعًا إن اجتمعت بذلك الدرع، ومن ثمَّ قررت الانتظار لتلك الساعة حتى أرى ما

يمكنني التشبث من خلاله، وبعدها ركنت إلى نوم مضطرب، كنت أتمنى قبله أن أبعث برسالةٍ أطمئن بها نور أنني اجتزت مرحلة جديدة وما زلت على وعدي مكملًا لدربي الذي لولاك ما أكملته، إلى أن أيقظوني لصلاة الظهر، ومن ثمَّ طلبني أمير تلك السرية، والذي كان مستندًا إلى جدار الكهف الأساسي في مجلسٍ ممهد، ويجلس اثنان منهم عن يمينه ومثلهما عن يساره، فاقتربتُ حتى جلست بين أيديهم حين بدأ حديثه:

-ستعود الليلة إلى الحسنة، فدليلنا سيوصلك لسفح الجبل، ومن هناك يمكنك تدبير حالك، فحملات التفتيش من المؤكد أنها انتهت.

-لكن أنا عايز أشتغل معاكم.

فابتسم اثنان في حين تجهم أحدهم، أما الأمير ومن إلى يمينه مباشرة فكانوا على حالهم بلا ردة فعلٍ جديدة حين رد قائلًا:

-أتظننا نعمل هنا مقابل أجرٍ نتقاضاه؟ إننا نجاهد الكفرة والظلمة في سبيل الله، غير آبهين لثواب الدنيا طامعين في ثواب الآخرة، وما نغنمه في ذلك ندفعه ثمنًا زهيدًا لاستكمال تلك المسيرة حتى يأذن الله بنصرنا وتمكيننا.

-وانا أكتر واحد اتظلمت في البلد دي، اتظلمت لما دفنوني بالحياة في نقطة إسعاف الكسارة، واتظلمت لما اضطريت إني أقتل أربعة حاولوا يقتلوني، وكنت فاكر إن القانون هينصفني باعتبار إني بدافع عن نفسي، فقالوا إني ماستكملتش شروط الدفاع الشرعي، أنا ماليش حياة هناك أنا مجرد هارب بيواصل الهروب.

وبينما كنت أحاول استكمال حديثي قاطعني ذلك الأمير:

-قال تعالى: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" وهذا هو المنهج الأساسي الذي بنينا عليه جهادنا لأولئك الكفرة الذين ارتدوا عن شرع الله حينما أزاحوا تحكيم شرعه من أجل تلك القوانين الوضعية فصاروا كفرة مرتدين عن الدين، وتركوا فريضة الجهاد في سبيله فزادهم

الله هوانًا على هوانهم، ومن ثم وجب قتالهم كافة كما أمرنا سبحانه وتعالى حين قال: "وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة"، ولكنه منهج عقائدي، فنحن لا نقاتلهم بناءً على دوافع انتقامية شخصية كدوافعك، بل نقاتلهم تمسكًا بديننا وعقيدتنا حتى يظهرنا الله عليهم، فدولة الظلم والكفر زائلة وإن طالت أيامها.

-أنا مسلم موحد بالله، لكن الحقيقة أنا أول مرة أسمع بمنهجكم دا، لكن لازم تعرف إن أنا فعلًا من الناس اللي اتظلمت بسبب القوانين دي، والمظلوم هو أكتر حد ممكن يسعى لهدم الظلم مع تصحيح فكرتي ومنهجي، فاعتبرني جيت لكم طالب للجهاد معاكم هل هتردوني؟ خاصة واني مُسعف وهكون مناصر للإخوة وداعم ليهم.

-والله ما نردك طالما ارتضيت العودة لصحيح الدين مع إخوانك المجاهدين، ولكنك قبل أن تنخرط معنا كأخٍ منا لا بدَّ وأن تحضر جلسات للمراجعة العقائدية نكون حينها قد استفسرنا عم تحكي وعن ماضيك، ولكن لتعلم أن حد الخائن الذي يحارب الله ورسوله هو القتل، فأنا أمنحك فرصة أخيرة للتراجع إن بغيت، أما إن ارتضيت أن تنضم إلينا بعد مجلسنا هذا، فقد سبق السيف العزل.

-وأنا عمري ما هتراجع، على الأقل هنا هلاقي هدف وحياة وفي نفس الوقت آخرة بإذن الله.

فاكتملت تلك المراجعات العقائدية خلال أسبوع تقريبًا حين أبلغوني أنهم تقصوا عن كلامي وأدركوا حقيقته الكاملة، ومن ثمَّ بايعت أمير سريتي، وكنت أظن أنني سأبعث حينها نحو أمير ولاية سيناء لأبايعه، ولكن أدركتُ أنني أبايعه وأبايع الخليفة من مكاني، ومن ثمَّ اخترت أن تكون كنيتي أبا نور، واستلمت سلاحي وصرت أتحدث الفصحى مثلهم، أما لحيتي فكانت قد نبتت فصرتُ لا أمسها، في حين أهذب شاربي وقصَّرتُ إزاري تحت الجلباب بعد أن أخفيت التميمة تحت فرشتي لأتذكر أن هذا اليوم هو اليوم الواحد والعشرين من الدورة القمرية التي بدأت

بمقتل ساكن عماد، وأنه بالغد ستبدأ قدراتي بالتراجع التدريجي، فكنت أخشى هذا التراجع الذي لن يرحمه سوى الافتراس الذي لا أعلم كيف السبيل إليه؟ ومن ضحيتي القادمة؟ ولكنني حاولت التناسي والتركيز على محاولة استكمال طريقي نحو الدرع؛ فقد أتخلص من تلك اللعنة قبل أن تضيع قواي بالكلية، فما أن بايعت أمير سريتي حتى بدأت أشترك في التدريبات القتالية على التصويب والاشتباك بوادٍ مجاور، فكنت أحاول ألا أستعجل في إظهار ما تبقى من قدراتي حتى لا يشكّون في أمري أو يتوجسون بشأنها، إضافة إلى انتظامي بالجلسات الفقهية وجلسات السيرة النبوية واجتماعات السرية.

وخلال تلك الفترة، وبأواخر أسبوعي الثاني، ومن خلال اندماجي بينهم، وتنصتي على اجتماعات مجلس شورى السرية وعلى محادثات أفرادها أدركت عدة حقائق، أهمها أن عدد السرايا يتراوح ما بين خمس عشرة إلى عشرين سرية، وأن التواصل محدود للغاية بين السرايا بعضها وبعض، وبين السرايا والسرية المركزية الأكبر بحكم العدد المحدود للهواتف المتصلة بالأقمار الاصطناعية، والتي تحوزها بعض السرايا فقط، وتُستخدم للضرورة القصوى، ولم تكن سريتنا منهم ولهذا كانت هناك لا مركزية تحكم اتخاذ قرارات أمراء السرايا، مع الاحتفاظ بمركزية القرار لأمير الولاية في حالة القرارات بالغة الأهمية، وأنه لا يتم مقابلة ذلك الأمير إلا في حالات محدودة، مثل أن يقابله أمراء السرايا في اجتماعات الشورى بينهم، أو في حالة تكريم أحد المجاهدين لإتيانه أمرًا عظيمًا، وأدركت أيضًا أن مخزن السلاح والذخيرة والوقود بكهف آخر لا يعلمه سوى عددٍ محدود منهم، وأن ذلك السلاح الذي أحضرته ما هو إلا تدعيم مستمر للمخزون الكبير، فهم لا ينتظرون نفاذ السلاح حتى يأتون بغيره، إلى جانب أن هناك من السرايا من يعملون بالزراعة في بعض الوديان الصغيرة التي تتخلل الجبل استنادًا لمياه الآبار ومياه الأمطار، وهناك سرايا غيرها بها مجاهدين رفقة زوجاتهم، أما أغرب ما سمعت فكان مشاركتهم في عمليات تهريب الحشيش نحو إسرائيل، وأن هذه التجارة تدر عليهم أرباحًا طائلة، وأحيانًا تكون مصدرًا للسلاح، فكنت مستغربًا من

هذا الأمر خاصة أنني لم ألحظ أن بينهم مدخنًا واحدًا فما هذا التضاد؟ فقبل أن آتي إلى هنا كنت أظنهم مجموعة من الخارجين عن القانون الذين أتلفت المخدرات أذهانهم وكفى، ولكنني وجدتهم متمسكين بالعقيدة على مفهومهم الخاطئ الذي لم يقتنع به قلبي فاعتبروا أنفسهم وصاه على سائر المسلمين، فمن أعطاهم تلك الوصاية؟ أليس ولاة الأمر في الإسلام يأخذون البيعة من عموم المسلمين، وحلت محلها الانتخابات بهذه الأيام، ومن ثمَّ يعينون القضاة ويُسيِّرون شئون العباد؟ فمن بايع هؤلاء سوى أنفسهم، حتى يحكمون بكفر هذا وعدم كفر ذاك، ومن ثم يهدرون دمه ويقاتلونه، بل أعلم أن النبي حينما كان بين ظهران المشركين بمكة قبل الهجرة لم يقاتلهم في الخفاء أو يوصي باغتيال قادتهم غيلة، حتى حينما حاربهم بعد أن أسس دولته بالمدينة كان يحاربهم بوضح النهار مع وضع ضوابط عدة لهذه الحروب، وبعد كل ذلك يتاجرون في الحشيش، أليس هذا حرامًا ويستوجب القتل لمن يقوم به، أم أنهم هم وحدهم من يملكون صكوك الكفر والإيمان والقتل والحياة؟ فكان ظني بأولئك الدواعش على حاله أنهم مجموعة من الشاذين عن أحكام العقيدة الصحيحة والتي يتخذونها ستارًا يخفي كبرًا وتضخمًا للذات تفتقت عنه تلك الدموية، فقد كانوا يظنون أنفسهم أنصاف آلهة وليسوا بشرًا، ومن ثمَّ كنت أساير أوضاعي حتى إذا ما كتب لي التحرر من تلك اللعنة أقسم أنني لأعود وأدلي بكل ما عرفته عنهم.

وبينما كنث بأواخر هذا الأسبوع الثاني لي هنا، وكانت قدراتي آخذة في العودة لطبيعتها؛ سمعت أنهم يجهزون لضرب ذلك الكمين الذي كنتُ قد اجتزته ضربةً انتقامية بعد وصول المدد المتجسد في السلاح الذي نقلته واطمئنانهم لزيادة المخزون، إضافة إلى تدعيمهم بعشر نظارات للرؤية الليلية، والتي جاءتهم مؤخرًا من السرية الأساسية، وذلك لأن هذا الكمين تصدى لغزوتهم السابقة منذ أكثر من شهرين، واستشهد ثلاثة من رفقائهم على أيدي جنوده، إضافة لتجرأ قوته على محاولة دخول الجبل بذلك العدد المحدود من الجنود، فذهبتُ بيوم العملية نحو قائد السرية الذي كنت أعلم أنه لن يُشركني فيها، واستحلفته بأن يُشركني معهم، فقد كنتُ

أريد أن أرى كيف يقاتلون، وإلى أي مدى ستكون مغبة مساعدتي لهم، والتي كنت أظن أنها طريقي نحو استكمال دربي فأقابل الدرع وأتحرر ومن ثمَّ أبلغ عن أماكنهم، فيا لسذاجتي حين حسبت الأمر بتلك البساطة! وبنفس الوقت كنت أفكر في أن أغنم مثلما يغنم أولئك المكرمين بذخائر أو سلاح حتى يتم تكريمي لدى أمير الولاية، فبادئ كلامه كان رافضًا بإدعاء أنني لا زلت أحتاج الكثير من التدريبات، ولكنني طلبت منه أن يُحضر خمسة من الأخوة فيهاجموني في قتالٍ بيننا، وإن وُفقت لهزيمتهم يُشركني، وإن لم أوفق سأقعد عن الخروج لذلك الجهاد، إلى جانب أن شراسة ذلك الكمين قد تُوقع بيننا جرحى، وأنا لم أسمع بوجود مسعفين أو أطباء بيننا سواي، فابتسم لما ظنه حماسة مني نحو الجهاد، وحذرني أن يكون ما زال بقلبي جاهلية ومجرد رغبة في الانتقام، ولكنني أخبرته بأنني طالما نويت الجهاد فلا أحب القعود، وحينها وافق على إشراكي دون تلك المبارزة التي طلبتها، ومن ثمَّ بدأت الاشتراك في خطة القتال، والتي كانت قائمة على أن يتقدم فريقٌ من عشرة مجاهدين مترجلين، فيعبروا طريق الحسنة بغداد في جنح الظلام حتى يهاجموا الكمين من الجهة الغربية، في حين يهاجم عشرون مجاهدًا من جهة الجبل القابع بشرق الكمين حتى يحكمون الإطباق عليه وينهونه خلال خمس عشرة دقيقة قبل وصول أي دعم؛ لأنهم حينما حاولوا مهاجمته بالمرة السابقة من جهة الجبل وحدها تمكن ذلك الكمين الشرس من صد هجومهم حتى جاء الدعم وأوقعوا شهداء من بين سريتنا، بالإضافة لاستخدام نظارات الرؤية الليلية العشر، فيرتديهم عشرة مجاهدين خاصةً حاملي مطلقات القذائف المحمولة على الكتف الستة، وأربعة لحاملي الرشاشات الأمهر في الجانبين، والبقية تضرب على مسار نيرانهم، إضافة لضوء القمر الذي كان هلالًا، وذلك لأن قائد الكمين بالمرة السابقة قطع أنوار الكمين بمجرد بدء هجومهم، فخابت كثير من ضرباتهم، واستنفذ بذلك ذخيرتهم، أما بتلك المرة سيفاجئونه بأن أولى خطواتهم لضرب الكمين أن يُفشلوا خطته بأن يقوم قناصٌ بقطع وصلة الكهرباء التي تُغذي الكمين، فكان من الواضح أنهم أحسنوا التخطيط هذه المرة واستفادوا من أخطاء المرة السابقة،

وعند منتصف الليل انطلقنا بعد أن ارتدينا الملابس السوداء المخصصة للقتال حتى بلغنا موضع كهف السيارات، فركبنا من هناك حتى موضع وقوفها بالقرب من سفح الجبل الخارجي، فكنا بعد منتصف الليل بمقدار ساعة ونصف أو يزيد، ومن ثمّ انطلق العشرة السابقين الذين سيهاجمون الكمين من الجهة الغربية، وبعدها بنصف الساعة بدأنا نحن العشرون اقترابنا من الكمين حتى صرنا على مسافةٍ لا تجاوز المئتي مترًا، ولكن كنا متفرقين في ثنائيات ما بين كل تمركزٍ والآخر ما يقارب العشرين مترًا على شكل قوسٍ يواجه الكمين، حتى لا نتجمع في نقطةٍ واحدة يسهل ضربها، وعند الثالثة إلا ربع أصاب القناص وصلة الكهرباء برصاصته، وحينها بدأنا بإطلاق نار مكثف من الجهتين مع قذائف الأر بي جي والقذائف المضادة للدروع وقذائف الهاون، كنا ندكهم دكًا من الجهتين، فانقسمت قوة الكمين محاولة التصدي لتلك النيران الكثيفة القادمة من الاتجاهين، في حين كنت أحاول توجيه نيران سلاحي الآلي نحو الرمال قبل الكمين أو نحو أحد الأسوار حتى لا يكتشف أحد المرتدين لتلك النظارات أن رصاصاتي طائشة متمنيًا بقرارة نفسي أن يقاوم الكمين ولا يسقط، لكن ما هي إلا دقائق بسيطة وبدأتُ أسمع قائد الكمين يصرخ في جنوده:

-اثبتوا يا رجالة، مش هنسيب الكمين إلا على جثثنا، اثبتوا يا رجالة واللي يسبق منكم ع الجنة ينتظر اخواته هناك.

في حين يطلب الدعم بين الفينة والأخرى صارخًا:

-الحكاية مش حكاية ذخيرة، ذخيرتنا موجودة لكن الضرب نازل علينا من اتجاهين، وكل اتجاه فيهم متوزع على شكل قوس، أنا مش عارف أضرب فين ولا فين؟ أنا بتضرب من حوالي عشرين نقطة ارتكاز في الاتجاهين وشايفين بيضربوا فين واحنا مش شايفينهم.

لم تكن قدراتي وقتها تسمح باستماع صوت من يحادثه، ولكن كان من الواضح أنه يحثه على المقاومة وأن الدعم في طريقه حين رد قائلًا:

-مش مهم تلحقوني، المهم تلحقوهم همَّ وتخلصوا عليهم، وبلغوا ولادي أما يكبروا إن أبوهم مات بطل.

وحينها حدث انفجار ضخم، ويبدو أن مخزن الذخيرة أو الوقود قد أصيب وانقطع صوت القائد.

فبدأت أسمع أنات الجنود وأصوات تشهدهم الخافتة قبل أن يلفظوا أنفاسهم الأخيرة، ولكن ما أسال دموعي المكتومة هو أنني سمعت أحد الجنود يخاطب صديقه بصوتٍ متقطع، ويبدو أنه يحتضر:

-أنا هسبقك على الجنة يا محمد... وهستناك هناك... اوعى تسيب الكمين يا محمد، وبلغ أبويا إني مت راجل.

ولكن لم يُجبه محمد، ويبدو أنه قد سبقه، فقد كان ذلك آخر ما سمعته، فلو يرى كل منا مغبة أفعاله شاخصة أمام عينيه قبل إتيانها ما أتاها.

فوقتها أردتُ أن أوجه رصاصي نحو رفقتي، ولكني كنت أدرك أنني سأردي زميلي بتمركزنا الثنائي قبل أن يقنصني أحد المرتدين لتلك النظارات وتضيع مجازفتي هباءً؛ فهؤلاء الآن يملكون ميزة خاصة عني مع تباعد نقاط التمركز على مسافة تجاوز المئتي مترًا، فأقسمتُ لأن أكون سببًا في فناء من أقدر عليه منهم كما كنتُ سببًا في عونهم الذي رأيت عواقبه الآن، حتى وإن لم يكونوا قد استخدموا سلاحي بتلك المرة، ولكنهم اطمئنوا لوجوده، ومن المؤكد أنهم سيستخدمونه في مرات عديدة، ولكن فلأصبر حتى أرى أقصى قدرٍ من الخسارة يمكنني إلحاقه بأولئك الظلمة، فلم العجلة وقد صرتُ واحدًا منهم؟ فكفارة ذنبي لن أرتضيها هينة وذلك الكمين قد استشهد من فيه، وبينما أنا على تفكيري أخذنا الأمر بالنزول إلى الكمين مع مواصلة الضرب لحمل الغنائم والهروب، فنزلنا راكضين، ثم انقسمنا، فمنا من يفتش عن الذخيرة، ومنا من يفتش عن سلاح على أضواء الكشافات التي تُظهر جثث الشهداء الحقيقيين، فظهر جليًا أن قوة الكمين بأكملها استشهدت، إلى أن وجدت الصول علاء ملقى على جانب الطريق، وهناك اثنين من التكفيريين يحاولون حمله،

ويبدو أنهم يريدون الفوز به كأسير، بينما يحاول التشبث بأحد الحواجز المعدنية قائلًا بصوته المتهالك:

-سيبوني يا كفرة، أنا هستشهد هنا.

فركزتُ كشافي عليه لأجد أن هناك رصاصتين بأعلى رئته اليمنى، فكان من الواضح أن محاولة نقله داخل الجبل لن تكون سوى عذابٍ متواصل له ينتهي بموتٍ محتوم بدأ يسابق الزمن ليأخذ روحه، فما هي إلا دقائق وستفيض روحه الطاهرة سواء بالجبل أو هنا، في حين يظن الاثنان اللذين يحاولان حمله أنها رصاصات بالكتف، فحينها ابتسمتُ على الرغم مما يعتمل بصدري من قهرٍ قائلًا:

-أتذكر هذا الوجه أيها الكافر؟ الوجه الذي كنت تحاول الاستهانة به، ها هو قد عاد إليك.

حينها بصق بوجهي فأرديته برصاصةٍ بقلبه، فكنتُ أرحمه من عذابٍ قد يلقاه حتى يموت، وكنتُ أنفذ رغبته في الموت شهيدًا بأرض الكمين، فحينها اغتاظ الممسكان به صارخين بوجهي لضياع غنيمتهما، وحينها أمر القائد بالتراجع مع ما غنمنا من ذخائر وسلاح، وحينها سمعت:

-باقي سبعة وتسعون، من مكانٍ بعيد.

وما إن عدنا لموضع السرية حتى اشتكاني بالصباح من ضيعت غنيمتهما لأمير السرية، والذي جاء بي ليحكم بيننا، فدافعتُ عن نفسي بأن أخبرته أن هذا الجندي لم يكن ليُكمل معنا الطريق نحو السيارة حتى، وليس إلى الكهف، فأنا أدرك خيرًا منهما أن إصاباته كانت بالرئة وليست بالكتف، فلامني على مقولتي له التي تُبين حقيقة رغبتي الانتقامية، وأمر بأن آكل منفردًا وليس مع الإخوة لأسبوعٍ مع حرماني من حضور حلقات الرياضة الترفيهية كعقوباتٍ تعزيرية كما يدّعون، ولكني كنتُ أريد تلك العزلة عن تلك الوجوه البغيضة حتى أفكر في طريقةٍ لانتقامي الذي وهجه بقلبي ما رأيت من استبسال أولئك الجنود، كان من الواضح أنهم لا يدافعون عن حياتهم بل يدافعون عن قيمةٍ أسمى؛ يدافعون عن وطنٍ، عن شرفٍ، وعن

عرض، راغبين في دفع تلك الحيوات في سبيله، أما أنا فبذلت كل غال ونفيس من أجل بقايا حياة، فما قيمة حياتي؟! فالأكثر قيمة من امتلاك حياة هو التنازل عنها من أجل قيمٍ أسمى، فالآن أدركتُ أنني كنتُ أبحث عن بقاياها متنازلًا في سبيل ذلك عن ما هو أكثر قيمة منها وهو تراب الوطن الذي ساعدتُ أولئك القتلة في النيل ممن هم دفعوا حيواتهم للدفاع عنه، حينها كان أكثر ما يشغلني هو كفارة ذنبي وتعويض خطأي في حق القيم الأسمى من حياتي، وفي حق أولئك الجنود، فلو كنتُ أريد انتقامًا أكون مستعدًا فيه لتقديم حياتي مقابله فلأجعله انتقامًا يستحق تلك الحياة التي عاندتْ الموت عدة مرات، انتقامًا يريح ضميري بقدرٍ أكبر من حجم الإثم الذي ارتكبته، فلأكمل طريقي نحو السرية الأساسية، السرية الأكبر، رأس الأفعى الكامنة بقلب الجبل، ومن ثمَّ أسترد تلك الحياة كرامة لكل ما بذلته، وكل من ساعدني خاصة تلك الفتاة التي سميت نفسي باسمها، لكن مع قناعةٍ جديدة وهو أنني جاهز لتقديمها ثمنًا بخسًا من أجل القيم الأسمى وهناك سيكون انتقامًا يستحقها، فإن وُفقت في انتقامي وأنقذت حياتي فذلك شأن أكبر، وحينها سأعود كاشفًا أسرارهم التي حفظتها علّ انتقامي يكون مضاعفًا، إذًا فلأصبر حتى أرى ما تُخفيه الأيام القادمة، ومن ذلك اليوم قررتُ أن أنسى فكرة إتيان أمر عظيم أو غنيمة كبيرة، بل لن أشترك مرة ثانية في تلك الهجمات الخسيسة، وسأريهم قدراتي من الآن وصاعدًا ها هنا علهم يزكونني عند رأسهم التي أبتغي قطعها، فبدأتُ من عصر ذلك اليوم أريهم تلك القدرات في التصويب البعيد، والذي ساعدني عليه عودة قدراتي من بعد قتلي لعلاء، وكذلك في الاشتباك الذي كنت أقاتل فيه ثلاثة وأربعة وخمسة فأهزمهم، فكنتُ أسمع إشادات مجلس شورى السرية في اجتماعاتهم، وكذلك حديثهم عن قتلي لذلك الجندي بدمٍ بارد من المسافة صفر، وهو ما يوحي بقوة قلبي وعزيمتي حتى وإن كان ما زال يشوب قلبي جاهلية، وتدل أيضًا على انتفاء ولائي لتلك الدولة الكافرة، فكنتُ أنتظر تزكيتهم، وبكل يومٍ أثبت قدراتٍ أعلى، فمرة أخبرتهم أن قطيعًا من الغنم يقترب من سريتنا، فهرعوا نحوه وأوعزوا لصاحبه بتغيير مساره والابتعاد بعد أن اشتروا من ضأنه،

ومرة أخبرتهم أن هناك قطيعًا من الذئاب، فكنتُ أستنفر كل قواي التي أخذت تثير اهتمام مجلس شورى السرية بشكلٍ أكبر، إلى أن مر ما يقارب العشرة أيام على تلك الموقعة التي غيرت مسار دربي دون الحديث عن أية تزكية، حتى تلك الليلة التي أيقظوني فيها لصلاة الفجر، وبعد أن أتممت وضوئي بدأ يتبادر لرأسي صوت حديثٍ يأتي من بعيدٍ من عند آخر نقطة تصل إليها قدراتي، فصوبتُ كل تركيزي عليه لأكتشف أنهم يتحدثون عن تلك الغنيمة الثقيلة التي غنموها، فهرعتُ حينها لقائد السرية والذي أخبرته أن هناك خطرًا يقترب ولا يحس به المسئولون عن نوبة المراقبة، فضيّق حاجبيه باستغرابٍ، ولكنني أخبرته بألا يقلل من قدر إحساسي، وحينها استنفرتْ السرية وانتشروا في مواضع الدفاع عنها حتى ظهر خمسة من الرجال يَجرُّون رجلًا، فكانوا يحملونه تارة، ويشدونه من خلفهم تارة أخرى، حتى أطلق القائد إشارته فشب كل رجل من مرقده مصوبين أسلحتهم نحو أولئك الخمسة الذين صرخوا بأنهم من سرية أبو حذيفة وقُتل دليلهم وأنهم كانوا تائهين، ومن ثمَّ أمرهم بإلقاء سلاحهم والاقتراب، وكانت كبرى المفاجآت مفاجأتي حين رأيت غنيمتهم عندما اقتربوا منا واقتربنا منهم، والتي لم تكن سوى الضابط «علي» والذي حاولت ألا أبين أنني أعرفه، فقد كنتُ أخشى أن يعرفوا أن بيننا ود سابق أو حتى رغبة في الانتقام سابقة، فبعد إحساسي بالخطر الذي صدَّرته لقائد السرية وظهور أولئك الخمسة قال ذلك القائد لمرافقه:

-أبو نور كان على حق، ويبدو أننا نحتاج إلى مثل هذا الرجل بالسرية الأهم.

فانتابني عدة أحاسيس حينها كان أولها هو صدمتي من رؤية "علي" الذي لن يطاوعني قلبي إلا بأن أربط مصيره بمصيري، إلى جانب تحفُّزي لتلك المقولة التي تعني بأنني سأنتقل لتلك السرية، أما أكثر ما جاش بقلبي حينها هو أن رؤيتي لعلي ذكرتني بأول محادثات نور معي في ذلك القسم، وكم كانت بريئة وكم ساعدتني من بعدها وكم أشتاق لها.

الفصل الرابع عشر

حينها اصطحبناهم نحو كهفنا بعدما تأكدوا من صدقهم، وبدأت المسامرات والحكايات بينهم وبين أفراد سريتنا على أضواء المشاعل التي بدأ يخالجها ضوء الصباح سريعًا، لأعلم أنهم كانوا في مهمةٍ لاقتناص «علي» كأسيرٍ أثناء رجوعه بعدما ذاع صيته، فكمنوا له في منتصف المسافة ما بين كمين بغداد وكمين الجيش الذي دمرناه في الغزوة المباركة كما يقولون، والذي زادوا من تدعيماته وقواته من بعد غزوتنا مع التشديد على عدم تحركه أو استدراجه نحو الجبل، فقاموا بقنص سائق السيارة التي انقلبت بعدها في الرمال، وعلى الرغم من ذلك بادلهم «علي» إطلاق النار من داخل السيارة المنقلبة على جانبها وقتل دليلهم، ولكنهم نجحوا في إفقاده وعيه والهروب به نحو الجبل حتى لاقونا بهذا الصيد الثمين الذي يجب تسليمه للسرية الأم، حينها أدركتُ أنني سأصاحبهم نحو تلك السرية الأساسية رفقة "علي" الذي لا أدري ماذا سيكون مصيره حين أشرع في خطتي والذي كان ينظر نحوي مذهولًا بينما يجلس مقيدًا، ولكن أظن أنه فهم من نظراتي أنني أشفق على حاله، وما أن استراح أولئك الخمسة حتى عصر اليوم الذي أشرق حتى انطلقتُ برفقتهم بعد أن استللت التميمة رفقة دليلٍ من سريتنا نحو الخلية الأساسية مصحوبًا برسالةٍ تزكيني عند أميرها، وأنني بمثابة هدية من قائد سريتنا له، وأثناء طريقنا كنا نتناوب جر «علي» أو دفعه، والذي كان رابط الجأش، وكأنه لا يعنيه ما هو فيه، حتى جاء دوري، فحينها فهم "علي" أنني أريد محادثته، فأخذ يتلكع في مشيه حتى سبقونا بخطواتٍ معدودة، ومن ثمَّ سألني:

-إنت إيه اللي جابك هنا يا إيهاب؟

-دي قصة طويلة يا علي بيه، لكن اختصارها إن حل اللعنة بتاعت السلسلة موجودة هنا عند أمير السرية الأساسية.

-طب انت عرفت إن صورك نزلت من ضمن الإرهابيين المحسوبين على الدواعش بعد ما عديت بعربية الشرطة المزيفة؟

-إزاي دا حصل؟!

-قوة الكمين أدلت بمواصفاتك، ولما بحثوا في صور المجرمين المطلوبين طبعًا توصلوا لصورتك.

-وانت شايف إنها هتفرق؟!

-وانت إيه اللي خلاك تعمل كدا يا إيهاب؟

-دي كانت الطريقة الوحيدة اللي ممكن أرجّع بيها حياتي.

-وعشان ترجّع حياتك تساعد دول!

-ما انا ما اكتشفتش كدا إلا بعد ما بقيت وسطهم، كنت فاكر قال إيه هرجّع حياتي وبعد كدا أبلغ عن أماكنهم وابقى كدا كفّرت عن ذنبي، أو بمعنى تاني كنت ناوي أرجّع حياتي، وبعد كدا أفكر في العواقب.

-واكتشفت أكيد إن الموضوع مش بالسذاجة دي وإن العواقب كبيرة جدًا صح؟

-طبعًا.

-طب وناوي تعمل إيه؟

-ناوي أرجّع حياتي، لكن في نفس الوقت ممكن أقدمها عشان أكفّر عن خطأي، لكن لو هقدمها فهيكون في أكتر مكان تستاهله، وبأكبر قدر يحسسني براحة ضميري.

-طب بص، أحيانًا ممكن الاستفادة من اللي انت وصلت له أهم بكتير من مجرد التنازل عن حياتك دي، إيه يعني هتقتل منهم عشرين ولا تلاتين قبل ما تتقتل، مهما كانت قدراتك واستجابتك، الرصاص أسرع من أي حركة بشرية، يعني العادي إن البشر ما بيشوفوش الرصاصة أصلًا، وانت مع قدراتك اللي كنت بتحكي عنها ممكن تشوفها، لكن هتكون سريعة جدًا يعني مش هتقدر تتفاداها، أو على الأقل مش هتقدر تتفادى رصاصتين

من مكانين مختلفين.

-طب وانت شايف إيه؟

- شايف إن دي فرصة مش هتتعوض إن يكون واحد في وسطهم مننا، وان آخر خياراتنا هتكون مجرد التضحية بحياتك أو حياتي، لازم نوصل ونشوف أكبر قدر من الاستفادة ممكن نوصل له، أما موضوع تقديم حياتنا فدا أبسط شيء ممكن نقدمه.

-وانا معاك، ولو حبيت تبلغني بأي حاجة اتكلم بيها كأنك بتكلم نفسك، أنا هسمعك.

حينها نظر نحوي بدهشةٍ قطعها بأن قال:

-روح بقى سلمني لحد فيهم عشان ما حدش يشك في كلامنا.

حينها سلّمتُ قيادته لأحدهم، ومن ثمّ صرنا نتبادل المناوبات إلى أن وصلنا ضواحي تلك السرية بمنتصف الليل، فكانت هناك نقطة مراقبة قبلها بنصف كيلو مترٍ تقريبًا، أثبتونا وتقصوا من أمرنا، ثم سمحوا لنا بالمرور حتى انتهى طريقنا الذي يتخلل المرتفعات بنفقٍ كان طوله حوالي عشرين مترًا، وعرضه أكثر من ستة أمتار، وما إن جاوزناه حتى وصلنا السرية، والتي كانت عبارة عن وادٍ دائري قطره قد يصل لخمسين مترًا، ويحيطه الجدران الحجرية من كل الجوانب حتى تلتحم تلك الجدران بسقف الوادي الشاهق تاركة فجوة دائرية صغيرة وكأنه مثل بركانٍ خامد منذ آلاف السنين، ولكنه محاطٌ من الخارج بالمرتفعات من كل جانب، فكان موقعًا حصينًا للغاية، أما تلك الجدران الحجرية فكان يتخللها مجموعة من الكهوف المتقاربة المتراصة بشكلٍ دائري، ولا يقطعها سوى النفق الذي دخلنا منه، وآخر يشبهه موازٍ له، فكان أغلب ظني أنه تم نحت بعض من تلك الكهوف أو تفجيرها، فاستقبلونا في أحدها على أضواء المشاعل، وقدموا لنا طعامًا وشرابًا جيدين، فكان من الواضح أن تلك السرية بها قدر أكبر من لوازم الحياة، ومن ثمّ جاءنا الأمير في زمرة من حرسه، ومن ثمّ

سلم علينا وابتهج بحديثنا عن ذلك الأسير، ثم قرأ رسالتي وخاطبني قائلًا:

-ألست من مر بتلك الشحنة من ذلك الكمين قبل ضربه؟

-أجل يا أمير.

-ونعم الرجال، وما هي تلك القدرات التي يحكون عنها؟

-أنني أستشعر الخطر من مسافاتٍ بعيدة، وأصوب بدقةٍ كبيرة، وأستطيع غلبة خمسة رجال في مبارزةٍ واحدة.

-ونعم الهدية هديتهم، ولكن لِمَ تنازل عنك منصور ما دمت بتلك الكفاءة؟

-أنا من تنازلت عن منصور، فقد كنتُ أعيش حياة بلا هدفٍ من هروبٍ إلى هروب كي أحيا، ولكن ما إن ألجأتني الظروف إليكم حتى وجدت قيمةً لحياتي بينكم.

-ما دمت تثبت ولاءك يومًا بعد يومٍ فأهلًا بك بيننا، أما ذلك المنصور فقد قطعنا معه تعاملاتنا من بعد تلك الشحنة الأخيرة التي بعد أن ما طلنا فيها كاد أن يصيب رجالنا بموضع التسليم.

فابتسمتُ قائلًا:

-لم يعد يعنيني شأنه.

وحينها حددوا لي فرشًا بأحد الكهوف كنتُ مرافقًا فيه لأكثر من خمسة عشر مقاتل، وذهبوا بـ "علي" مقيدًا نحو كهف الأسرى، فأخفيتُ التميمة بحفرةٍ صغيرة تحت فرشتي، وفي الصباح خرجتُ لأرى تلك الحياة، فكان الوادي منيرًا إثر النور المتسلل من تلك الفجوة بسقفه، والتي أظن أن من يراها من السماء سيراها مظلمة بسبب الشكل المخروطي الذي يشبه البركان، وحتى في المساء كانوا لا يشعلون أضواءً بالوادي، بل يشعلون الكهوف فقط حتى لا يتسرب نور للسماء، وما إن جلت بنظري حتى ارتأيتها بمثابة قرية صغيرة، وليست مجرد مجموعة من الكهوف المتراصة إذا ما قارنتها بالسرية التي كنتُ فيها، ومن ثم سمعت أن هناك من يرعى

الغنم، ومن يعمل بالزراعة بوادٍ قريب، وأن هناك خبزًا يصنعونه من الشعير المكدس، ورأيت وفرة من فوارغ المعلبات التي تحمل كتابات باللغة العبرية، كل ذلك إلى جانب عدد السرية الذي يقارب المئتين مسلح، وبينما أنا على حالي أجول بنظري هنا وهناك إذ وجدت الدرع معلقًا على أحد الجدران الحجرية، وبجواره تلك الرسالة التي حكت عنها وفاء بعد أن غلفوها بغلافٍ زجاجي، وبجوارها رسالة أخرى دون أية رقابة أو حماية، فاقتربتُ منهم حتى صاروا أمامي مباشرة، فكانت رسالة الفارس المملوكي كما حكت عنها، وإلى جوارها كلمة للأمير تحث على الجهاد حتى النصر أو الشهادة، وإلى جوارهما الدرع الذي كان به موضعًا يمكن تثبيت التميمة فيه، وبينما كنتُ أحملق في ذلك الدرع الذي قطعت الأيام والليالي بحثًا عنه إذ بآذان الظهر يؤذن، فذهبت لأداء الصلاة رفقتهم مشدوهًا من تلك البساطة التي كان عليها الدرع لدرجة أنني لم أنزعه عن الحائط وأحتضنه، فمن الواضح أنها رمزيه لانتصار الحق على الباطل مهما زادت قوة الباطل كما يرتأون مثلما كانت تحكي وفاء، ولذلك كانوا تاركينه هكذا حتى يمر عليه المقاتلين من تلك السرية ومن كل السرايا، فبقيت على دهشتي حتى أقاموا للصلاة التي لم أركز في آيةِ كلمة قلتها فيها حتى سلّمنا وحضرنا جلسة فقهية بعد الصلاة، ومن بعدها ألحقوني بفرقة من الفرق الخمسة للسرية، والتي كانت كل واحدة منها تتبع أحد أعضاء مجلس مشورتها، فبيومها التحقت بمبارزات السيوف بالوادي والتي كان موعدها ذلك اليوم وحضرها الأمير الذي كان مغتبطًا لقدراتي في المبارزة بالسيف، وما إن انتهت المبارزة، وكان الأمير متوجهًا لكهفه ليقضي قيلولته حتى استوقفته قائلًا:

-هل يمكنني ارتداء هذا الدرع لمرة واحدة؟

ففوجئت بأن قال:

-يمكنك ارتدائه كل يومٍ لو أحببت، نحن لا نقدس تلك الأشياء ولكنها رمزًا وتذكرة.

وحينها انصرف عني متوجهًا إلى كهفه، فعدتُ نحو الدرع الذي صرتُ أتأمله وكأنني لا أصدق أنه صار بين يدي بعد كل تلك العقبات التي اجتزتها، وتذكرت نور التي تنتظرني ووعدي لها، ودارت كل حياتي قبل ارتداء القلادة في ذهني وكأنها ومضات، وبينما أنا على حالي تبادر إلى رأسي صوت «علي»، فتذكرت بأنه ما زال هناك حملٌ فوق كتفي، وبذات الوقت تذكرت قول العالمة عن سمعي وبصري الآخذان في الضعف، وتذكرت عزيمتي نحو الانتقام من أولئك القتلة والتي ما نسيتها، فترددت في حمل ذلك الدرع وإنهاء اللعنة حين بدأ "علي" يحادث أحد الأسرى حديثًا جذبني، فجلستُ مسندًا ظهري للجدار الذي يحمل الدرع وكأنني أحرسه أو أخشى هروبه قبل أن أقطع أمري بشأنه، فإذ بـ «علي» يسأل محادثه قائلًا:

-واضح إنك مش جندي زي باقي الأسرى.

-فعلًا هذه حقيقة.

-أومال محبوس معانا هنا ليه؟

-لأنني اختلفت مع الأمير بشأن منهجيتنا في الفترةِ الأخيرة.

-مش فاهم.

-أتحب أن أشرح لك؟

-أكيد.

-الحقيقة أن منهجية الجماعة قائمة على مبدأ التكفير استنادًا للنص القرآني المعروف: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" وورد هذا النص بنفس كلماته في آيتين غير تلك الآية مع استبدال لفظ الكافرون بلفظ الفاسقون في واحدة، واستبداله بلفظ الظالمون في الثانية، وكلهم بسورة المائدة، واستنادًا لهذه النصوص ولبعض الأحاديث توسعنا في منهج التكفير، تكفير الحكام الذين يطبقون تلك القوانين الوضعية، تكفير مُسني تلك القوانين من المجالس التشريعية والحاكمين

بتلك القوانين من القضاة وغيرهم، وبالتبعية لذلك تكفير أيادي السلطة المنفذة والمتمثلة في شرطييهم وجيشهم، وكذلك تكفير كل العاملين بالدولة، إلى أن بلغ الأمر حد تكفير العوام وذلك لأنهم يحتكمون لتلك القوانين الوضعية، ومن ثم جاز قتالهم.

-يعني كل الناس في كل البلدان الإسلامية كفرة دلوقتي وفقًا للمنهجية اللي بتحكوا عنها ويجب قتالهم.

-وهذا كان خلافي معهم حول نقطتين، الأولى كانت التوسع في التكفير حتى شمل العامة والموظفين والجنود المغلوبين على أمرهم وغيرهم، فهناك من الناس من يعلم بقرارة نفسه أن شرع الله هو الأحق بالتطبيق، ولكنه يعيش تحت كنف دولةٍ ظالمه فيحتكم بأحكامها مجبرًا فلتعتبره يعيش بأرضِ غير المسلمين.

-والنقطة التانية؟

-هي رد فعلنا كجماعة على هذا التكفير.

-اللي هو إهدار الدم؟!

-نعم.

-يعني اختلفت معاهم إزاي؟

-بعد كثيرٍ من التمحيص والدراسة وكثيرٍ من الدماء التي سالت من المدنين أثناء عملياتنا، ومع تقدمي في السن وانكسار شوكة عنفواني بدأتُ أميل نحو الرأي القائل بأننا لسنا الأوصياء بقتال الكافر أو المرتد، فالوصي على ذلك هو ولي الأمر وليس نحن، ووفقًا لضوابط هذا القتال التي ما كنا نضعها بحسباننا سدًا للذرائع، وأن هذا الولي هو من يأثم لذلك إن امتنع، كما هو من يأثم لعدم تطبيق الشرع، وكذلك مُصدروا القوانين التي تعارض حكم الله، وليس المجبورون عليه من العامة، أما نحن فلا نأخذ بيعة من عموم المسلمين حتى نصير أوصياء عليهم أو على حكامهم، فقالوا عني أن منهج المعتزلة الذي كنت أقرأ فيه بأواخر أيامي أثر على

رأسي وعقيدتي، فقد اكتشفوا بعض الكتب الغريبة عن السرية تحت وسادتي كنت أقرأ فيها بأوقات الراحة والتريض.

-لكن دول منهجهم منهج خوارج؛ التكفير وإهدار الدم والوصاية الجبرية على المسلمين.

حينها سكت من يحادث «علي» وكأنه يعترف بسداد رأيه.

فعاجله علي:

-يعني انت كنت بتفضل الاعتزال عن الدولة اللي حكامها كفرة بالنسبة لك بدل من محاربتها مع التضييق في المنهج التكفيري لغاية ما يقتصر على الحكام أو المشرِّعين وبس؟

-مع بعض التوسعات في التكفير، مثل كل شخص يكون من رأيه إن الشرع الوضعي أفضل من الشرع الرباني أيًا كان موقعه، ولكن هذه مسائل قلبية لا تتبين إلا بالسؤال، ولكن الأهم من كل هذا هو رد الفعل على هذا التكفير.

-لكن يا شيخ بحكم إني دارس قانون فأحب أقول لك إن خمسة وتسعين من القانون المدني وقانون الأحوال الشخصية مأخوذة عن أحكام الشريعة، إلى جانب إن فيه قوانين تنظيمية كتير نشأت مع تطور الحياة زي قوانين المرور وقوانين المحليات وقوانين البيئة ودي اللي قال عنها الرسول أنتم أدرى بشئون دنياكم، يعني ممكن تلاقي الاختلاف في الآخر حوالين الحدود الستة في الإسلام وبعض القواعد القانونية المدنية والتجارية البسيطة.

-وكلامك أيضًا من الأمور التي وضعتها بحسباني عندما كنت أراجع منهجيتي، خاصة إذا ما وضعنا في الحسبان أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح بشأن قتالنا الذي وجدت منه مفسدة جاوزت أية مصلحةٍ رجوتها.

-يعني انت حاليًا ضد إهدار الدماء؟

-وأتوب إلى الله عمًا أهدر من قبل.

-وانت إزاي كنت جندي في صفوفهم وقادر إنك تخالف قواعدهم وتقرأ على هواك؟

-لا تنخدع بالمظهر الذي يبين لك أن هذا المجتمع ها هنا ملتزمًا بالقواعد والتعاليم للدرجة التي تظنها، فمع الرغبة في توسع الجماعة دخل إليها هاربون تستروا تحت رداء الفكرة أو المعتقد، فأجبروا على الانصياع لتلك السمة الظاهرة، وغيرهم ممن كانوا تائهين بحياتهم ولا يعرفون لأنفسهم قيمة فاغتروا بفكرة الوصاية على تطبيق أحكام الشرع، حيث أحسوا بشيءٍ من السلطة والقيمة بين ثناياها، فلم يكونوا معتقدين في الفكرة بقدر اعتقادهم في السلطة أو القيمة، وغيرهم ممن ظلمتهم أنظمة مستبدة، وكل نظام مستبد يولد أفكارًا حادة أو كما تطلقون عليها متطرفة، وكل أفكار متطرفة لا بُدَّ وأن تولد نظامًا مستبدًا، فمجتمعنا هنا فيه من يتعاطى المسكرات والمخدرات في الخفاء، ومنهم من إذا أتيحت له الفرصة للذهاب لإحدى المدن لقضاء حاجيات أو استقصاء أو مهمة أخرى قد يضاجع النساء، ومنهم من هو ملتزم بالفعل بمنهجيتهم حتى لا أخفي عليك أمرًا، أما أنا فكنت أهرِّب تلك الكتب من قبيل المعرفة وليس من قبيل الثورة على المعتقد، ولكن كلما تقدم بك العمر وكلما حاولت النظر بحيادية كلما استفقت من تلك الأفكار الحادة.

وحينها انقطع حديثهما فجأة حين سمعت من يبدو أنه حارس الأسرى يصرخ فيهما بأن ينقطعا عن الحديث، فأدركت وقتها أن هناك من يعود لعقله من بينهم إن خرج من تلك البوتقة التي يضعون رؤوسهم فيها، ثم عدت للنظر نحو هذا الدرع الذي لا أعلم هل أتحرر منه الآن أم أصبر؟ فبماذا يفيدني تحرري من اللعنة طالما ليس بإمكاني العودة؟ بالإضافة إلى هم «علي» الذي أحمله على عاتقي، وذلك الدين برقبتي والذي لا بُدَّ وأن أوفيه وإلا فلا قيمة لتلك الحياة المستردة، وكل ما كنت أفكر فيه هو أن

أضع ثقتي واعتمادي على "علي"، فهو أدرى مني بشئون القتال والعسكرية، ومن المؤكد أنه يحاول استقصاء المعلومات قبل أن يأمرني بم سأفعله، حتى مرت ثلاثة أيام وأنا على حالي أنظر للدرع كل صباح، وأنتظر أن يخاطبني «علي»، وأحضر الجلسات، وأشارك في التدريبات، وأقضي أوقات الراحة في التصنت أو في استكشاف الجبل من حولنا، حتى صباح اليوم الرابع والذي سمعت فيه مجلس شورى السرية يتحدث عن صفقة لتبادل الأسرى، وكيف يمكنهم إجبار القوى الأمنية على إجراء ذلك التبادل الذي ترفضه دومًا، خاصة مع قدوم ذلك الضابط الأخير وارتفاع عدد أسراهم من الجيش والشرطة إلى ثمانية أفراد منهم ذلك الضابط وضابط جيش برتبة مقدم وستة جنود، وكل هذا في سبيل تحرير أبي حمزة من أسره رفقة بعض رجالهم المخلصين، فقرروا بنهاية مناقشاتهم أن يتواصلوا مع القيادات الأمنية للدولة، فإن رفضوا مرة أخرى فسيقومون ببث تسجيلٍ مصور للأسرى الثمانية مع التهديد بذبحهم، وعندها قد يحرك ذويهم الرأي العام من أجل إنقاذ أبنائهم، ومن ثمَّ يفضحوا تعنت الدولة في التعامل معهم بشأن تبادل الأسرى، وعندها قد ترضخ القوى الأمنية لطلباتهم.

فأدركتُ أنه يجب أن أقابل "علي" لأخبره بتلك المعلومة، فعلى الأقل حينها سأكون قد تحررت من قيده إن بادلوه بتلك الصفقة، فبدأتُ بذلك اليوم أحاول مراقبة كهف الأسرى، فقد كنتُ أبتغي مقابلته قبل ذلك التسجيل لأنني كنتُ أظن أن أجهزة الدولة لن توافق كما توقعوا، فكان يبدو من يقف أمام الكهف للحراسة متجهمًا لن يلين إن حاولت أن أتجاذب معه أطراف الحديث إلى أن أجد طريقةً أخاطب بها «علي»، فانتظرتُ حتى تغيرت المناوبة عند العصر، فجاء في المناوبة الثانية من هو أكثر منه تجهمًا، ولكن ما دام النهار قد انزوى فيبدو أن التسجيل قد يتأخر لليوم التالي، وفي الصباح التالي سمعت أنهم يجهزون لأن يكون التسجيل بليلتنا، فصرتُ أراقب كهف الأسرى، فكان من يقف بحراسته في الصباح مثل سابقيه، ولكنني قررت المجازفة والاقتراب منه، فصدني بأن قال أنه لا يتحدث مع أحد أثناء مناوبات العمل، ولكن ما إن تغيرت الوردية بعصر

ذلك اليوم حتى جاء آخر يبدو أنه لا يأبه لأمر الحراسة كثيرًا، فكان يبتعد عن الكهف بين الفينة والأخرى ويتجاذب أطراف الحديث مع الرائح والقادم، فاقتربتُ منه وصرتُ أتجاذب معه أطراف الحديث حتى طلب مني أن أجلس مكانه عند الغروب، فقد كان يحب أن يصعد للجبل حينها، فسألته متوجسًا عن مغبة ذلك، فأخبرني أن أهم ما في الموضوع إن سأل عليه سائل أن أخبر السائل بأنه قد ذهب لقضاء حاجته وسيعود في الحال وأنني ارتضيت الوقوف مكانه.

وحينها وقفتُ أمام الكهف فاقترب «علي» نحوي وهو على وثاق قدميه ويديه بجانب الكهف بحيث ألا يراه أحد من خارجه، فأخبرته بذلك الأمر وأنهم سيصطحبونهم ليقوموا بتسجيلٍ مصور حتى يجبرون الحكومة على هذا التبادل، فأطرق قليلًا وبعدها سألني عما إذا كنت أعرف خطتهم للتبادل، فأجبته بالنفي، فأوعز إلي بأن أحاول معرفة تلك الخطة، وحينها نظرتُ نحو ذلك الكهل الذي يرافق الجنود الثمانية، فأخبرني «علي» أنه لن يضرنا، وحينها أدركت أن برأس "علي" ما يبغي تنفيذه أكثر من مجرد التبادل، فكان كل همي أن أنفذ ما طلبه.

*****

الفصل الخامس عشر

وبمساء تلك الليلة أخذوهم لتصوير ذلك التسجيل، ومن ثمّ قاموا ببثه من موقعٍ بعيد عن الجبل كما علمت، ولكن الغريب أن بعد يومين وافقت الحكومة على إجراء ذلك التبادل على أن يكون بعد أربعة أيام، فتوقعتُ أن يكون «علي» قد أعطاهم إشارة ما بالموافقة عليه، وحينها جاء دوري لكشف تلك الخطة، فصرتُ أتتبع كل كلمةٍ ينطقها الأمير بقدر استطاعتي حتى اجتمع مجلس مشورة السرية ليومين متتاليين لوضع خطة التبادل، وبعد كثيرٍ من المناقشات والخطط والمقترحات رجّح الأمير في اجتماعهم بعصر اليوم الثالث أن يكون التبادل عند أحد الكهوف الذي يُمثل ممرًا أو نفقًا بمنتصف السفح الشمالي لجبل الحلال، والذي يُعتبر ممرًا منفردًا

للجبل بقلب منطقة صخرية كبيرة، وأن يكون التبادل مع انتصاف الليل، حيث أردف مخاطبًا أعضاء مجلسه:

-سيكون هناك مُراقب للعملية في الخفاء عند بقعة بقمة الجبل، وسيكون جاهزًا لإشعال شعلة ضخمة ولن يتحرك إلا عندما ترحل القوات، فإن أحس بأي غدرٍ فسيعطي الإشارة، فنسرع حينها للاستعداد لنسف عدة مواضع من طريق العودة على تلك القوات التي ستحاول التقدم فنفنيها بواسطة رجال مستعدين لاستقبال تلك الإشارة ونقلها لبعضهم البعض حتى تراها السرية من بعيد، وحينها ستنتقل السرية نحو مواضع القتال، حتى إذا ما أفلت بعض منهم من الكمائن بالطريق يصلوا إلى كميننا الأكبر فيكون جحيمًا يفنيهم.

فناقشه أحد أعضاء المشورة بشأن المراقب مستفهمًا:

-ولم لا يفتح ذلك المراقب معنا اتصالًا مباشرًا طوال فترة العملية؟ فالسرية تملك هاتفين من تلك المتصلة بالأقمار الصناعية، فيكون أحدهما معه والآخر معنا.

-أنت تعلم أن استخدام تلك الهواتف في الظروف العادية رغم تأمينها الذي تعرفه يكون محدودًا للغاية، ولكن لا تعلم بوقت العملية ما هي الطريقة التي سيحاولون من خلالها رصد اتصالاتنا، وقد يكون هذا التبادل فخًا وضعته الدولة من أجل التقاط مثل هذا الاتصال الذي سيعملون حسابه، ومن ثمّ تحديد موقعنا من خلاله، وخفاء موقعنا وتضاريس ذلك الجبل الشاهق هو ما يحيد الطيران الحربي ويعميه، أضف إلى ذلك لو تتذكر بهجومهم الأخير على الجبل كانوا يستخدمون أجهزة تشويش على بث الهواتف يصل مداها لعشرين كيلو مترًا، وحينها سيتحول الهاتف لقطعة من الخردة، ثم إن ذلك المراقب سيكمن في موضع عصي على الكشف أو القنص بعيدًا عن التبادل ولا يعلم بأمرهِ سوانا، ثم إنك تعلم أنني رجل من الطراز القديم، وأرى أن هذه التكنولوجيا قد تخذلنا لأي ظرفٍ طارئ، أما عود الثقاب فلن يخذلنا.

فوافقه ذلك العضو ليكمل الأمير خطة التبادل بلهجةٍ مطمئنة:

-واطمئن يا أخي، فليس المراقب هو خطة التأمين الوحيدة، فمن المستحيل أن تصل تلك القوات إلى موضع السرية إذا كانوا بدون دليل، فإن حدث غدر منهم فسيكون هناك رجلنا المكلف بإطلاق رصاصة على رأس الدليل بمجرد إحساسه بأي غدر، حتى لا يجدون طريقة لبلوغ السرية، فالدلالين كلهم قابلين للخيانة تحت الترغيب أو الترهيب، أما رجالنا الحقيقيين فلا.. وفوق كل هذا فإن من سيقوم بالعملية سيكونون ستة عشر رجلًا، يبقى منهم ثمانية بالكهف، ويذهب ثمانية آخرين فيسوقون نصف الأسرى، ثلاثة جنود وأي من الضابطين، ثم يعودون بأبي حمزة وسبعة من مرافقيه.

وحينها سأله أحد أعضاء مشورته:

-والنصف الثاني بعدها؟

فرد قائلًا:

-لن يكون هناك نصف ثاني وهذه هي الخدعة، فسأبعث اليوم من يجري اتصالًا من موضعٍ بعيد، فيوعز للمفاوض طرفنا الموجود خارج البلاد بأن يبلغ السلطات أننا سنقسم عملية التبادل على دفعتين، وبعد أن ننهي الدفعة الأولى التي سأشترط أن يكون فيها أبو حمزة سينسحب الرجال سريعًا، فلن تغامر قوات الأمن بمهاجمة الكهف وما زال بيدنا أربعة من أسراهم، حتى وإن تنازلوا عنهم وقصفوه انتقامًا فهم بذلك يغلقون مدخلهم نحو الجبل في هذه المنطقة ليس إلا، وبعد أن يكون أبو حمزة قد أفلت، إلى جانب أن رجالنا ما إن ينسحبوا سينسفون ذلك الكهف، فلن تشعر تلك القوات إلا بالكهف وقد سقط في بئره.

-وماذا لو طلبوا رؤية الثمانية أسرى أمام باب الكهف قبل التبادل؟

-من الجيد أنك نبهتني لذلك، ولهذا يجب أن يكون الثمانية موجودين أثناء التبادل، فنظهرهم أمام ذلك الكهف، وبالنهاية أحب أن أطمئنكم بأننا

إن خسرنا فلن نخسر سوى أولئك الستة عشر الجدد بما فيهم الدليل مع كهف مهدوم، أما السرية هنا فلا يستطيع أحدٌ الوصول إليها لا برًا ولا جوًا، فإن كُتب لهم الرجوع سالمين غانمين بعد تدمير ذلك الكهف فطائرات الكافرين المسيرة بدون طيار لن تستطيع كشف موكبنا العائد الغانم بفضل أجهزة التشويش التي دعمنا بها سياراتنا في الفترة الأخيرة ودعمنا بها كوة كهفنا هذا، والتي تجعل تلك الطائرات عمياء عنهم، فبالسابق كانت تضاريس الجبل وأنفاقه وأخاديده التي تتخلل ارتفاعات شاهقة هي ما تعمي أعينهم عنا فلا يرونا، ولكن الآن أزدنا على ذلك بتلك الميزة الجديدة التي سدت كل الثغرات والتي في القريب العاجل سأعممها على كافة السرايا.

ومن ثم أنهى حديثه بتلك النبرة التي يخالجها ثقة منقطعة النظير، وحينها كان يجب أن أخاطب "علي" لأخبره بتلك الخطة التي لا تترك ثغرة، فلم أكن أعلم حتى الآن ماذا ينتوي، فخرجت حينها أراقب الكهف من بعيد، ولكن مرت ساعتان ولم يتحرك حارس الكهف من موقعه، ولم أظفر بأي اقترابٍ منه إلى أن نبضت برأسي فكرة، وفي حينها أسرعتُ لذلك الكهف الذين يحتفظون فيه بالكتب وكأنه مكتبة، فأخذت ورقة وقلم ومن ثمَّ كتبت الخطة كاملة فيها، وانتظرت حتى هدأت الحركة ونام معظم المقاتلين، وذهبتُ لأتسامر مع ذلك الحارس للكهف وبيدي قنينة من الماء والذي لم يكن متجهمًا ولكنه لا يبارح موقعه، وما إن رفع الماء إلى فمه حتى أفلتُ الورقة داخل الكهف أثناء ما كنتُ موليًا ظهري له وليس هناك من يراني، وبعدها انطلقتُ نحو كهفي، فقرأ "علي" الخطة ومكث يفكر لساعةٍ أو يزيد، كنتُ فيها أسمعه أثناء تفكيره الذي ينطق فيه كثيرًا، فكانت معضلته الأساسية هو ذلك المراقب الخفي وأجهزة التشويش الذين أربكوا حساباته، فلا بُدَّ وأن تعلم القوة الأمنية بأمرهم، فتأكدتُ حينها أن برأسه ما هو أكبر من مجرد التخلص من القائمين بعملية التبادل، وبينما هو على حاله إذ بذلك الكهل يتحدث والذي يبدو أنه كان يتابع تفكير «علي» الناطق:

-تقدر تجيب لي عفو تام لو لقيت لك الحل؟

-وأجيب لك تكريم كمان، وتغيير للهوية، وترجع تراجع عقيدتك زي ما انت عايز وتعيش طبيعي زي البشر.

-صدقًا؟

-أقسم بالله أنا أقدر أنفذ كل كلمة من اللي بقوله.

maktabbah.blogspot.com

-يوجد هواتف متصلة بالقمر الصناعي الإسرائيلي هنا بالسرية غير الهاتفين الرسميين لها.

-مستحيل!

-أوليس لديكم بمعسكرات الجيش الهواتف ممنوعة؟

-أيوه.

-وهناك من يُهرب تلك الهواتف إلى هذه المعسكرات؟

-أكيد.

maktabbah.blogspot.com

-هنا نفس الوضع، فهناك هاتف متأكد من وجوده، وكنت أستخدمه في البحث على الإنترنت أثناء فترة مراجعتي وأعرف صاحبه، أما الثاني فلستُ متأكدًا هل هي مجرد أقاويل أم حقيقة ولا أعرف مع من، ولا يعرف بالسرية هذا الأمر سوى عدد محدود لا يتجاوز أصابع يديك، لأن حيازة الهاتف تُمثل خيانة حدها القتل.

-ومين اللي معاه الهاتف اللي انت عارفه؟

-أتعرف ذلك اليمني المتجهم الذي كان يُراقب كهفنا بأول أمس؟

-أيوه فاكزه.

maktabbah.blogspot.com

-هو من معه الهاتف، وأعرف رمز الولوج إليه الذي ما أظنه بذله، ويُخبأه أعلى الجبل الملاصق للمرتفع الذي يحد السرية من الناحية الغربية، فبعد

أن تتخطى النفق وتصعد إلى القمة المستوية لذلك الجبل من خلال المدق المتعرج ستمشي لمسافة تقترب من المئة مترًا باتجاه الغرب حتى تصل إلى منحدره الخلفي، فستجد صخرة ضخمة تطل على منحدرٍ حاد، فإذا استلقيت بجوار الصخرة فجعلتها عن يسارك ومددتَ يدك لأسفل في ذلك الحرف وتحسست حينها جانب الجبل فستجد صخرة صغيرة بحجم يدك تتحرك، فإن أزلتها فستجد مكانها فجوة، ستمد يدك فيها فتجد الهاتف، ولا ينزل ذلك اليمني به إلى السرية إلا حين يشحنه خلسة من البطاريات الجافة التي يشحنون منها كشافاتهم وهواتفهم الرسمية، وفي الوقت الذي يكون فيه من بخدمة تلك البطاريات شخصًا موثوقًا له، ولا تقلق فنقطة المراقبة على بعد أربعمائة مترًا من ذلك الموقع، ومن عليها لا يرى تلك البقعة، حيث يحجبها مرتفعًا آخر عن عين المراقب، ولأنه يراقب القادمين إلينا ولا يراقب السرية ذاتها، فذلك اليمني أحسن اختيار الموقع، ولكنه كان يأخذ مني أموالًا بالمقابل، حتى إذا ما خرج في إحدى المهمات أو خرج من يعرف بأمره أو قابل أحد في إحدى مهمات تهريب المخدرات الذي يثق به فكان يمنحه المال من أجل تزويد الهاتف به.

حينها بدأ علي يحادثني قائلًا:

-لو انت سامعني يا إيهاب فانت مهمتك دلوقتي إنك تبعت رسالة على لساني بالخطة للرقم اللي هقولهولك حالًا، إلى جانب إنك لازم تكون من الناس اللي هتشارك في عملية التبادل.

ثم بدأ يلقني الخطة ورقم الهاتف الذي سأبعث عليه رسالتي، ومن ثمَّ انطلقت في حينها نحو موقع الهاتف، فالوقت لم يكن يحتمل أي تأخير؛ فالتبادل موعده بمساء الغد، والهدوء يخيم على المكان حيث كنا بعد العشاء بساعة أو يزيد، فتحركت خلسة حتى وصلت أول ذلك المدق دون أن يلمحني أحد، وصرت أركض حتى وصلت لذلك الموقع، ومن ثمَّ أخرجت الهاتف من مكانه وبدأت أتذكر ما قاله علي وأكتبه، فلم يكن الأمر هينًا خاصة مع التوتر الذي انتابني حينما أعطاني الهاتف إشارة باقتراب نفاذ شحنه، ولم أكن قد أكملت نصف الرسالة بعد، أما ما زاد من توتري

وكدت ألغي الرسالة هو سماعي صوت اليمني يحادث مرافقًا له أثناء صعودهما المدق ركضًا، فكان يشوقه إلى ما سيُريه على الهاتف، ويُحذره بألا يخبر أيًا من أفراد السرية بهذا الأمر وإلا سيعتبر خائنًا هو الآخر، ففكرت أن أخفيه في مكانه وأجلس على الجبل ساكنًا، ولكنني لا أدري هل ستكون هناك فرصة أخرى خاصة وأن الهاتف يقترب من نفاذ شحنه، ولا أعلم متى سيعيد اليمني هذا الشحن، فبدأت أكتب في الرسالة مسرعًا مركزًا على أجزائها المهمة حتى أعطاني إشارة ثانية بأن شحن الكهرباء أوشك على النفاذ حين بلغ ذلك اليمني ومرافقه قمة الجبل، فكنتُ مختفيًا خلف الصخرة وأواصل عملي حتى انتهيت من كتابة الرسالة الأساسية، ولم يبقَ سوى الجملة التي تؤكد لهم أن «علي» من يرسل، وحينها بلغوني فضغطت إرسال حين عاجلني اليمني بقبضة يده، ولكنني تفاديتها حين جذبته من كتفه مع اندفاع جسمه فوقع من قمة الجبل إلى الجرف الخافي، بينما قطعت صرخته سواد الليل، ومن ثمّ عاجلت الثاني الذي كان يشد أجزاء سلاحه بقبضةٍ في وجهه مع إمالة سلاحه بيدي التي تحمل الهاتف ومن ثمّ استدرت من خلفه مع جذبه من السلاح الممسك به ودفعته بقدمي ليلحق بصديقه لعداد الأموات مع صرخته، وحينها كنت لا أدري هل تم إرسالها أم لم ترسل لأن الهاتف حينها كان قد فرغ شحنه، فألقيته خلفهما، بينما كان رقم العداد قد نزل لخمسة وتسعين، وجريت نحو المدق المتعرج، فنزلت ثلثه تقريبًا إلى أن اقترب أول الصاعدين على صوت الصريخ، فاختفيت بأحد الفجوات الصغيرة بجانب المدق التي يراها النازل ولا يراها الصاعد، فلو نظر ذلك الهارع خلفه بعد أن يتخطاني لرآني، ولكنني قطعت أنفاسي وهو لم ينظر حتى اختفى بتعرجات المدق، فلحقت به وبدأت الركض صعودًا مع التلكع في ركضي حتى سبقني التالي إلى أن وصلنا قمة الجبل، وبدأنا في التفتيش حين جاء رابع وخامس، وظلوا يبحثون على أضواء الكشافات بحروف الجبل حتى وجدوا الجثتين، فنزل عدد منهم، واستداروا من خلف الجبل حتى بلغوا الجثتين ليكتشفوا أن بجوارهما هاتف، فكانت الفرضية الأولى أن أحدهما اكتشف إن الآخر بحوزته هاتف فحاول توقيفه فتشاجرا إلى أن سقطا، خاصة وأن

هناك أحدهما كان قد شد أجزاء سلاحه، ولكن بالصباح كان الأمير متوجسًا من أمر ذلك الهاتف أثناء حديثه مع أحد أعضاء مجلس مشورته، والذي رد عليه بأنه عندما استقصى الأمر من بعض خواص الرجال بعد أن منحهم الأمان أدلوا بأنهم يشكّون في أمر اليمني منذ فترة أن بحوزته هاتف، أما الآخر فكان من الملتزمين للغاية بقواعد السرية، فمن المؤكد أنه اكتشف اليمني فحاول تثبيته فتشاجرا وسقطا، ثم انخفضت وتيرة صوته وأكمل مردفًا:

maktabbah.blogspot.com

-لو كان هناك خائن يحوز الهاتف فلِم يُشغّله على القمر الإسرائيلي الذي نُشغل عليه هواتفنا وأنت تعرف أنهم من المستحيل أن يوافقوا على ذلك التتبع حتى للحكومات؟ هم يتتبعون لأنفسهم فحسب، أو بالأحرى لن يتتبعوا مكالماتنا فهم يعرفون أننا الشوكة في ظهر النظام المصري بسيناء، وهم أول من يريد بقائنا فلن يطعنونا الآن، فعدو عدوي صديقي وأنت تعلم هذا جيدًا، فلا أظن بالأمر خيانة، ولو كان فيه لكانت القوات المصرية تدك سريتنا منذ فترة.

فرد عليه الأمير بأن على كل الأحوال فخطتهم بشأن تبادل الأسرى بمنتصف الليل لا يعرف بها أحد غير مجلس المشورة وهذا هو المهم ومن بعدها سيستقصون أمر هذا الهاتف جيدًا.

ثم اجتمع المجلس بعد العصر، فببداية الاجتماع حددوا اسم ذلك المراقب وبعثوا إليه من يخبره بالتحرك ليسبقنا نحو هناك رفقة أحد الدلالين، ومن ثم يعود الدلال ويتسلل المراقب بعد حلول سواد الليل متخذًا موقعًا يختاره بعناية، ومن ثم حددوا أسماء ثلاثة ثنائيات من الرجال والذين سيقفون لتلقي إشارة المراقب ونقلها في ثلاثة مواضع جاهزة للنسف بين كل موضع والآخر عشرة كيلو مترات حتى السرية، ومن ثم أذنوا لهم بالتحرك رفقة دلال آخر، وحينها بدأ قلبي بالخفقان حين أخذوا ينتقون في المقاتلين الذين سيقومون بعملية التبادل، فبدأوا باختيار الأكثر حداثة بالسرية، والأقل قدرًا حتى عرض أحد الأعضاء أن أذهب معهم فأنا من الأكثر حداثة، ولكن رد عليه عضو مجلس المشورة

الذي أتبع فرقته بأنني من الأشخاص الذين يتوسم فيهم مستقبلًا مزهرًا ويريد أن يستبقيني حتى إذا ما حدث غدر، فكاد قلبي يقف حينها إلى أن استشاط غضب الأمير الذي خاطب ذلك العضو معنفًا:

-أتراه أكثر قدرًا من أبي حمزه؟ فوالله ليذهبن مع الذاهبين، ثم إنه كما يقولون يستشعر الخطر فسيفيد المجموعة بتلك الحاسة.

فرضخ ذلك العضو لرأيه فاطمئن قلبي وعدتُ أعب الهواء عبًا، وما إن انتهوا من الخمسة عشر اسمًا حددوا اسم الدليل الباقي من بين الثلاثة دلالين بالسرية، ولكنني لم أكن أعرفه، فاستبقيت تلك المعرفة لوقت العملية، ومن ثمَّ حددوا الثمانية الذين سيقومون بدفع الأربعة أسرى الأوائل والذين كانوا الأقل قدرًا من الستة عشر، حتى إذا ما كان كمينًا من الحكومة لاقتناص أولئك الثمانية مع ترتيبات لأي غدر من طرفهم تكون الخسارة أهون.

فلم يحددوني من بينهم، فحمدت الله، فكأنه يدبر لنا فيحسن التدبير، أما الأسرى فكانوا ضابط الجيش وثلاثة جنود حددتهم القوى الأمنية، فكما اشترط الأمير أن يكون بالصفقة الأولى أبو حمزة اشترطت القوى الأمنية أن يكون بالأولى ضابط الجيش الأعلى رتبة بعد أن أبلغوا المفاوض يوم العملية بموافقتهم على الترتيبات.

وحينها تأكدت أنهم أخذوا برسالتي وأنها وصلتهم، ولكن كان يثور بداخلي التساؤل هل أتحرر من اللعنة التي جاءت بي إلى هنا قبل أن أخرج ويعلم الله هل سيكتب لي العودة أم لا أعود، أم أنتظر حتى نفرغ من خطتنا؟ ولكنني راجعت نفسي حين ارتأيت أن فقدي لتلك القدرات قد يؤثر بالسلب على تخطيطنا، وعقدت العزم على الصبر حتى أتحرر من ديني أولًا، فمن ثمَّ استللت التميمة من حفرتها وصرت أنتظر بالوادي تلك الساعة التي سينادون فيها على من سيقوم بالعملية، وبنفس الوقت أستمع لخطة «علي» التي يعيدها على الجنود حتى دقت التاسعة والنصف، وحينها ظهرت السيارتان رباعيتا الدفع ذوات الصندوق المكشوف بقلب

الذي أتبع فرقته بأنني من الأشخاص الذين يتوسم فيهم مستقبلًا مزهرًا ويريد أن يستبقيني حتى إذا ما حدث غدر، فكاد قلبي يقف حينها إلى أن استشاط غضب الأمير الذي خاطب ذلك العضو معنفًا:

-أتراه أكثر قدرًا من أبي حمزه؟ فوالله ليذهبن مع الذاهبين، ثم إنه كما يقولون يستشعر الخطر فسيفيد المجموعة بتلك الحاسة.

فرضخ ذلك العضو لرأيه فاطمئن قلبي وعدتُ أعب الهواء عبًا، وما إن انتهوا من الخمسة عشر اسمًا حددوا اسم الدليل الباقي من بين الثلاثة دلالين بالسرية، ولكنني لم أكن أعرفه، فاستبقيت تلك المعرفة لوقت العملية، ومن ثمَّ حددوا الثمانية الذين سيقومون بدفع الأربعة أسرى الأوائل والذين كانوا الأقل قدرًا من الستة عشر، حتى إذا ما كان كمينًا من الحكومة لاقتناص أولئك الثمانية مع ترتيبات لأي غدر من طرفهم تكون الخسارة أهون.

فلم يحددوني من بينهم، فحمدت الله، فكأنه يدبر لنا فيحسن التدبير، أما الأسرى فكانوا ضابط الجيش وثلاثة جنود حددتهم القوى الأمنية، فكما اشترط الأمير أن يكون بالصفقة الأولى أبو حمزة اشترطت القوى الأمنية أن يكون بالأولى ضابط الجيش الأعلى رتبة بعد أن أبلغوا المفاوض يوم العملية بموافقتهم على الترتيبات.

وحينها تأكدت أنهم أخذوا برسالتي وأنها وصلتهم، ولكن كان يثور بداخلي التساؤل هل أتحرر من اللعنة التي جاءت بي إلى هنا قبل أن أخرج ويعلم الله هل سيكتب لي العودة أم لا أعود، أم أنتظر حتى نفرغ من خطتنا؟ ولكنني راجعت نفسي حين ارتأيت أن فقدي لتلك القدرات قد يؤثر بالسلب على تخطيطنا، وعقدت العزم على الصبر حتى أتحرر من ديني أولًا، فمن ثمَّ استللتُ التميمة من حفرتها وصرت أنتظر بالوادي تلك الساعة التي سينادون فيها على من سيقوم بالعملية، وبنفس الوقت أستمع لخطة «علي» التي يعيدها على الجنود حتى دقت التاسعة والنصف، وحينها ظهرت السيارتان رباعيتا الدفع ذوات الصندوق المكشوف بقلب

الوادي، فقد كان طريق هذه السرية ممهدًا حتى قلبها، وبدأوا في النداء على أسمائنا فصار باقي المقاتلين يربتون على أكتافنا، حيث كانوا مجتمعين حولنا بقلب الوادي بينما نستلم أسلحتنا، والتي كان من بينها تلك القاذفات التي لا تظهر إلا لمهمات مثل هذه، فكان هناك أربعة من مضادات الدروع، بكل سيارة اثنين منهم، والبقية من البنادق الآلية، فكان تسليحي من الصنف الأخير، ولكنني لم أعرف المكلف بقنص الدليل، فيبدو أنه يعرف نفسه من قبل تلك العملية أو أن هناك جزءًا فاتني من التخطيط بأي وقتٍ من الأوقات.

ومن ثمَّ بدأ الأمير في تلقيننا الخطة حتى إذا ما انتهينا جاءوا بالأسرى، فركبت بصندوق السيارة التي أركبوا بها "علي"، ومن ثمَّ انطلقنا بين الوديان والكهوف والخنادق والممرات التي لا ترى السماء فوقها من الارتفاعات الشاهقة التي تتخللها تلك المدقات، حتى بلغنا منطقة غير ممهدة كنا نتأرجح بصندوق السيارة فيها، وأثناء ذلك الاهتزاز وفي سواد الليل سلمت "علي" بيديه المقيدتين خلف ظهره سلكًا معدنيًا، وبعد ما يقرب من الساعة والنصف قطعنا فيها ما يقارب الأربعين كيلو بلغنا ذلك الكهف الذي يُمثل ممرًا أو نفقًا لخارج الحدود الشمالية للجبل، وكانت قوات الأمن تقف على بعد مائتي مترًا تقريبًا، وتضرب أنوارها نحو مدخل الكهف، فبدأ رجلٌ في دس حزمتين من المتفجرات بركني الكهف، ومن ثمَّ خرج نحو مدخل الكهف بناحية الجبل من الداخل وبيده جهاز التفجير المتصل بالحزمتين وبيده الأخرى سلاحه، فلم أكن أعلم بتلك الجزئية من الخطة وهي أن ذلك المفجر سيقف بداخل الجبل وبيده جهاز التفجير، وحينها سمعنا صوت القوى الأمنية من مكبرات الصوت بأن نظهر الأسرى، فأظهرنا الثمانية أسرى أمام بابه، ثم بدأ الثمانية الذين تم تحديدهم سلفًا بدفع الأسرى الأربعة، بينما أعدنا الأربعة أسرى الباقين فأجلسناهم مجتمعين بالكهف بالقرب من مدخل الكهف من ناحية الجبل من الداخل، وكانت المفاجأة أن الدليل هو من يقف وراءهم ناحية مدخل الكهف ويصوب سلاحه إليهم، فقد كان هو من يركب بالسيارة الأمامية، وسمعته وهو يوجه السائق يمينًا ويسارًا، وحين نزل من السيارة وكزت «علي» وأنا

أدفعه بأنه هو المقصود، فكان ظهره لذلك المفجر والذي يحمل سلاحًا لقتله وتفجير الكهف إن أحس بغدر وأمامه علي وباقي الجنود، بينما أقف أنا والخمسة الباقين عند مخرج الكهف إلى الصحراء ناحية القوى الأمنية، فمنا اثنان يحملان مطلقات قذائف، وأنا والآخرين نمسك بالبنادق الآلية فانطلق الفريق من طرفنا يدفعون الأسرى حتى نقطة التبادل بنصف المسافة في حين كان يقابلهم ثمانية من القوى الأمنية يدفعون ثمانية أفراد يلبسون عباءات بيضاء، وما إن صار بين الفريقين قرابة العشرة أمتار قام الثمانية جنود بقنص الثمانية مقاتلين الذين يدفعون الأربعة أسرى دون دوي صوت رصاص، وقبلها بلحظات معدودة كنت قد تراجعت خطوة للخلف وأنهيت الخمسة إلى جواري بطلقات سلاحي، وتزامن رجوعي هذه الخطوة والتي كانت إشارة البدء بخطتنا، أن هجم «علي» على الدليل الذي يثبتهم بعد أن حرر يديه فاسقطه ورقد فوقه والذي كان مشدوهًا لثوانٍ بإطلاقي النار على رفاقه، وبنفس اللحظة التي رجعت فيها خطوة للخلف وعند بدأ إطلاقي النار تزامن ذلك مع قيام جنديين من الذين برفقة علي بالتقفز كل واحد منهم باتجاه حزمة من المتفجرات فغطاها بجسده فانفجرت فيه فطارت أشلاء كل منهما في الهواء ولم يتضرر الكهف، أما الجندي الثالث فقفز بقدميه ويديه المقيدتين نحو المقاتل الذي كان يلقي بجهاز التفجير من يده بعد أن ضغط عليه كي يمسك سلاحه بكلتا يديه فقنص ذلك الجندي برصاصة، ولكن الجندي أكمل اندفاعه فأشغل تركيز ذلك المقاتل لثوانٍ كنت فيها قد قنصته بعد أن أنهيت مهمتي، فكانت كل الحركات متناغمة ما إن عدت خطوة للخلف وبلغ عدادي حينها تسعة وثمانين، وما هي إلا دقائق وبلغنا سريعًا ثلاثة عشر رجلًا يلبسون نفس ملابسنا السوداء وثمانية من الجنود يلبسون عباءات بيضاء، وكأنهم الأسرى العائدون، فأقام "علي" ذلك الدليل قائلًا:

-بيك من غيرك هنوصل، لو وصلنا بيك هتاخد براءة وهوية جديدة ومبلغ محترم جدًا، لو عاندت أقسم بالله ما هقتلك إنما هتشوف عذاب هتتمنى فيه الموت كل يوم للباقي من عمرك، ومش هسيبك تموت ولا هسيب لك حاجة ممكن تنتحر بيها في سجنك، وهبدأ العذاب من اللحظة

دي.

فكان الدليل ينظر نحو "علي" مرتعدًا بذلك العزم في عينيه، وحينها أشار برأسه بمعنى الموافقة، فسأل "علي" قائد الوحدة التي سترافقنا:

-الطيارة الدرون وقعت المراقب؟

-مش طيارة واحدة يا افندم، دول كانوا تلات طيارات بدون طيار بيستخدموا المسح الحراري، وكانوا من غير أضواء على ما عرفنا نوصل لمكمنه، والغريب إنهم لقوا مراقب تاني في موضع مختلف، ودا تقريبًا فاتكم في الخطة اللي اتبلغت لنا، واصطادوهم بطلق ناري مش قذائف زي ما حضرتك نبهت، وكان فيه بردو أجهزة تشويش على الهواتف شغالة من الساعة ١١ من وقت ما جينا أرض العملية، وما كانتش هتسمح بأي مكالمة إنها تتم في دايرة قطرها عشرين كيلو متر مربع من موقع التبادل.

-على بركة الله يا رجالة.

وأثناء حديثهم كانت هناك فرقة من الرجال تقوم بفحص السيارتين حتى وصلوا لأجهزة التشويش فأزالوها، ومن ثمّ قاموا بتغيير زجاج السيارتين الأمامي بزجاج مضاد للرصاص، ووضع شريحتين كبيرتين من مضادات الرصاص أسفل غطاء المحرك الأمامي لكل سيارة، وشرائح أخرى من مضادات الرصاص بكابينة القيادة عند موضع أقدامنا، مثلما خطط «علي»، ومن ثم انطلقنا لتلك المهمة الانتحارية.

فحينها ركبت أنا والدليل وعلي بعد أن استلم كل منا قناعًا أخفاه تحته بعد أن بدّل الأخير ملابسه، وركب معنا أربعة من ذوي العباءات البيضاء بصندوق السيارة، وخمسة من ذوي الملابس السوداء، وركب من هم مثلنا بالسيارة الخلفية وانطلقنا حتى قطعنا ما يقل عن النصف ساعة حين جاءنا رجلان راكضان من مرتفع يحيونا على نجاحنا، فكانوا من المهيئين لنسف الطريق بناءً على إشارة المراقب، فتم قنصهم بطلقتين مخدرتين بلا صوت، ومن ثمّ قطعنا نفس القيمة السابقة فحيانا اثنان من الواقفين فوق المرتفع، لكنهم لم ينزلا كسابقيهم، فاستفهمت من علي الذي أخبرني أن

طائرتين مسيرتين يتبعوننا بناءً على إشارات موجهة من إحدى السيارتين إليهم، فتلك المدقات المرفوفة بالجبل كنقاط عمياء بالنسبة لتلك الطائرات، ومن ثم سيتم اقتناص الرجلين بآنٍ واحد، وبالنقطة الثالثة تكرر ما حدث بالثانية حتى بلغنا نقطة المراقبة التي تبعد خمسمائة مترًا عن السرية، فكان واضح أن الرجلين عليها حاذقان فقد شدا أجزاء سلاحيهما واقتربا بحذر، وحينها طرق «علي» زجاج السيارة الخلفي المطل على الصندوق فقام جنديان بلحظةٍ واحدة وأطلقا طلقتين من مسدسين كاتمين للصوت، ولكن أحد الرجلين قبل أن تخرج روحه أفرغ دفعة من طلقات رشاشه وحينها صرخ علي:

-اضربوا طلقات في الهوا كأنكم بتحتفلوا!

ثم انطلق بالسيارة مسرعًا بينما كنا جميعًا نرتدي الأقنعة، فكنت أسمع أصوات مقاتلي السرية، فحينما سمعوا الدفعة الأولى توجسوا وانتبهوا، لكن ما إن انطلقت دفعات متلاحقة صاروا بين هذا وذاك، فليس هناك بنقطة المراقبة سوى فردين لن يحتاجا كل هذا الإطلاق لقتلهما، إلى جانب أن الأمير لم يتعرض لنقطة الطلقات الاحتفالية بخطته لا بالنفي ولا بالإيجاب، إلى أن اقتربت السيارتان ورأوهما تقتربان من النفق فابتهجوا وظلوا يضربون في الهواء، ولكن قبل دخول السيارتين للنفق المظلم وبينما كانتا تتقدمان متجاورتين قام ثلاثة من الرجال من كل سيارة بتثبيت قاذفاتهم أعلى كابينة القيادة بتلك البقعة المظلمة ودون أن يرفعوا رؤوسهم وأطلقوا ستة قذائف تشبه الغاز المسيل للدموع بداخل الوادي، ثم كمنوا وكمن جميعنا وتوقفت السيارتان، وحينها فتحوا وابلًا من الرصاص علينا لمدة ثوانٍ معدودة كنا جميعًا فيها كامنين، وبعدها توقف الإطلاق نهائيًا ونزل "علي" بكل ثقة من السيارة وتبعه الرجال في السيارتين ودخلنا إلى النفق، فكان فيه رجال ملقون على الأرض لم يتمكنوا من الوصول لنا، أما الكهف فكان كل من فيه ملقًا في ثباتٍ تام، فأدركت أنها قنابل كيميائية مخدرة سريعة المفعول، أو نوع من غازات الأعصاب أو شيء من هذا القبيل، ولكن يبدو أن أثره سريعًا للغاية.

فقد كانوا يريدون بعضًا منهم أحياء، وما هي إلا دقائق وجاءت مروحيات وقامت بعمليات إنزال في موقع قريب وفقًا لإشارة من الطائرات المسيرة الصغيرة، وتبعتها عدة مدرعات وسيارات تابعة للجيش كانت تتوجه وفقًا لعيدان فسفورية مضيئة كان يلقيها الجنود أثناء مرورنا، فلم يتبعونا إلا بعد أن أخذوا إشارة بأننا بلغنا هدفنا حتى لا يكتشف أمرنا أولئك الذين كانوا كامنين بالطريق.

أما أنا فاحتضنت الدرع وسألت «علي» من تحت قناعي بينما كانت طيارات الهيليكوبتر تنقل أولئك الدواعش عن ما حدث في الكهف وقت التبادل، فقال بأسى:

-كان ارتجال وبسالة من التلات جنود الشهدا واللي فهموني بإشارة عينيا وماترددوش لحظة واحدة.

-طيب وأقنعت القوى الأمنية إزاي بالتبادل؟

فابتسم من تحت قناعه وقال:

-كانت إشارات جسمي بتوحي بالعزم في حين كلامي بيوحي بالخوف، كنت ضامم قبضتين إيديا، وفي نفس الوقت بترجاهم بجبن وبتوسل إنهم ينقذونا، وفهموا من دا إني بدبر لشيء.

حينها ابتسمت وربت على كتفه الأيسر بيدي اليمنى فبادلني بنفس الحركة.

وبعد أن انتهت المهمة واطمئننا على ذلك الكهل الذي ساعدنا بأنه لم يكن ضمن ضحايا تلك الموقعة وصدق علي بوعدهِ معه، وبإحدى القواعد العسكرية القريبة وحينما كان "علي" إلى جواري لبست الدرع ووضعت التميمة التي لم تفارقني بموضعها، ثم خلعت الدرع عني لأسقط مغشيًا علي.

وبعد أسبوعٍ تقريبًا فتحت عينيَّ على وجه نور، فكان نظري مشوشًا إلى حدٍ ما، وأحس أنني أسمع صوتها وهي تخاطبني واضعة يدها على صدري

وكأنني أسمعه من بعيد، ولكن كنت أسمع وأرى. فابتسمت لها وأمسكت بيدها قائلًا:

-بحبك يا نور.

وخلال شهرٍ ومع متابعة حالتي الصحية تحسن نظري وسمعي مرة أخرى حتى عادا لما يقارب حالتهما الطبيعية، وبنفس الشهر تم تبرأتي من القضية الأولى بدافع الدفاع الشرعي والذي لم يذكروا فيه بشأن القلادة سوى أنهم تأكدوا بما لا يدع مجالًا للشك بأن تلك القلادة تتحول من ذهبية إلى نحاسية دون أن يتطرقوا لموضوع الجن أو القدرات التي تمنحها القلادة، ومع تصوير الفيديو المكتشف على هاتفي والذي أوحى لصلاح بأنني غبنته بعد أن تحولت القلادة، على الرغم من أنني كنت مغلوبًا على أمري وحسن النية، وبشهادة الشهود بشأن صلاح وسوابق مرافقيه وشهادة الطبيب عماد وشهادة الضابط "علي" بامتلاكي قدرات استثنائية تأكدت عدالة المحكمة أنها كانت حالة دفاع شرعي عن النفس وحكمت بالبراءة.

maktabbah.blogspot.com

أما بخصوص قضية الدواعش فقد تم تكريمي من قِبَل وزارة الداخلية، ومن قِبَل وزارة الدفاع خاصة وأن القبض على تلك السرية الأساسية أدى للقبض على العديد من السرايا وكسر شوكة داعش بسيناء، (وبعد ستة أشهر كنت أجلس إلى جوار نور بإحدى قاعات الأعراس المتواضعة ممسكا بيدها ومن حولنا بعض الجيران من حينا وبعضا من أقاربها بينما يصدح صوت الأغاني الشعبية التي يتراقص على أنغامها بعض الفتيان الصغار من أبناء الحي حين تسلل «علي» من بين الحضور حتى بلغ مقعدي ومال على أذني مباركا،، ثم ذهب نحو منضدة عماد الذي كان برفقة زوجته وإبنيه حيث سلم عليهم ثم انصرف مسرعا بعد أن اطمأن على إجراءات تأمين زفافي ضمن برنامج الحماية الذي قررته لي القوى الأمنية لمدة خمس سنوات والذي بناءً عليه غيروا هويتي ومحل إقامتي بل والحقوني بمهنة جديدة حماية لي من الدواعش الذين لم تكن شوكتهم قد انكسرت بالكامل ومن رجال منصور الشميسي ووفاء العطيوي الهاربين من العدالة

حاليا إثر شهاداتي عنهم.

ولكن لم تمر عدة شهور على زواجي حتى تفاجئت بـ علي يخبرني بأن الدرع والتميمة قد اختفوا من مخزن الأحراز .

تذكر انك حملت رواية الضحية رقم صفر من موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة بلا منازع .

maktabbah.blogspot.com

ولكن الغريب إنني أحسست بالليلة التي تسبق اليوم الذي أخبرني فيه بإختفاءهم،، أن ذلك الشيطان قد عاد مرة أخرى لجسد جديد، وكأن هناك إتصال بيننا لم ينقطع،والأنكى من ذلك أنني بدأت من بعدها أشعر بكل ضحية يقتلها ذلك المغبون الذي حمل اللعنة فقد كنت أسمع العداد التنازلي الذي كان يتناقص بسرعة مهولة فبكل يوم كان يتناقص العداد بأعداد ما بين الثلاثة والخمسة ضحايا وكأن متعطشا للدماء هو من حملها هذه المرة حتى بلغ الضحية صفر في أيام معدودات، والتي لم تكن سوى ذلك الدموي الذي حمل اللعنة ذاته، فوجدوا جثته جاحظة العينين بعد عدة أيام وبحوزته الدرع والتميمة، فدار بذهني وقتها أنه كان من الممكن أن أكون في مقامه إن طاوعت ذلك الإحساس الذي راودني يوما ما، لكن الغريب أنني لا زلت أشعر بذلك الشيطان حتى بعد أن تحرر من العهد، أشعر بوجوده حولي، بل أحيانا أشعر بتلك القدرات التي كان يمنحني إياها في ومضات سريعة ثم تزول، فهل هناك ضحايا ما بعد الصفر أم أن هذا الشيطان له غرض آخر).

تمت

مكتبة بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com